

A. U. B. LIBRARY

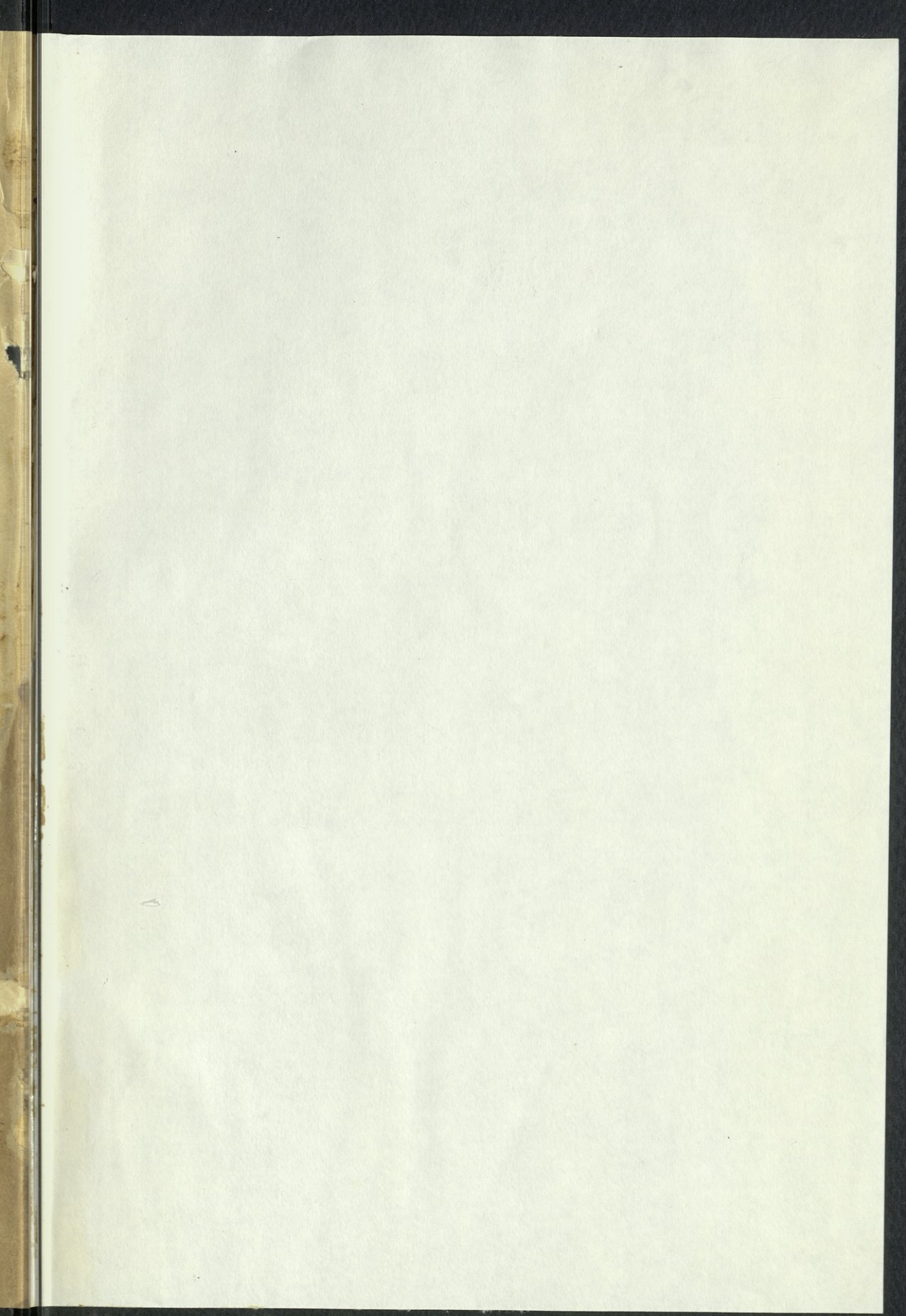
CLOSED
AREA

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



CLOS
AREA

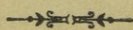
A. U. B. LIBRARY 7



المعرفة الحديثة

تحليل لأحوال العراق ومشاكله السياسية والاقتصادية والصحية

والاجتماعية والتربوية



وضع في الانكليزية

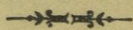
الدكتور

مكي عفتيرافى

وعربه المؤلف

و

مجيد ضروري



الجزء الأول

تحليل الأحوال العامة

مطبعة العهد — بغداد

١٩٣٦

CA

956.704

A655iA

v.1

c.1

Handwritten text at the top of the page, possibly a title or header.

Handwritten text in the upper middle section.

Handwritten text in the middle section, possibly including a date or number.

Handwritten text in the lower middle section.

Handwritten text in the lower middle section.

Handwritten text in the lower middle section.

Handwritten text in the lower middle section.

Handwritten text in the lower middle section.

Handwritten text in the lower middle section.

Handwritten text in the lower section.

Handwritten text at the bottom of the page.

المقدمة

ليس في الامكان وضع خطة رشيدة لحل اية قضية من القضايا الكبرى او تنفيذ اي مشروع مهم مالم يسبق ذلك بحث دقيق عن الاحوال والمشاكل التي تكتنف القضية او المشروع ، وجمع واف للمعلومات والحقائق عنه ، ودرس علمي مجرد عن الهوى له من جميع وجوهه . ومن يتطلع الى القضايا العراقية ، الكبيرة منها والصغيرة ، يجد ان المدروس منها دراسة علمية والمنشور من هذه الدراسات في اللغات الاجنبية قليل جداً وهو اقل من ذلك بل يكاد يكون معدوماً في اللغة العربية . وما لم ينشط رجالنا ونساؤنا الى دراسة احوال بلادهم ومشاكلها المختلفة دراسة علمية عميقة فستبقى خطط تشييد اركان هذه الامة مذبذبة لا تستقر على حال تتبدل كل يوم حسب الظروف والاحوال ، والاهواء والنزعات . ومن اهم حاجات العراق والبلاد العربية اليوم نشوء طبقة من الرجال والنساء المثقفين ثقافة عالية والمتشربين بالروح العلمي والمستعدين لتطبيق الطريقة العلمية الحديثة على دراسة مشا كل بلادهم .

وقد وضع هذا الكتاب في الاصل باللغة الانكليزية رسالة مطولة قدمت لنيل شهادة الدكتوراه في كلية المعلمين بجامعة كولمبيا بنيويورك والقصد منها معالجة احدي قضايا العراق المهمة وهي وضع منهج للدراسة الابتدائية ملائم لاحوال العراق والبيئة العراقية . ومن كانت هذه غايته عليه ان يدرس اولاً هذه الاحوال وتلك البيئة ثم يفتش عن المنهج الذي يلائمها . ولذلك فقد كانت القضية التي اخذ المؤلف على نفسه بحثها « تحليل احوال العراق ومشاكله السياسية والاقتصادية والصحية والاجتماعية والتربوية بقصد

(ب)

اقترح اسس منهج او مناهج للدراسة الابتدائية تلائم بيئة العراق
وجاجاته . ومن الواضح ان موضوعاً مثل هذا واسع الاطراف وكثير الشعب
اضطر المؤلف الى معاناته سبع سنوات فالصرف اليه مدة يوم كان طالباً في
الجامعة وانشغل عنه مدة إذ كان مديراً لدار المعلمين في بغداد ، ثم عاوده
فاكمله منذ اقل من سنتين . وقد كتب فصولاً منه في نيويورك وتحتها او
بدلها في بغداد ، وكتب فصولاً في بغداد وتحتها او بدلها في نيويورك .

وحاول ان يتبع في البحث الطريقة العلمية على قدر ما اوتي من مقدرة
او توصل اليه من مصادر . والكتب والمصادر العلمية الدقيقة عن العراق
الحديث تكاد تكون كما اسلفنا معدومة في اللغة العربية ، وهي قليلة في اللغات
الاجنبية على كثرة ما كتب عن العراق في هذه اللغات في السنوات الاخيرة
ولذلك فان الباحث في مشا كل العراق اليوم يعاني الامرين من قلة ما يجده
من المعلومات والاحصاءات المضبوطة والآراء الصائبة السديدة — ذلك
فوق ما يعانيه في محاولته التوفيق او التفريق بين النزعات المختلفة ، وفي
رغبته تجنب الوقوع في هوة الحزبيات السياسية الداخلية ، وفي التمييز بين
الحقيقة والادعاء فيما يقوله ذوو المطامع والمستعمرين من الاجانب . اما عن
التفكير السطحي واختلاط الغث بالسمين في معظم مقالات الجرائد وكثير
من الخطب وفي كتب السائحين والسياسيين الاجانب ومقالاتهم فحدث
ولا حرج .

والمصادر التي رجع اليها المؤلف على انواع اهمها في اللغة العربية التقارير
التي تصدرها دوائر الحكومة المختلفة ومحاضر مجلسي النواب والاعيان والوقائع

(ج)

العراقية ونحو اربعين مجلداً من الجرائد العراقية ، وهذا النزر اليسير من الكتب التي صدرت عن العراق في اللغة العربية . وكانت الكتب والتقارير الرسمية خير هذه المصادر لولا ان بعض دوائر الحكومة قد انقطعت عن اصدار التقارير منذ سنوات ، وبعضها الآخر يصدر التقارير دون انتظام ، وقسم منها فقط يصدر التقارير السنوية بانتظام . اما في اللغات الاجنبية فقد رجع المؤلف الى التقارير الرسمية التي كانت تصدرها حكومة الاحتلال ثم الدولة البريطانية الى سنة ١٩٣٢ وتقارير الحكومة المنشورة بالانكليزية وطائفة كبيرة من الكتب ومن مقالات المجلات منها العلمي القيم ومنها السطحي او المغرض . وكان احسن هذه المصادر التقارير الرسمية البريطانية رغم اصطبغها بسياسة هذه الدولة ووجهة نظرها . ذلك انها كانت مصدراً مستمراً غير منقطع للمعلومات والاحصاءات عن العراق لمدة لا تقل عن الخمس عشرة سنة . وهنا لا بد للباحث الوطني ان يظهر اسفه الشديد انه اذا ما اراد درس احوال بلاده مضطراً على الاعتماد في الغالب على مصادر اجنبية ذات نزعات لاتتفق في كثير من الاحيان مع مصلحة البلاد لقلة ما يجده من المصادر العلمية التي يكتبها ابناء بلاده او ندرة ما ينشر من التقارير الرسمية السنوية . فهذه دائرة الصحة لم تنشر تقريراً لها منذ سنة ١٩٢٦ ، ومديرية صحة العاصمة منذ سنة ١٩٢٨ ، وكذلك لانجد تقارير منشورة ومتتابعة بدون انقطاع لدوائر الطابو والعديلية والسجون والمالية (ما خلا الكمارك والمكوس وربما المحاسبات العامة) وغيرها من الدوائر . واننا نعتقد ان الحكومة العراقية تقوم بخدمة كبرى لو تنشر في كل سنة تقريراً عاماً عن ادارة الدولة جامعاً للحقائق

(د)

والتطورات والاحصاءات لكل دائرة من دوائر الحكومة المهمة . وانه لمن المؤسف انه بعد انقطاع صدور التقارير السنوية البريطانية لا يجد الباحث نشرة حولية تشابهها تنشرها الحكومة العراقية لا لفائدة الباحثين فقط بل ليطلع عليها الجمهور وليستند عليها موظفو الدولة اثناء قيامهم بمهام وظائفهم . نقول ذلك ونحن نعلم ان عدداً من الدوائر تنشر تقارير سنوية ولكن هنالك عدداً منها لا ينشر شيئاً ومنها من ينشر التقارير في بعض السنوات ويهملها في السنوات الاخرى . وخير دواء لذلك هو نشر تقرير موحد عام لكل دوائر الدولة في كل سنة .

ولما كانت غاية المؤلف ان يدرس احوال العراق بصورة عامة شاملة بقصد وضع منهج المدارس الابتدائية العراقية ، فقد حاول ان يشرح بين دفتي كتاب واحد اهم مشاكل العراق واحواله واوضاعه ويجمع فيه اهم ماتوصل اليه من المعلومات والاحصاءات . وله الامل ان يكون في ذلك فائدة لقراء العربية اذ لم يسبق نشر وصف عام لاحوال العراق من وجوهه المختلفة لافي العربية ولا في الانكليزية ، وانما كان معظم مانشر اما بكوناً سطحية في الناحية السياسية او التاريخية ، وهو الغالب ، او بكوناً اقتصرت على جهة من الحياة العراقية .

ولسنا ندعي اننا قد وفينا البحث في كل مشكلة من المشاكل فان ذلك متعذر في كتاب عام مثل هذا ، فيكاد كل موضوع من المواضيع التي عاجلناها يحتاج لدراسة التفصيلية الى مجلد او اكثر وهو عمل يجب ان يقوم به الاختصاصيون .

(و)

محتويات الكتاب

الصفحة	
١	الفصل الاول: العراق بلاداً وشعباً
١	١- مقدمة
١	٢- سطح العراق
٤	٣- الانهار
٧	٤- المناخ
١٠	٥- السكان
١٦	٦- طرق المعيشة
٢٠	الفصل الثاني: مشاكل العراق السياسية
٢١	علاقات العراق الخارجية
٢١	١- مع بريطانيا العظمى
٢١	(١) العلاقات العراقية - الانكليزية قبل الحرب
٢٨	(٢) الاحتلال البريطاني للعراق
٣٣	(٣) الادارة البريطانية بعد الحرب والثورة العراقية
٤٤	(٤) نتائج الثورة وتأسيس الدولة العراقية
٥٣	(٥) قضية الموصل وبريطانيا
٥٧	(٦) المفاوضات لمعاهدة سنة ١٩٢٧
٥٩	(٧) معاهدة ٣٠ حزيران سنة ١٩٣٠
٦٥	(٨) مصالح بريطانيا في العراق

(ز)

الصفحة	الموضوع	الصفحة
٦٧	٢٨- العلاقات مع الدول الاخرى	٦٧
٦٧	(١) المملكة العربية السعودية	٦٧
٦٩	(٢) سورية	٦٩
٦٩	(٣) ايران	٦٩
٧٠	(٤) تركيا	٧٠
٧١	الفصل الثالث: المشاكل السياسية (تتمة)	٧١
٧١	١- مشكلات الدفاع الوطني والامن العام والتجنيد الانزامي	٧١
٧٣	٢- الوحدة القومية	٧٣
٧٤	(١) العناصر الجنسية	٧٤
٧٧	(٢) العناصر الدينية	٧٧
٧٨	(٣) نظام العشائر	٧٨
٧٩	٣- الحياة الديمقراطية وشكل الحكومة	٧٩
٧٩	(١) النظام البرلماني	٧٩
٨١	(٢) الرأي العام	٨١
٨٢	(٣) الشعور القومي	٨٢
٨٢	(٤) حرية الصحافة	٨٢
٨٣	٤- الادارة الداخلية	٨٣
٧٣	(١) مركزية الادارة	٧٣
٣٤	(٢) الحاجة الى موظفين متدرجين	٣٤

(ح)

الصفحة	المحتوى	الصفحة
٨٥	(٣) كثرة نقل الموظفين	٧٢
٨٦	(٤) طبقة الموظفين	٧٢
٨٧	(٥) الاقبال على الوظائف	٧٢
٨٧	٥٢ - حركة الوحدة العربية	
٩٠	الفصل الرابع: المشاكل الاقتصادية	
٩٠	١ - الزراعة	
٩٠	(١) تغلب الحياة الزراعية	٧٧
٩٤	(٢) اعمال مديرية الزراعة العامة	٧٧
٩٨	(٣) انواع المحاصيل الزراعية والحيوانات	٥٧
١٠٢	(٤) ضرورة انماء الموارد الزراعية وتحسينها	٧٧
١٠٣	(٥) ترقية الاساليب الزراعية	٨٧
١٠٥	(٦) تحسين اجناس المحاصيل الزراعية	٨٧
١٠٦	(٧) ادخال حاصلات جديدة	٨٧
١٠٦	(٨) مكافحة او بثة النباتات	٨٧
١٠٨	(٩) تربية المواشي	١٨
١٠١	(١٠) الغابات والتشجير	٢٨
١١٢	(١١) تجمع الاملاح في الاراضي	٢٨
١١٣	(١٢) مشاكل الاقتصاديات الزراعية	٢٨
١١٧	٢ - الري	
١١٧	(١) الري بالترع قديماً وحديثاً	٣٧

(ط)

الصفحة	الموضوع	الصفحة
١٢٠	(٢) مشاريع المستقبل	٨٢٦
١٢١	(٣) التصريف	٨٢٨
١٢٢	(٤) الرقابة المركزية	٨٢٦
١٢٢	(٥) طرق الري الأخرى	١٣١
١٢٤	(٦) الري بالمضخات	٢٣١
١٢٥	٣- مشكلة الأراضي	
١٢٥	(١) أهمية المشكلة	٣٣١
١٢٧	(٢) أنواع الأراضي	٥٣١
١٢٧	(٣) مساحة الأراضي الصالحة للزراعة	٦٣١
١٢٨	(٤) قانون الأراضي العثماني	٦٣١
١٢٨	(٥) الحالة الحاضرة	١٥١
١٣٠	(٦) اقتراحات دوسن	١٥١
١٣١	(٧) ذوو المصالح في الأرض	١٥١
١٣٢	(٨) تقسيم الانتاج	٢٥١
١٣٤	(٩) صغر حصة الفلاح	٢٥١
١٣٤	(١٠) حالة الفلاح في الشمال	٣٥١
١٣٥	(١١) النظام الإقطاعي	٥٥١
١٣٦	(١٢) نتائج هذا النظام	٥٥٢
١٣٧	(١٣) الاقتراض	٨٥١

١٣٨	(٢)	الحاجة الى حل مشكلة الاراضي المنبسطة في العراق	٥٢٢
١٣٩	(٣)	٤- تجارة العراق	
١٣٩	(٤)	(١) موقع العراق على مفترق الطرق التجارية	٥٢١
١٤١	(٥)	(٢) الحركة التجارية بعد الحرب	٥٢١
١٤٢	(٦)	(٣) تقلص التجارة الخارجية	٥٢١
١٤٤	(٧)	(٤) تجارة الترانسيت مع ايران	٥٢١
١٤٤	(٨)	(٥) موازنة التجارة	٥٢١
١٤٥	(٩)	(٦) احياء التجارة العراقية	٥٢١
١٤٩	(١٠)	٥- الصناعة	
١٤٩	(١١)	(١) الصناعات الفردية	٨٢١
١٥٠	(١٢)	(٢) انحطاط الصناعات القديمة	٨٢١
١٥١	(١٣)	(٣) الصناعات الفنية	٥٢١
١٥١	(١٤)	(٤) صناعات القرى	١٢١
١٥٢	(١٥)	(٥) المشكلة الصناعية	٢٢١
١٥٣	(١٦)	(٦) ظهور الصناعة الحديثة	٢٢١
١٥٤	(١٧)	(٧) الصناعات الزراعية	٢٢١
١٥٥	(١٨)	(٨) حالة العمال	٥٢١
١٥٥	(١٩)	٦- مالية الدولة	
١٥٨	(٢٠)	الفصل الخامس : المشاكل الصحية	

(ك)

الصفحة	
١٥٩	١- تقدم الحالة الصحية حتى الآن
١٦٢	٢- مالية المؤسسات الصحية
١٦٣	٣- قلة الموظفين الصحيين
١٦٧	٤- قلة التسهيلات الصحية
١٦٩	٥- المحاجر الصحية والحج ونقل الموقى
١٧١	٦- الجهل والخرافات
١٧٣	٧- العادات القبيحة غير الصحية
١٧٩	٨- تنظيف الشوارع ونقل الاوساخ
١٨٣	٩- المساكن
١٨٣	(١) البيوت في المدن
١٨٦	(٢) الاكواخ
١٨٦	(٣) الصرائف وبيوت القصب
١٨٧	(٤) الخيم
١٨٨	١٠- مياه الشرب
١٨٨	(١) الانهر والترع والمستنقعات
١٨٩	(٢) الآبار
١٨٩	(٣) الينابيع
١٩٠	١١- المأكولات
١٩٤	١٢- احصاء الولادات والوفيات
١٩٩	١٣- وفيات الاطفال

(ل)

(٥)

الصفحة

٢٠٧	١٤ - مكافحة الامراض الشائعة	٢٥١
٢١١	١٥ - وصف الامراض المهمة	٢٥١
٢١٢	(١) الملاريا	٢٥١
٢١٦	(٢) التراخوما	٢٥١
٢١٨	(٣) حبة بغداد او الاخت	٢٥١
٢١٩	(٤) الطاعون	٢٥١
٢٢٢	(٥) الهیضة	٢٥١
٢٢٤	(٦) البلهارزيا	٢٥١
٢٢٥	(٧) الانكيلوستوما	٢٥١
٢٢٦	(٨) السل	٢٥١
٢٢٨	(٩) الامراض الزهرية	٢٥١
٢٣١	الفصل السادس : المشاكل الاجتماعية	٢٥١
٢٣١	١ - المرأة والطفل والحياة العائلية	٢٥١
٢٣٤	(١) الزواج	٢٥١
٢٣٦	(٢) الطلاق	٢٥١
٢٣٦	(٣) الزواج عند غير المسلمين	٢٥١
٢٣٧	(٤) الحجاب	٢٥١
٢٣٩	(٥) المرأة عند العشائر	٢٥١
٢٤٢	(٦) اثر هذه الحالة في العائلة	٢٥١

الصفحة		
٢٤٣	(٧) اثر هذه الحالة في الحياة الاجتماعية	٢٧٢
٢٤٤	(٨) الاسلام ورفع مستوى المرأة	٢٧٢
٢٤٦	(٩) المستقبل	٢٧٧
٢٤٧	(١٠) الاطفال	٢٨٢
٢٤٩	٢- الحياة عند العشائر	
٢٥٠	(١) هجرة العشائر	
٢٥٠	(٢) حياة القبائل وخصائصها	
٢٥٣	(٣) نظام العشائر	
٢٥٣	(٤) وسائل العيش	
٢٥٤	(٥) تحضر العشائر وأسبابه	
٢٥٥	(٦) ادوار التحضر	
١٥٧	(٧) مشاكل التحضر	
٢٦١	٣- الحياة في المدن	
٢٦٣	٤- قضاء اوقات الفراغ	
٢٦٥	(١) عند العشائر	
٢٦٧	(٢) في المدن	
٢٦٧	٥- المعتقدات الخرافية	
٢٦٨	(١) الصحة والمرض	
٢٧١	(٢) الارواح والشياطين	

(ن)

الصفحة	المصفاة
٢٧٤	(٣) الاطفال والحمل ٧٣٢
٢٧٦	(٤) تعليل المظاهر الطبيعية والحيوانية ٧٣٢
٢٧٩	(٥) الفأل والتنبؤ والخوف والاحلام وغير ذلك ٧٣٢
٢٨٣	٦ - الخاتمة ٧٣٢
	بالشفاة بيده الشفاة ٧٣٢
	بالشفاة بيده (١) ١٥٢
	لرسم الشفاة بيده (٢) ١٥٢
	بالشفاة والفا (٣) ٧٥٢
	شفاة بيده (٤) ٧٥٢
	بالشفاة بيده (٥) ٥٥٢
	شفاة بيده (٦) ٥٥٢
	شفاة بيده (٧) ٧٥٢
	شفاة بيده ١٢٢
	شفاة بيده ٧٢٢
	شفاة بيده ٥٢٢
	شفاة بيده ٧٢٢
	شفاة بيده ٧٢٢
	شفاة بيده ٨٢٢
	شفاة بيده ١٢٢

الفصل الاول

العراق بلاداً وشعباً

١ - مقدمة

العراق او ما بين النهرين قطر عريق في القدم ومهد لحضارة من اقدم الحضارات التي عرفها التاريخ. وقد تعاقبت عليه دول وامبراطوريات عظيمة متعددة كان لها شأنها في سالف العصور. وآخر هذه الدول هي التي تألقت رسمياً في ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢١ ودخلت عضواً في عصبة الامم كدولة مستقلة ذات سيادة في تشرين الاول سنة ١٩٣٢ .

يحد العراق من الشمال تركيا ، ومن الشرق ايران ، ومن الجنوب الخليج الفارسي وامارة الكويت والمملكة العربية السعودية ، ومن الغرب سوريا وشرقي الاردن . ومساحة العراق ١٤٣ الف ميل مربع ، وعدد سكانه ٢٨٢٤٩٠٢٨٢ حسب احصاء سنة ١٩١٩ ، ولكن الارجح ان هذا العدد يزيد على الثلاثة ملايين .

٢ - سطح العراق^(١)

يقسم العراق من حيث خواصه السطحية الى اربعة اقسام مهمة ابتداء

(١) ان اهم المراجع التي تبحث عن سطح العراق هي :

(a) Great Britain, Foreign Office (Historical Section) Peace Handbook.No. ٤3 ; Mesopotamia, pp. 1-5 ; (b) League of Nations, Question of the Frontier Between Turkey and Iraq , pp . 20-24

(c) Hay, W.R. Two years in Kurdistan, Chap. 2. (d) Encyclopaedia Britannica 12th. edition , articles on Arabia and Mesopotamia

(e) Musil. Alois, the Middle Euphrates, A Topographical Itinerary

من الجنوب الغربي وأجماً نحو الشمال الشرقي : الصحراء ، السهول المنبسطة ،
السهول المرتفعة ، والجبال .

أما الصحراء فتعرف ببادية الشام وهي نجد قاحل أعلى ارتفاعاً عن
سطح البحر من السهول العراقية . وتبدأ من ناحية العراق قريباً من ضفة
نهر الفرات اليمنى وتمتد غرباً فتخترق الحدود العراقية الى سوريا وشرقي
الأردن والمملكة العربية السعودية .

وليست بادية الشام والصحراء الشمالية مدى شاسعاً من الرمال المتحركة
على حسب ما يتصوره الكثيرون ، بل هي هضاب محصبة تتخللها وديان
قد جف ماؤها الا بعد سقوط المطر ، وقد نجد فيها البقع الرملية في بعض
المحلات ولكن لا وجود للقفار الرملية الواسعة الا في النفود الواقع في الصحراء
العربية خارج حدود العراق . وقد نجد أيضاً في بعض التلال والجبال غير
المرتفعة الا انها لا تكون سلسلة مهمة من الجبال . وسكان الصحراء هم من
القبائل العربية الرحالة يتنقلون فيها طلباً للكلاء لجمالهم ، وعدد هم ضئيل
بالنسبة الى مساحة الصحراء . أما النباتات التي تنمو في الصحراء فأهمها
العشب والدغل اللذان يفتتان في فصلي الشتاء والربيع المطيرين ولكن
يجرقهما هجير الصيف اللافتح .

ويعقب الصحراء السهول المنبسطة التي تشمل معظم سطح العراق .
وهي تبتيديء شمالاً من مدينة بلد على دجلة ومن هيت على الفرات وتمتد
متجهة نحو الجنوب والشرق حتى الخليج الفارسي . وتتكون أكثر هذه
السهول من رسوب الغرين الكاسي الذي يحمله الرافدان من جبال كردستان .

فهي وأحالة هذه اوطأ سطحاً من الصحراء ولا ترتفع كثيراً عن سطح البحر حتى أن مدينة بغداد ، التي تبعد ٣٦٠ ميلاً بخط مستقيم عن الخليج الفارسي لا يزيد ارتفاعها فوق سطح البحر أكثر من ١٠٥ اقدام . وتكاد لا نجد في هذه السهول من المرتفعات غير التلال المتكونة من انقراض المدن القديمة أو بقايا الترع المندثرة .

وقد اشتهرت هذه السهول بخصبها النادر حتى اطلق عليها في الازمنة القديمة اسم « مخزن غلال العالم » . وكان لها نظام للري واسع النطاق . اما اليوم فقد نضبت مياه معظم قنواتها بعد ان اهملت قروناً عديدة واضمحلت المدن التي كانت واقعة عليها . وتكاد تنحصر الزراعة اليوم في البقاع الواقعة قريباً من ضفاف الانهر والترع لا تبعد عنها الا بضعة اميال . والجانب الاكبر من هذه السهول هو اليوم قفر يابس الا انه اذا ما روي جاء بمحصول زراعي وافر . وهذه السهول مسكونة بأجمعها تقريباً من العرب او من الناطقين بالعربية^(١)

وتأخذ السهول المنبسطة بالارتفاع التدريجي من مدينة بلد في جنوبي سامراء . على ان القسم الثالث من سطح العراق وهو السهول المرتفعة لا يبتديء حقيقة الا بوصولنا الى جبال مكحول وحمربن حيث ترتفع الارض فجأة . وتمتد السهول المرتفعة شمالاً وغرباً الى ما وراء الحدود السورية لا تقطعها الا سلسلة جبل سنجار . واما شرقي دجلة فيقطعها جبال قره جوك

(١) وهناك جماعات فارسية الاصل تسكن في بغداد والكاظمية وكر بلاء . ونجد بعض الاكراد - النازحين من كردستان الفارسية - في بغداد وفي المدن الصغيرة الواقعة بين العزبة والكيميت .

ومقلوب ثم تتصل بالجبال الكردية فيما وراء كركوك وأربيل وجانب عظيم من السهول المرتفعة خصب جداً وكثافة سكانها لا بأس بها بالنسبة إلى غيرها وأما الجبال الواطئة فتتكون معظمها من الصخور الرملية وترتفع إلى علو ١٥٠٠ قدم بين الجبال والسهول .

إن السهول المرتفعة هي بقعة الانتقال من الوجهتين الجيولوجية والجنسية . فمن الوجهة الجيولوجية هي بقعة الانتقال بين الجبال الشمالية الشرقية والسهول الرسوبية في الجنوب ومن الجهة الجنسية هي حامة الوصل بين السكان الساميين القاطنين في السهول وغير الساميين القاطنين في الجبال وسكانها مزيج من العرب والاكراذ والتركان والاراميين واليزيدية .

والقسم الرابع من سطح العراق هو سلاسل الجبال الممتدة من زاخو وعمادية ، قرب الحدود التركية ، إلى لواء السلمانية قرب الحدود الإيرانية . وهذه الجبال هي في الواقع جزء من سلاسل الجبال الممتدة من البحر الأسود إلى الأناضول شمالاً إلى الجنوب الغربي من إربان مختزقة قسم الشمال الشرقي من العراق . ويتراوح علو قمم هذه الجبال عند الحدود الإيرانية بين ١١٠٠٠ قدماً و ١٤٠٠٠ قدماً عن سطح البحر . وبعض أقسام هذه الجبال صخري قاحل وبعض الآخر مغطى بالأشجار وتكثر فيه القرى . ويسكن الجبال على الأكثر الاكراذ منهم سكان القرى المستقرن ومنهم من ينسب إلى القبائل .

٣ - الأنهار

ربما كانت أهم العوامل الجغرافية في حياة العراق . وهي تتكون

من الرافدين ، وتوا بهما ، ومن الترع التي تتفرع منهما .

ينحدر دجلة من بئاع كردستان التركية ويسير متجهاً الى الجنوب الشرقي حتى يلاقي الخابور على الحدود العراقية التركية . اما الفرات فينحدر من بئاع كردستان ايضاً ولكن من منابع واقعة شمال دجلة . ثم يتجه الى الجنوب الغربي ويقطع مسافة غير قليلة قبل ان يعرج الى الجهة الجنوبية الشرقية . ثم يسير النهران متقاربين الى بعضهما حتى يكادا ان يتعانقا فيما بين الفلوجة وبغداد إذ لا تزيد المسافة بينهما في هذه البقعة على الاربعين ميلاً ولكنهما لا يلبثان ان يبتعدا وتبلغ المسافة في النهاية الكبرى لابتعادها نحو مائة ميل ثم يأخذان ثانية في الاقتراب حتى يتلاقيا عند القرنة فيكونان شط العرب . وكانت تسمى البقعة المحصورة بين النهرين من بغداد الى القرنة في التاريخ القديم بسهول بابل الخصبية ، ولكنها الآن ارض جرداء ماعدا حوض شط الفراف . ويبلغ طول شط العرب نحو مائة ميل .

ولدجلة خمسة توابع تقع كلها في شرقيه . وتخرج دجلة في مسيرها كثيراً بعد بغداد وهذا يؤدي الى طفيان المياه على جانبيه وقت الفيضان حتى اذا دخل السهول المنبسطة الواطئة قرب العمارة كون مستنقعات واسعة على كلا الجانبين ودجلة وافر المياه وعلى الأخص في اوقات الفيضان ولذلك فهو يصلح للملاحة وتسير المراكب النهرية بين بغداد والبصرة .

اما الفرات فله تابع واحد داخل الحدود العراقية ، ومستواه في البقعة الواقعة بين الرمادي والديوانية أعلى من مستوى السهول الواقعة على جانبيه ومن مستوى نهر دجلة فلا غرابة والحالة هذه ان وجدته يفر منه الاراضي

بالمياه في اوقات الفيضان . وكانت القنوات في المصور الاولى تسهل توزيع المياه على هذه السهول وتخفف من اخطار الفيضان ^(١) ، ولكنها الآن مهتمة ولم يبق منها غير قناة الصقلاوية (قناة عيسى القديمة) التي تصب في بحيرة صغيرة قرب بغداد وبعض الاقنية الاخرى التي فتحت بعد الحرب العامة .

يتشعب الفرات بعد المسيب الى فرعين يسمى الغربي منها بشط الهندية والشرقي بشط الحلة . ثم يلتقي الفرعان قرب الساوة على مسافة ١٢٠ ميلا جنوب المسيب والبقعة المحصورة بين هذين الفرعين هي من اخصب اراضي العراق واكثرها كثافة في السكان . ويمتد الفرات بعد الساوة باراضي منخفضة بالنسبة لسطح نهر دجلة فينحدر اليه من هذا النهر شط الغراف الذي يتشعب من دجلة عند الكوت وينحدر جنوباً حتى يصب بالاهوار قرب الناصرية وهذه بدورها تتصل بالفرات . ويغطي الفرات على جانبيه بعد الناصرية وسوق الشيوخ قيعان مستنقعات واسعة جداً وعلى الاخص في اوقات الفيضان . وقد اخذ الفرات الجنوبي يحفر لنفسه مؤخراً مجرى جديداً غير مجراه الاصلي يتصل بشط العرب عند كرمة علي بدلا من القورنة وقد استعمل الانكباب هذا المجرى اثناء الحرب لتسيير البواخر بين شط العرب والفرات ووصل الناصرية بالبصرة فلما انقضت الحرب

(١) راجع عن نظام الري القديم مقال الانسكويديا البريطانية Iraq-Arabi الطبعة الحادية عشرة المجلد ١٤ . راجع عن حالة القنوات في المصور القديمة كتاب :
Le Strange, Lands of the Eastern Caliphate, pp. 24-85 .

اهمل فنجمعت فيه الاتربة فلم يعد يصلح للملاحة^(١).
 يبلغ الرافدان النهاية العظمى للانخفاض بين شهري تموز وتشرين
 الثاني ثم يأخذان في الارتفاع في كانون الاول بسبب الامطار في الجبال
 الشمالية. اما فصل الفيضان الذي فيه يبلغ الرافدان أعلى ارتفاعهما فهو بين
 آذار وايار. ويحدث الفيضان احياناً اضراً جمة اذا لم تؤخذ الاحتياطات
 اللازمة. ولذا فقد شرعت الحكومة العراقية حديثاً في اتخاذ ما يلزم من
 الاحتياطات في اوقات الخطر^(٢).

ولا حاجة بنا لبيان ما للرافدين من الهمية في حياة العراق، إذ لولاها
 لكان الراق — عدا الاقسام الجبلية الشمالية — جزءاً من الصحراء
 القاحلة الممتدة في الغرب. وبوسعنا ان نتصور ما قد تكون عليه حالة العراق
 بدون الرافدين بمشاهدة البقاع الخالية من الماء البعيدة عن النهر، تلك التي
 كانت تسقيها الترع سابقاً ولكنها أصبحت الآن قطعة صحراوية قاحلة.
 فيتضح لنا من كل ذلك ان انهر العراق من العوامل المهمة في حياته الاقتصادية
 وان مكائفة فيضانها وتوزيع مياهها — عدا عن العناية بالملاحة فيها —
 من الامور التي يتوقف عليها رخاء العراق الاقتصادي في المستقبل.

٤ - المناخ

مناخ العراق قاري يمتاز بالفرق الكبير بين درجة الحرارة في الصيف

(١) راجع طه الهاشمي: مفصل جغرافيه العراق ص ١٤٩

(٢) حكومة العراق، دائرة الري، تداير موسم الفيضان لسنة ١٩٢٨ وغيرها

والشتاء ، هذا عدا عن اختلاف الحرارة اختلافاً بيناً بين الليل والنهار. وقد تبلغ درجة الحرارة في الصيف ١٢٠ ف. وقد وصلت درجة الحرارة العليا ١٢٨ ف في الظل في سنة ١٩٢١ . وها نحن نورد المعدل اليومي الأعلى لدرجات الحرارة لمدة ٣٢ سنة لسنة ١٩٢١ (١).

١٩٢١	١٩٢٠—١٨٨٧	
١٢١ر٥ ف	١٠٥٧ ف	البصرة
١١٥ر٨ ف	١٠٩٢ ف	بغداد
١١١ر٥ ف	٩	الموصل

والحرارة في العراق الشمالي والأوسط أخف وطأة منها في الجنوب وجفاف الهواء في الشمال يخفف شدة الحرارة بينما الرطوبة الناتجة عن التبخر من الخليج والاهوار تزيد في شدة الحرارة على سكان الجنوب وتتلطف ليالي الصيف في العراق بهبوب النسيم من الشمال . اما درجة الحرارة في الشتاء فهي واطئة بالنسبة الى حرارة الصيف . وقد سجلت في الموصل درجة حرارة وصلت الى الصفر فرنهايت ، وفي بغداد سجلت درجة ١٩ ف في الشتاء في شهري كانون الاول والثاني (٢).

٤٧ ف (٨ منتفرد)	البصرة
٤٠ ف (٤ «)	بغداد
٣٩ ف (٢ «)	الموصل

(1) Iraq Government, Department of Agriculture, Administrative Report for the year 1921, p. 2-3

(٢) راجع Handbook of Mesopotamia ص ٥

يبتدئ الصيف في الجنوب في منتصف شهر نيسان تقريباً ويتأخر في الشمال عن ذلك بنحو شهر، ويستمر حتى ايلول او تشرين الاول تبعاً للموقع شمالاً او جنوباً وتبعاً لارتفاع الارض او انخفاضها وهكذا يستغرق صيف العراق مدة لا تقل عن الاربعة اشهر في الشمال ونحو ستة اشهر في الجنوب. وتثور في الربيع والصيف احياناً عواصف رملية مزعجة تملأ الجو سحباً كثيفة من التراب. وقد تبلغ شدتها حداً يعرقل المواصلات ويجعل النظر الى حد ابعد من خمس عشرة او عشرين متراً في شوارع بغداد صعباً جداً. ويختلف المناخ في الجبال عن السهول كثيراً فهو باستثناء الجبال الواطئة المحاذية للسهول معتدل في الصيف وشديد البرودة في الشتاء.

والامطار قليلة في الجنوب لا تساعد على الزراعة المنظمة من دون مشاريع الري وهي في الشمال أغزر من ذلك فتكون كافية لري الاراضي الزراعية في بعض السنوات وغير كافية في السنوات الاخرى فتتلف المزروعات من جراء ذلك. ويبين الجدول الآتي معدل سقوط الامطار في المدن الكبيرة:

عدد السنوات	معدل سقوط المطر السنوي
١٨	٦٦٦٨ عقدة البصرة
٢٩	٦٦٦٤ « بغداد
٤	١٦٦١٧ « الموصل

وتسقط الامطار على الاكثر في الشتاء والربيع. وعلى الاخص في كانون الاول وكانون الثاني وشباط وآذار. واما في الشمال فتسقط الامطار في نيسان

وبعض ايار ايضاً . ولا يسقط المطر في الصيف ولا سبأ في حزيران وتموز
وأغسطس .

٥ - السكان

ليس لدينا احصاء رسمي صحيح لسكان العراق فقد كان من المتعذر
حتى في السنوات التي تلت الحرب العامة اجراء احصاء دقيق لتخوف
الاهالي من الاحصاء واعتبارهم اياه خطوة اولى الى التجنيد الاجبارى
وزيادة الضرائب . فالارقام التي نوردتها ادناه اذاً ليست الا تقديراً
تقريبياً (١) .

ان عدد نفوس العراق بموجب احصاء سنة ١٩١٩ هو ٢٨٤٩٢٢٨٢
نسمة ، وهو في الاحصاء التمهيدى لسنة ١٩٣٤ الذي يشتمل على تعداد
البيوت المأهولة فقط (ما عدا العشار الرحالة) نحو ٣٨٤٠٣٩٣٠ نسمة .

(١) لقد قامت الحكومة باجراء احصاءات تقديرية خمس مرات . الاولى سنة
١٩١٩ وهو الاحصاء الذي قامت به السلطة الانكليزية في العراق . ومع انه لم
يكن احصاء دقيقاً فقد بقي لمدة طويلة الاحصاء الوحيد الذي يعول عليه . واجرئ
الاحصاء الثاني سنة ١٩٢١ لمعرفة نفوس الموصل فقط . واجرئ الاحصاء الثالث
سنة ١٩٢٣-١٩٢٤ لمعرفة نفوس ولاية الموصل ايضاً اي الوية الموصل واريل
وكركوك والسليمانية . واجرئ الموظفون الاداريون احصاء تقريبياً سنة ١٩٣٠ .
واخيراً اجرئ احصاء تمهيدى في اوائل سنة ١٩٣٤ اشتمل على تعداد البيوت
المأهولة فقط ولم تنشر نتائجها . وتقوم الحكومة العراقية عند كتابة هذه السطور باجراء
احصاء دقيق لسكان العراق . تجد احصاء عام ١٩١٩ مذكوراً بموجب الالوية في
الانكلوبيديا البريطانية ، الطبعة ١٢ المجلد ٣١ ، ص ٩١٦ في مادة Mesopotamia
راجع عن نفوس الموصل تقرير لجنة عصبة الامم عن حدود الموصل ص ٣١ . راجع
ايضاً قويم العراق الذي اصدرته جريدة العراق سنة ١٩٢٣ ص ٢٠٤-٢٠٥ ،
وتقرير دوسن في كيفية التصرف بالاراضي والمسائل المتعلقة بذلك .

وها نحن نورد في الجدول الآتي عدد السكان حسب الاحصائين المذكورين موزعاً بموجب الالوية ويمكن للقاري ان يستدل على عدم ضبط الاحصاء من التفاوت الكبير بين هذين الاحصائين .

١٩٣٤	السنة ١٩١٩	
٣٧٤٦٧٠٨	٤٥٠٦٣٧٨	الموصل
١٤٤٦٠٢٩	١٠٦٦٠٠٠	اربيل
١٦٦٦٩٠٧	٩٢٦٠٠٠	كر كوك
١١٤٦٦١٩	١٥٥٦٠٠٠	السليمانية
١٨٤٦٧٨٦	١٠٤٦٠٣٦	ديالى
٤٣٧٦٤٤٧	٣٣٠٦٩٧٠	بغداد
١٠٦٢٦٠	٢٥٠٦٠٠٠	الدليم
٩٥٦٢٦٣	١٧٣٦٠٠٠	كر بلاه
٢٠٢٦٧٢٩		الحلة
١٢٣٦٨١٠	١٠٧٦٩٩٨	الكوت
٢٤٣٦٨٧٤	٢٠٤٦٥٠٠	الديوانية
٢٠٤٦٦٧٨	٣٢٠٦٠٠٠	المنتفك
٢٦٩٦٢٣٤	٣٠٠٦٠٠٠	العمارة
٣٤٧٦٠٤٠	١٦٥٦٦٠٠	البصرة
٢٩٩٣٠٦٣٨٤	١٩٨٤٩٦٣٨٢	المجموع

على ان من يقدم على دراسة سكان العراق من الوجهة الاجتماعية لا يجب ان يكتفي بدراسة توزيع السكان من الوجهة الادارية فقط بل عليه ان يدقق الاحصائيات من وجوه اخرى متعددة ، ولقد كان بودنا ان نورد احصائيات تبين توزيع السكان حسب طرق معيشتهم من عشائر وقرويين ومدنيين ولكننا لم نعتز على احصائيات مفصلة ولو تقريرية في هذا الباب . وها نحن نورد توزيع السكان حسب الاديان على ما جاء في احصاء سنة ١٩١٩ ولا بد لنا من ان نحدد القاريء ان هذه الارقام ليست مضبوطة كل الضبط .

التوزيع المذهبي للسكان :

اجري احصاء سنة ١٩١٩ على الاساس المذهبي بموجب الجدول الآتي :

٢٦٦٤٠٦٧٠٠	المسلمون
٨٧٦٤٨٨	اليهود
٧٨٦٧٩٢	المسيحيون
٤٢٦٣٠٢	اديان مختلفة (كالصابئة والشبك واليزيدية الخ)
٢٦٨٤٩٦٢٨٢	المجموع

التوزيع العنصري للسكان :

وهناك ناحية اخرى مهمة يمكن ان ندرس منها توزيع سكان العراق وهي الناحية العنصرية واللغوية ، وقد عمل المؤلف جهده لوضع جدول يبين توزيع السكان حسب العناصر مستنداً على بضعة مصادر . وقد توصل بعد

الجهد الى الادرقام التالية وهي بالطبع تقريرية غير مضبوطة كل الضبط (١).

٢٦١٩٦٦١٨٨	العرب
٤٩٤٦٠٠٧	الاكراذ
٨٧٦٤٨٨	اليهود
٣٨٦٦٥٢	التركان
٢٦٦٢٥٧	البيزيدية
٢٥٦٠٠٠	الآثوريون
<hr/>	
٢٦٨٥٧٥٦٢	المجموع

ويجدر بنا ان نوضح هنا ما نقصد بكلمة « عنصر » فهي لا تعني جماعة نقية يدمها لم يخالظها دم عنصر آخر فان بلاد الشرق الادنى ، وعلى الاخص العراق منها قد افتتحتها امم وعناصر متعددة خلال الوف السنين الماضية وما من امة افتتحت العراق الا وتركت طابعها على سكانه . ولذلك نرى الدماء في الشرق الادنى والعراق مختلفة على اتنا نجد اليوم قبائل ذات دم عربي تقي نوعاً تقطن الصحراء غربي الفرات . ونجد عشائر ذات دم كردي تقي نوعاً ما تقطن اعالي جبال كردستان في الشمال . ونجد بين هذين الطرفين خليطاً من عناصر سامية وآرية ومغولية .

يستدل من الاحصاءات السابقة ان العرب يؤلفون الاكثرية الساحقة في العراق . وقد خلعوا خواصهم الجنسية على كل العناصر التي دخلت

(١) من هذه المصادر الانسكلوبيديا البريطانية ، الطبعة ٢١ مادة Mesopotamia مجلد ٣١ ص ٦١٩ وتقرير لجنة عصابة الامم عن جهود الموصل ص ٣١

العراق نظراً لطول المدة التي أقاموها في وادي الرافدين كمنصر متغلب ونظراً
أيضاً إلى أن الإسلام ، وهو دين ٩٣ بالمائة من السكان ، هو دين
عربي .

وسكان الجنوب عرب على الاطلاق الا ما ندر . اما في الشمال فان
العرب هم الاكثرية في الجهة الغربية من دجلة ولكنهم أقلية في الجهة
الشرقية ويسكنون على الاغلب قريباتاً من ضفة نهر دجلة .

ويؤلف الاكراد اكبر أقلية عنصرية في العراق ويبلغ عددهم نحو
نصف مليون او نحو ١٧ بالمائة من مجموع سكان العراق . واكراد العراق أقل
عدداً من ايران او تركيا . فعددهم في ايران نحو ٧٥٠ ألفاً وفي تركيا
١٦٥٠٠٠٠٠ نسمة . اما اصلهم فليس سامياً ولا يعرف ما هو بالضبط
ولكن لغتهم قريبة من اللغة الفارسية مما يجعل على الاعتقاد على أنهم آريون ،
ويسكن الاكراد الاقسام الجبلية الشمالية ويؤلفون الاكثرية في الوية
اربييل والسليمانية . اما في لواء الموصل فلا تزيد نسبتهم على ٣٠ بالمائة من
مجموع السكان . وينقسم الاكراد الى قسمين ، فاكراد الموصل واربييل
يتمون بنسبهم الى اكراد تركيا ويتكلمون لهجة كردية خاصة . واكراد
الجنوب في كركوك والسليمانية يتمون الى اكراد ايران ويتكلمون لهجة
كردية تختلف عن لهجة الشمال .

اما التركمان فقسم منهم من نسل الجنود المرتزقة الذين ادخلهم بعض
خلفاء بني العباس في العراق ليدافعوا عنهم في القرن التاسع والعاشر للميلاد
والقسم الآخر من نسل الاقوام التركية والمغولية التي اجتاحت شمال العراق

اتناء العصور الوسطى^(١) . ويسكن هؤلاء في المدن والقرى غربي الاقسام الكردية بين مندلي في الجنوب وكر كوك في الشمال . ويسكن بعضهم ايضاً في الاقسام الشمالية والغربية لمدينة الموصل وعلى الاخص في تلعفر وهم يتكلمون لهجة تركية خاصة كما ان قسماً كبيراً منهم يتكلم العربية . ويتكلم الذين يسكنون قريباً من الجهات الكردية اللغة الكردية ايضاً .

اما يهود العراق فغالبا الظن انهم من نسل الاسري اليهود الذين جاء بهم ملوك بابل الى العراق . وبما ان اكثرهم يحترف التجارة او الصناعة فهم يسكنون المدن الكبيرة ويتكلمون اللغة العربية .

واليزيدية في العراق طائفة سرية لم يكن يعرف عنها شيء كثير في السابق الا ان بعضاً من تعاليمها قد عرفت في السنين الاخيرة . ويسكن اليزيدية في القرى الواقعة في شمال شرقي الموصل ومركزهم الديني الرئيسي في شيخ عادي . ويسكن قسم منهم ايضاً في جبل سنجار غربي الموصل . اما اصلهم فغير معروف وهم يتكلمون لهجة من الكردية ويتكلم قسم منهم العربية ايضاً

اما الآتوريون فقد جاء بهم البريطانيون من ايران وتركيا قبيل الهدنة وكان قسم قليل منهم يسكن العراق في بعض البقاع المحاذية للحدود التركية الحاضرة . وليس هنالك ما يثبت انهم من الآشوريين سكان العراق القدماء بل هم من اصل آرامي ويتكلمون لهجة آرامية .

(١) راجع مقال الانسكلوبيديا البريطانية عن العراق الطبعة ١٢ مجلد ٣١

٦ - طرق المعيشة

يمكننا انقسم سكان العراق حسب معيشتهم الى طبقات اربع وهي العشاير الرحالة ، والعشاير نصف المتحضرة وسكان القرى وسكان المدن . وغني عن البيان ان هذه الطبقات لافصل واضح بينها وانما يشتبك بعضها ببعض فتشكل سائلة متتابعة تتدرج من الحياة البدوية الى الزراعية فالمدنية وليس لدينا احصاء لعدد كل طبقة من هذه الطبقات ولكننا نستطيع ان نقول بان العشاير بانواعها المختلفة تؤلف ما لا يقل عن نصف عدد السكان

اولا - العشاير الرحالة (١) :

تعرف هذه العشاير بالبدو او الاعراب . وتسكن الاقسام الصحراوية الممتدة غربي العراق وفي البقاع المحصورة بين الرافدين في الشمال والجنوب وفي الاقسام الجنوبية المحصورة بين دجلة والحدود الايرانية بين بغداد والعمارة وتعيش هذه العشاير في خيم من وبر الابل والمعز وتتنقل من محل الى آخر طلباً للكلاء والماء . اما اعمالها فتتخصص برعى الماشية والابل وكانت هذه العشاير في السابق يغزو بعضها بعضاً ولكن الغزو الآن قد اصبح صعباً عليها نظراً لرقابة الحكومة (٢)

(١) راجع عن العشاير الرحالة والنصف متحضره Ghaha , H. La Province de Bagdad , p. 235 .

(٢) Great Britain , Colonial office , Report of H. M Gov- ernment to the Council of the League of Nations on the Administration of Iraq , 1927 , pp , 65-66 .

ثانياً - العشائر نصف المتحضرة :

تسكن هذه العشائر على شواطئ الرافدين وهي مؤلفة من العشائر الرحالة التي استقرت في سكنها وولسكنها احتفظت بعاداتها وتقاليدها البدوية . ومن هذه قسم يزاول الزراعة فيقيم بجانب حقلة حتى انتهاء موسم الحصاد وعندئذ يستأنف حياته البدوية . والقسم الآخر كاد ان يستقر نهائياً ويمكن ان يعتبر من الوجهة الاقتصادية من جملة سكان القرى والارياف لولا احتفاظه بالتقاليد البدوية . ويسكن هؤلاء في اكواخ مصنوعة من مواد غير ثابتة كالقصب او اللبن . وتشاهد امثال هذه الاكواخ في الجنوب بجماعات منتشرة هنا وهناك تكون قرى صغيرة في الاهوار وعلى شواطئ دجلة والفرات وتواجهها وهذه القرى قريبة من اراضي العشائر الزراعية . وكثيراً ما ينقلها اصحابها فيقلعونها من مكانها وينشئونها ثانية في محل آخر .

ومن العشائر التي يمكن ان تعتبر نصف متحضرة المعدان^(١) وهم يسكنون اكواخاً قصبية وسط المستنقعات او في غابات من القصب . وهذه الاكواخ مبنية على شواطئ الاهوار او على جزر فيها او على اوتاد تدق في قعر الهور . ويشغل هؤلاء بزراعة الارز وتربية البقر والاغنام او بصنع السلال والحصران . وهم يتنقلون بين الاهوار بواسطة «المشاحيف» التي يصنعونها لهذا الغرض . وتدخل ضمن العشائر نصف المتحضرة القبائل الكردية الرحالة ونصف المتحضرة القاطنة في كردستان وهي تشبه القبائل العربية نصف

(١) راجع عن حياتهم 'Fulanain', Hajji Rikkan, Marsh Arab
وفلانين هذا هو اسم مستعار لاحد الموظفين الانكليز في العراق .

المتحضرة بمعيشتها . وتشغل هذه القبائل بالزراعة وفي رعاية المواشي ، وتسكن
 الاكواخ المصنوعة من الطين والحجارة المسقفة بالقش في فصل الشتاء .
 ثم تخرج الى البراري لقضاء فصلي الربيع والصيف ويمضي بعض هذه القبائل
 شطراً من الشتاء في الوديان ثم ينتقل الى الجبال العالية في الصيف وقسم
 منها يعبر الحدود العراقية الى ايران ويقضي هنالك فصل الصيف في الجبال
 ثم يعود الى العراق . لكن مثل هذه الهجرة قليلة عند الاكراد وليست كما
 هي الحالة عند القبائل العربية (١) .

ثانياً - سكان القرى :

الحياة في القرى على انواع فهناك من يسكن الاكواخ المصنوعة من
 الطين وهم على الاكثر من القبائل نصف المتحضرة ، كما ان هنالك من
 يسكن قرى كبيرة تقرب طرق معيشتها من المدن ، ويتراوح عدد سكان
 القرية الواحدة في العراق بين ٥٠ نسمة الى ٥٠٠٠ او اكثر وقد تكون
 القرية زراعية بحتة او قد تكون فيها بعض المرافق التجارية ومن القرى ماهي
 اسواق للعشائر يشترى منها حاجياتهم ويبيعون فيها حاصلاتهم فهي اشبه بمدن
 تجارية صغيرة منها بقرى زراعية .

اذا صرفنا النظر عن جماعات العشائر العربية نصف المتحضرة في
 الجنوب نرى ان القرى العراقية التي يسكنها سكان ريفيون دائمون تقع في
 الشمال . ويذكر كوفيه في كتابه « آسيا العثمانية » المطبوع في السنة ١٨٩٢

(١) راجع Hay . Two years in Kurdistan , pp . 45-47 راجع ايضاً

تقرير عصبة الامم عن حدود الموصل ص ٤٠-٤١

ان في ولاية الموصل ٢٣١٤ قرية^(١) - وولاية الموصل بموجب التقسيم الاداري العثماني السابق تشمل اليوم الوية الموصل واربيل وكر كوك و سلمانية - وقسم كبير من هذه القرى يمتلكها ملاكون من غير اهلها يقيمون في المدن ، او يمتلكها الاغوات من سكان القرى نفسها .

والفلاحون المقيمون في هذه القرى يستأجرون الاراضي من الملاكين لزراعتها بيد ان عدداً من فلاحي الشمال يمتلكون اراضيهم ويزرعونها لانفسهم .

رابعا - سطر المرد

ان اكثر مدن العراق هي مراكز تجارية لتوزيع البضائع على الاقسام المجاورة لها . وهي في الوقت نفسه ايضاً اسواق للمواد الزراعية والمصنوعات والحيوانات التي تأتي من القرى للبيع لسكان المدن او لتصديرها الى الخارج فالمدن من هذه الوجهة مراكز للتجارة الخارجية للعراق . و يوجد في المدن ايضاً بمض المعامل المحلية ولكنها قد غلبت على امرها نظراً لمزاحة المصنوعات الاجنبية لها . هذا وان قسماً لا بأس به من سكان المدن يشتغلون ايضاً بالزراعة او بالاعتناء بالبساتين واستثمارها .

(١) راجع Cuinet , Vital , La Turquie d'Asie : Geographie Administrative , Statistique , descriptive et Raisonnée de chaque Province de l'Asie Mineure, Vol , 2, pp. 814-15

الفصل الثاني

مشاكل العراق السياسية

ان المشكل السياسي الاساسي في العراق هو تنظيم دولة عراقية متحدة مستقلة ديموقراطية مؤسسة على النظم الحكومية الحديثة ، وضمان سير هذه الدولة المنظمة والمحافظة على كيانها . ويمكننا ان نضع الى جنب هذا الهدف هدفاً آخر سياسياً ، كان ولا يزال موضوع جهود مفكري العرب وزعمائهم في العراق وفي الاقطار العربية الاخرى وهو توحيد الشعوب العربية وتأليف اتحاد عربي بينها .

ان جميع مشاكل العراق الاخرى يمكن ان تعتبر تابعة لهذين المشكلين الاساسيين وداخلة في ضمنهما ويمكن تصنيفها كما يلي : (اولاً) المشاكل التي تنتج عن علاقات العراق الخارجية وعلى الأخص علاقاته ببريطانيا العظمى التي كانت سابقاً منتدبة عليه . ويدخل في ذلك مشكل حماية الحدود العراقية من اي اعتداء خارجي . (وثانياً) المشاكل الناتجة عن وضع العراق الداخلي وهي تشتمل على مشاكل الادارة الداخلية وحفظ الامن وتوحيد افراد الامة الى كتلة واحدة متحدة .

علاقات العراق الخارجية

١ - مع بريطانيا العظمى

العلاقات العراقية - الانكليزية قبل الحرب :

ان بريطانيا العظمى هي بلا شك اكثر الدول الاجنبية اتصالاً بالعراق في العصر الحاضر واذا اردنا ان نبحث عن اساس هذا الاتصال وأسبابه فلا يكفي ان نرجع الى احتلال بريطانيا للعراق اثناء الحرب العظمى ، ولا الى الدور الذي لعبته في تأسيس الحكم الوطني سنة ١٩٢١ ، ولا الى المساعدة التي قدمتها في قضية احتفاظ العراق بولاية الموصل ، كلا ولا يجب ان نكتفي بالنظر الى الانتداب الذي كان لبريطانيا على العراق ولا الى المعاهدات السابقة او الاخيرة الموقودة بين العراق وبريطانيا . اننا اذا اردنا ان نفهم العلاقات الانكليزية البريطانية فهماً تاماً علينا ان نرجع الى ما قبل ثلاثة قرون ونبحث عن نشوء المصالح البريطانية في العراق والبلاد المجاورة لها ونستعرض العلاقات التاريخية التي نتجت عن ذلك .

ان نشوء الصلات بين بريطانيا العظمى والعراق - تلك الصلات التي ادت اخيراً الى الاحتلال البريطاني في غضون الحرب - ليس الا نتيجة لنشوء الامبراطورية البريطانية في الهند . ومع انه كان بعض البريطانيين المخاطرين باسفارهم البحرية يعرجون على الخليج الفارسي قبل سنة ١٦٠٠ ويوزرون من حين الى آخر سواحل العراق وايران ، الا ان الصلات الحقيقية التي تألفت بين بريطانيا العظمى وسواحل الخليج الفارسي لم تتبدى الا بعد

ان تأسست شركة الهند الشرقية سنة ١٦٠٠ م . وكان الدافع الى تأسيس هذه الصلات انه كانت تزيد لدى شركات الهند الشرقية بضائع كثيرة من التي تجلبها من انكلترا او تصنعها في معملها في سوارت . من اعمال الهند . ولذلك عازمت على تصريفها في الخليج الفارسي ويران وذلك سنة ١٦١٦^(١) . بيد ان الانكليز وجدوا التجار البرتغاليين قد سبقوهم الى هذه الديار ولكنهم بالرغم من المنافسة الشديدة تحالفوا مع الايرانيين لمقاومة البرتغاليين فنجحوا في اخراجهم سنة ١٦٢٢ من جزر مضيق هرمز الواقعة على مدخل الخليج الفارسي . وكان هذا العهد مبدءاً اضمحلال النفوذ البرتغالي من الخليج ومغادرتهم لسواحله فيما بعد .

على ان البرتغاليين لم يكونوا المنافسين الوحيدين للانكليز في الخليج بل كانت منافسة الهولنديين لهم اشد حتى اضطروا الانكسار فيما بعد ان يبحثوا عن اسواق لبضائهم في شمال الخليج ونؤسسوا مركزاً تجارياً لهم في البصرة سنة ١٦٤٣ . وهكذا بدأت العلاقات التجارية بين العراق وانكلترا . وقد اتحدت العلاقات التجارية الهولندية بالتداعي من الخليج في اواخر القرن السابع عشر وبالزوال منه في منتصف القرن الثامن عشر ومنذ ذلك الحين انتقلت مراكز التجارة البريطانية من المواني الجنوبية في الخليج الفارسي الى البصرة وبوشير ومدن ايران الداخلية .

وظهر بعد ذلك الفرنسيون على مسرح المنافسة واخذوا بمهاجمة السفن الانكليزية في طريقها بين الهند والخليج ، وكانوا كثيراً ما يحددون

اضراراً فادحة لشركة الهند الشرقية وذلك في النصف الثاني من القرن الثامن عشر واولئل القرن التاسع عشر . فلم يكن من الانكليز الا ان عزموا على اخراج الفرنسيين واستئصال شأفة القرصنة التي كانت منقشرة انتشاراً هائلاً في الخليج وانقاذ حوضه من بلاياها . وقد تم ذلك لهم اخيراً واصبحوا مهيمنين على الخليج وتجارته لا ينافيهم فيه منازع وصارت مفتحهم تسير ذاهبة وراجعة فيه بامان . وقد قاموا ايضاً بمسح مفصل لسواحل الخليج ووصلوا موانيه بالاسلاك البرقية البحرية مع الهند .

وبعد ان تحولت ادارة الهند من شركة الهند الشرقية الى الحكومة البريطانية صارت انكلترا تعتبر الخليج الفارسي منطقة نفوذ لها وتحرص على حمايته من تدخل الدول وتسمى لمساعدة الامراء في الاقاليم التي على سواحلها من تدخل الدول المجاورة كالوهابيين في الجزيرة العربية والترك في الشمال . وقد عقد هؤلاء الامراء مع بريطانيا العظمى مقابل حمايتها لهم معاهدات تعهدوا بموجبها الا يتنازلوا عن شيء من اراضيهم لدولة اجنبية او يبيعون لها سواء كان ذلك لتأسيس مراكز تجارية للفحم او لاية غاية اخرى والا يدخلوا في مفاوضات لعقد معاهدة مع دولة اجنبية وان لا يسمحوا لاية دولة ان تؤسس قنصلية في ديارهم بدون استشارة الحكومة البريطانية^(١) . وحملت هؤلاء الامراء ايضاً على الرضا بان تكون الوسيط للفصل فيما يقع

(١) راجع كتاب Wilson الفصل ١٥ من ٢٢٢ - ٢٥٣ . ومن الامية يمكن ان يلاحظ القاريء ان مثل هذه الشروط موجودة في المعاهدة العراقية الاولى المنقذة في ١٠ تشرين الاول سنة ١٩٢٢ . راجع المواد ٤ ، ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٥ ، ٨ من هذه المعاهدة وقد يصح لنا ان نستنتج من هذه النقطة وامثالها ان بريطانيا اتبعت في العراق بعد الحرب سياسة وضعت اسمها ومبادئها منذ ما يزيد على المائة سنة .

بينهم من الخصومات . ومن الخطوات التي اتخذتها بريطانيا لتعزيز مركزها في الخليج بسطها نفوذها على اماراته (كما في الكويت والحمره) مقابل وعدها لها بمحايتها من اي خطر قد يهددها^(١) .

اما في العراق فقد ازداد النفوذ الانكليزي التجاري خلال القرن التاسع عشر ازدياداً مطرداً . وعين لبيداده مقيم Resident انكليزي سنة ١٩٢٨ صار فيما بعد يتمتع بمقوق كثيرة منها الاحتفاظ ببارجة حربية في دجلة امام الفنصلية وبحرس هندي خاص — كل ذلك داخل حدود الحكومة العثمانية المستقلة . وشرعت السفن التجارية الانكليزية تسير في دجلة . واستطاعت شركة انكليزية ان تحصل على احتمكار الملاحة في المياه العراقية سنة ١٨٦١ وكانت السفن التركية الوحيدة التي يحق لها ان تنافسها في ملاحه دجلة والفرات وشط العرب . ومن نتائج منح هذا الامتياز ان انتقلت مراكز التجارة الانكليزية الى المناطق الشمالية من الخليج ، وقد ساعد ذلك على جعل مدينة بغداد مركزاً عظيماً لتجارة الصادرات والواردات مع اواسط ايران وجنوبها حتى ان قيمة التجارة الانكليزية في العراق عن طريق الخليج الفارسي بلغت سنة ١٩٠٦ ما يقرب من ٦٠٠٠٠٠٠ ليرة انكليزية^(٢) وكان للانكليز ايضاً حق حمل بريدم الخاص في هذه البقاع .

(١) راجع كتاب Earle , E . M , Turkey , The Great Powers

And The Baghdad Railway , Chap , 15 , pp. 232-253 .

(٢) راجع Handbook , of Mesopotamia , pp. 22,25-26,28-31,99 , 69-98

لم تقف جهود الانكليز عند هذا الحد في استحصال المصالح الاقتصادية ففي الدور الذي اشتدت فيه المنافسة بين الدول للحصول على الامتيازات من الدولة العثمانية بين سنة ١٨٩٠ وسنة ١٩١٤ ، قام الانكليز يضعون الخطط لمشاريع اقتصادية جديدة ويطلبون لها امتيازات من الدولة العثمانية . فكشف المهندس الانكليزي السير وليم ولكوكس (بطلب من الحكومة العثمانية) ارض الرافدين ووضع تقريراً عن « الري في العراق » (١) . وكان الرأسماليون الانكليز يرون في مشاريع الري في العراق وسيلة لاستثمار ما لا يقل عن ٢٩٦.٠٠٠.٠٠٠ (٢) ليرة تركية من رؤوس اموالهم . حتى ان انكلترا ضمنت مصالحها في ري العراق في الاتفاقية الانكليزية الالمانية عن سكة حديد بغداد التي امضيت في ٥ حزيران سنة ١٩١٤ ولكن لم يعمل بها لانفجار بركان الحرب العالمية (٣) .

أضف الى ذلك ان شركة جديدة حصلت على حق الملاحة النهرية في كل من الفرات ودجلة وشط العرب (٤) . وكانت شركة النفط الانكليزية الفارسية ، التي تسيطر على شؤونها الحكومة البريطانية ، قد باشرت في حفر آبار النفط في الجنوب الغربي من ايران ووصلت هذه الآبار بانبوب الى مدينة عبادان الواقعة على شط العرب والقرية من الحدود العراقية . ولم يمكث

(١) راجع Willcocks, Sir Wm. ,The Irrigation of Mesopotamia, London, E. and F.N. Spon Ltd ; 1911.

Foreign office, Handbook, No. 93, P .55.

(٢) راجع كتاب

(٣) انظر صحيفة ٢٨ عن بعض تفاصيل هذه الاتفاقية وراجع كتاب ارل السابق

الذكر ص ٢٥٢-٢٦٥

(٤) كانت الشركة الاولى للملاحة هي شركة لنج وقد اندمجت بالثانية لتكبرن شركة

واحدة . راجع ارل ص ٢٥٨-٢٦٠

الانكليز بهذا فقط بل ساهموا ايضاً الامان في الحصول على امتياز شركة النفط التركية التي أفسح لها مجال العمل في كل من ولايتي الموصل وبغداد . وكان النصيب الاوفر من هذا الامتياز للرأسماليين الانكليز اذ كان لهم ٧٥٪ من مجموع اسهم الشركة والبقية للرأسماليين الالمان . فترى من ذلك ان الصلات الانكليزية في العراق كانت تزداد زيادة مطردة قبيل الحرب ، ولم تكن مقصورة على التجارة فحسب بل تعدتها الى استثمار رؤوس الاموال البريطانية ايضاً . وكان الانكليز يبنون آمالاً كبراً في القيام بمشاريع اقتصادية اخرى في وادي الرافدين .

بيد ان المصالح الانكليزية في العراق لم تكن اقتصادية فقط ، بل كانت ترمي الى النفوذ السياسي ايضاً ، وقد رأينا كيف ان متاجرة شركة الهند الشرقية في الخليج الفارسي أدت الى بسط سيطرة بريطانيا السياسية عليه ومنع تدخل اية دولة اخرى تدخل سياسياً او عسكرياً . ذلك ان الخليج الفارسي — وبالتالي العراق الاسفل — يطل على طريق الهند البري وقد بذلت بريطانيا جهوداً عظيمة في القرنين الماضيين لامتلاك جميع ابواب هذه الطريق وصد كل دولة اخرى عنها ، فاستولت على مضيق جبل طارق ومالطة وقبرص ومصر وقنال السويس وعدن وعملت كل ما في وسعها لاجباط المساعي التي كانت تبذلها روسيا لبسط نفوذها على تركيا وفارس وافغانستان في القرن التاسع عشر تخاضت غمار عدة حروب توصلت الى هذا الهدف .

وكانت روسيا ترمي من تدخلها في هذه البلاد ان تجد لها ولتجارتها منفذاً

الى البحر المتوسط والى البحر الهندي لأن مواسمها الشمالية واقعة على البحر المنجمد الشمالي مقفلة في معظم اشهر السنة من جراء الجليد. واصطدمت مصالح روسيا بمصالح بريطانيا في الشرق. وضاعفت تلك جهودها في ايران في اواخر القرن التاسع عشر فخشي الانكليز العاقبة وتراعى لهم ان روسيا انما تريد الوصول الى الخليج الفارسي فقاموا يعززون مركزهم فيه وراحوا يعقدون المعاهدات مع امراء العرب في الخليج كما اسلفنا ويحملونهم على التعهد ان لا يبيعوا او يعطوا اى بقعة من اراضيهم الى دولة اخرى. وكان المقصد من ذلك منع اية دولة اجنبية من تأسيس مراكز تجارية للفحم او قواعد بحرية. وقد صرح وزير الخارجية الانكليزية في مجلس اللوردات سنة ١٩٠٣ بان بريطانيا العظمى تعتبر تأسيس قاعدة بحرية او ميناء محصن في الخليج الفارسي من اية دولة اخرى تهديداً خطيراً لمصالحها وستقاومه بكل ما اوتيت من قوة (١)

ومما زاد في حذر بريطانيا وتخوفها على مركزها في الخليج الفارسي مشروع المانيا الخطير لمد خط حديدي بين برلين و بغداد والخليج الفارسي وقد عارضت هذا المشروع بشدة لتهديده مصالحها في الخليج (٢)

وكان اول ما اصطدم به الالمان عدم السماح لهم بوصول الخط الى الكويت وذلك لان أميره كان قد عقد معاهدة مع انكلترا اخذ فيها على

(١) اقتبسها ارل في كتابه الآنف الذكر من مذاكرات مجلس اللوردات. انظر ص ١٩٧ من كتابه.

(٢) راجع كتاب : Moberly, Brig-Gen. F.L., The Campaign in Mesopotamia, 1914-1918, H. M. Stationery Office, 1923, Vol. 1, pp 35-48.

نفسه عهداً الا يتنازل عن شي من امارته لاية دولة اجنبية . وقد دامت المقاومة الانكليزية لمشروع المانيا مدة لا تقل عن العشر سنوات . وكان من نتائج هذا المشروع ان تفاهت انكلترا وروسيا رغم عداوتها التاريخي على ضرب مشروع سكة حديد بغداد ، واتفقا على تقسيم ايران بينهما الى ثلاث مناطق : منطقة شمالية تحت النفوذ الروسي ومنطقة متوسطة محايدة ومنطقة جنوبية تحت النفوذ البريطاني وتم ذلك سنة ١٩٠٧ فاضطرت المانيا اذذاك ان تدعن لمقاومة بريطانيا وتتفق واياها على ان تكسفي بايصال خط برلين - بغداد الى البصرة فقط وان تعين عضوين انكليزيين في مجلس ادارة شركة سكة حديد بغداد وقد وضعت هذه الشروط ، مع اخرى غيرها ، في اتفاقية كادت ان تتم لولا اعلان الحرب العالمية التي كانت سبباً لاهمالها^(١)

الاحتلال البريطاني للعراق :

لقد كان من الطبيعي اذن ان ترسل بريطانيا العظمى حملة تهاجم بها تركيا وتحتل وادي الرافدين حين اشتعلت نيران الحرب العظمى وانضمت تركيا الى جناب الدول الوسطى^(٢) . وكانت القوات البريطانية العسكرية مرابطة في البحرين ومتحفزة للهجوم على العراق ، فانتقلت الى الفاو واحتلتها في ٦ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ . وكانت الدوافع لارسال هذه الحملة ، كما

(١) راجع ارل الفصول : ١٠٠٩٤٨

(٢) يظهر ان السلطات العسكرية البريطانية في الهند كانت تتوقع القيام بحركات حربية في جنوبي العراق منذ سنة ١٩١١ . وقد تألفت لذلك لجنة قدمت اقتراحا باحتلال الفاو والبصرة . راجع موبرتي ج ١ ص ٧٢-٧٣ : فترى من ذلك ان الانكليز كانوا يستعدون لاحتلال وادي الرافدين قبل الحرب العامة بثلاث سنوات وربما قبل ذلك بكثير .

تجربنا المصادر الانكليزية الرسمية (١) ، حماية شركة النفط الانكليزية الفارسية في عبادان التي كانت مورد الوقود للاسطول البريطاني وقد تقدمت الحملة متوغلة في الفتح حتى تمكنت بمدة اربعة وثلاثين يوماً من طرد الاتراك من البصرة وتحتل القرنة وقطعت بذلك مسافة تقرب من المائة ميل عن البحر .

ولانود ان نبحت هنا فيما اذا كان في نية الانكليز عند ابتداء حملتهم ان يتوغلوا في العراق حالاً ويستولوا على بغداد على الاقل ، فهذه قضية تحتمل الجدل وليست من شأننا هنا . الا انه من المؤكد لدينا ان الحملة كانت اصغر من ان تستطيع التوغل في داخل العراق . وكانت السلطات العسكرية البريطانية لاترغب في سحب بعض الفرق العسكرية من الجبهة الغربية في فرنسا لترسلها الى العراق . ولكن الحملة البريطانية رأت انه لا بد لها من التوغل في الفتح بعد ان احرزت شيئاً من النصر فكانت تلحق بالعدو

(١) راجع Bell, Gertrude, Review of the Civil Administration of

Mesopotamia, Cmd., 1191 London, H. M. Stationery office, 1920, p.3.

راجع ايضاً كتاب مويرلي ج ١ . الفصل السادس، ص ٩٩-١٠٢ و ٢١٩-٢٣٤ وقد ذكر مويرلي الاسباب الآتية لاحتلال الانكليز العراق .

«اولاً» احتمال قيام تركيا باعمال حربية في العراق تكون خطراً غير مباشر على مركز بريطانيا في مصر وفتح السويس .
«ثانياً» احتمال تدخل تركيا في اعمال شركة النفط الانكليزية الفارسية وقطع النفط عن الاسطول البريطاني .

«ثالثاً» الخوف من ان يتزعزع نفوذ بريطانيا في الخليج الفارسي .
«رابعاً» اعلان الخليفة للجهاد واحتمال انضمام ايران وافغانستان الى تركيا في محاربة الخلفاء . وقد اراد الانكليز بحملتهم على العراق ان يجعلوا احتمال وقوع مثل هذا الامر بعيداً . راجع مويرلي ج ١ ص ٧١ - ٧٢ .

بعد كل موقعة ، وكان قائدها بعد كل نصر يُلح على الحكومة البريطانية بالسماح له بالتقدم الى بغداد ^(١) . ولم تنته السنة الاولى من الحرب (تشرين الثاني سنة ١٩١٥) الا وكانت الحملة تستعد للهجوم على مدينة بغداد ^(٢) ومن المحقق ايضاً ان الحكومة البريطانية حينئذ كانت قد دخلت في مفاوضات مع فرنسا وروسيا لتقسيم الامبراطورية العثمانية — تلك المفاوضات التي انتهت اخيراً باتفاقية ماينكس - بيكو المنعقدة في ١٦ ايار سنة ١٩١٦

[١] راجع مورلي ج ١ ص ١٣٣-١٣٤

[٢] لا يهمننا هنا ان نعرض لذكر حوادث الحملة بالتفصيل . وخلاصتها ان الجيش البريطاني الذي كان معظم جنوده من الهنود احتل الفاو في ٦ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ والبصرة في ٢٢ منه ، والقرنة في ٩ كانون الاول . واحتل العمارة والناصرية في حزيران تموز من سنة ١٩١٥ . ثم حاصر الكوت في ٢٨ ايلول ومن ثم تقدم لاحتلال بغداد . الا ان المحاولة الاولى كانت فاشلة اذ اضطر الجيش البريطاني ان ينسحب الى الكوت فحاصره الاتراك اشهر الى ان اضطروه على التسليم سنة ١٩١٦ . ولم تتمكن الحملة من احتلال بغداد الا بعد مضي سنة اخرى فاحتلتها في ١١ آذار سنة ١٩١٧ . وصرفت الحملة السنة التي تلت احتلال بغداد في تثبيت مركزها في شمالي بغداد . ثم تقدمت لاحتلال كركوك في ايار سنة ١٩١٧ . ولما كانت الحملة على طريقها الى الموصل اعلنت الهدنة مع تركيا في ١٣ تشرين الاول سنة ١٩١٨ . ولكن تنازل الاتراك عن الموصل بموجب شروط الهدنة وقد كان لهذا الامر خطورته اذ اتخذته تركيا حجة للمطالبة بالموصل فيما بعد . راجع المصادر الآتية عن حوادث الحرب في العراق :

(١) كتاب مورلي الآنف الذكر وهو التاريخ الرسمي للحملة البريطانية في العراق

Townsend, Gen. Sir C. V., My Campaign in Mesopotamia, (٢)
London, Butterworth, 1920.

(٣) كان كاندل هذا مدون الحملة الرسمي
Candler, E., The Long Road
to Baghdad, Cassell, 1919.

بين انكلترا وفرنسا (١) وقد جرىء العراق بموجب هذه الاتفاقية الى

(١) تلخص مقررات اتفاقية سايبكس - بيكو فيما يلي : تقسم البلاد العربية المنسلخة عن الدولة العثمانية الى خمس مناطق :

الاولى : تسمى بالمنطقة الحمراء وتكون تحت ادارة الحكومة البريطانية مباشرة وتشمل ولايتي البصرة وبغداد من العراق وقرى حيفا وعكا من فلسطين

الثانية : تسمى بالمنطقة الزرقاء وتكون تحت ادارة الحكومة الفرنسية مباشرة وتشمل كيليكيا وجزءاً من الاناضول وقطعة من سوريا العربية

الثالثة : تسمى بمنطقة (ا) وتشكون جزءاً من الامبراطورية العربية تحت الحماية الفرنسية وتشمل ولايات الشام وحلب والموصل

الرابعة : تسمى بمنطقة (ب) وتشكون جزءاً من الامبراطورية العربية تحت الحماية البريطانية وتشمل الاراضي الواقعة بين فلسطين والعراق

الخامسة : تسمى بالمنطقة السوداء وتشكون تحت ادارة دولية وتشمل فلسطين . وقد ضمنت هذه الاتفاقية في رسائل تبودلت بين وزارتي الخارجية الفرنسية الانكليزية وبجهد القاريء نصها في كتاب :

Loder, J. de V., The Truth About Mesopotamia, Palestine and Syria, London, Allen and Unwin, 1923 .

وقد ترجم هذا الكتاب الى العربية نزيه المؤيد العظم بعنوان : القول الحق في تاريخ سوريا وفلسطين والعراق . والنص المثبت في هذا الكتاب منقول عن النص الافرنسي المنشور في L'Asie Francaise وفي كتاب Samne, La Syrie وتجد الاتفاقية في مذكرة وزارة الخارجية الروسية - السريه التي نشرها البولشفيك في جريدة Isvestia ونقلتها عنها جريدة المانشستر كارديان في عددها الصادر في ١٩ كانون الثاني سنة ١٩١٨ وهذه المذكرة تشير الى « مناطق نفوذ » والى « استحواذ » الدول الثلاثة [انكلترا وفرنسا وروسيا] على « مقاطعات آسيا العثمانية بصارات واضحة لا تجدها في رسائل وزارتي خارجية انكلترا وفرنسا التي كانت موضوعه في قالب ملؤه الحذر . وتذكر المذكرة في الفقرة ٣ بان بريطانيا العظمى « تستحوذ على القسم الجنوبي من العراق بما فيه بغداد ... » الامر الذي يحملنا على الاعتقاد بان بريطانيا العظمى كانت تفكر في الاستحواذ والحكم المباشر على جنوبي وادي الرافدين . وللتفصيل في الحوادث والظروف التي ادت الى عقد اتفاقية سايبكس بيكو وللاطلاع على نص المذكرة الروسية والانتقادات الموجهة الى هذه الاتفاقية راجع كتاب :

Temperley, H. W. V., History of the Peace Conference of Paris, London, Henry Frowde and Hooper Stoughton, 1924, Vol. 6, pp.13-18.

اقسام ثلاثة : القسم الجنوبي وهو الذي يبتدى من شمال بغداد بمسافة قليلة الى الخليج الفارسي ، وقد جعل تحت النفوذ الانكليزي . وترك البت في شكل ادارته وكونها مباشرة ام غير مباشرة الى ملاءمة الظروف . وجعل القسم الثاني المشتغل على هيت وسامراء وكركوك ، جزءاً من الدولة العربية او الاتحاد العربي المنصوص عليه في الاتفاقية على ان يكون لبريطانية افضلية الحقوق في المشاريع والقروض واعداد المستشارين والموظفين الاجانب فيه وجعل القسم الثالث المشتغل على الموصل واربييل جزءاً متمماً للدولة العربية ولكن افضلية الحقوق فيه لفرنسا . اما الدولة العربية ، او اتحاد الدول العربية ، فلم تكن لتشمل القسمين الشماليين من العراق فحسب بل سوريا الشرقية وشرقي الاردن والحجاز ايضاً (١) .

لقد اعتبر الخلفاء اتفاقية سايكس - بيكو اساساً لتقسيم الامبراطورية العثمانية . الا انهم في المؤتمر الذي عقده في سان ريمو ، في نيسان من سنة ١٩٢٠ دخلوا عليها تحويرين مهمين فيما يخص العراق فانهم حولوا ولاية الموصل

(١) لقد فعلت بريطانيا ذلك لتبر ولو بعض البر الوعد الذي قطعته للحسين شريف مكة وملكها فيما بعد مقابل ثورته التي قام بها على الاتراك ولاشتراكه مع القوات البريطانية في الحرب ، غير ان الملك حسين واعوانه من زعماء العرب كانوا يرمون الى ابعاد مما احتوت عليه اتفاقية سايكس - بيكو . فانهم كانوا يحملون في توحيد كل من الجزيرة العربية - فلسطين وسوريا والعراق لتكوين دولة عربية حرة موحدة ومستقلة الا ان انتكرا كما يظهر لنا من اتفاقية سايكس - بيكو لم تكن لترغب في ادخال جنوبي العراق وفلسطين ضمن هذه الدولة العربية . وان فرنسا كانت تطمح بسورية الغربية على الاقل . اضف الى ذلك ان كلامنا انتكرا وفرنسا تريدان ان تكون الدولة العربية المنصوص عليها في اتفاقيةها تحت حمايتهما ، وهذا بالطبع يختلف كل الاختلاف عما كان يريده زعماء الحركة العربية .

التي كان يجب ان تكون تحت النفوذ الافرنسي وضموها الى منطقة النفوذ الانكليزي . وهكذا اصبح لبريطانيا العراق باجمعه بدلا من قسمه الجنوبي فقط كما انه لم تخرج فكرة توحيد البلاد العربية الى حيز العمل بل طبق عليها ما سمي بنظام الانتداب ، فاعطيت كل من العراق وفلسطين وشرقي الاردن الى انكلترا وسوريا الى فرنسا .

وفي الوقت الذي كانت تجري فيه المناقشات حول تقسيم املاك الدولة العثمانية كانت المفاوضات تجري ايضا عن توزيع نفط الموصل . وكانت الدول التي تهتمها هذه المفاوضات اكثر من غيرها بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة . وقد عقدت اتفاقية خاصة بين بريطانيا وفرنسا تعرف باتفاقية سان ريمو تنازلت فيها الاولى للثانية عن ٢٥٪ من اسهم شركة النفط التركية مقابل تنازل فرنسا لبريطانيا عن ولاية الموصل^(١) .

الادارة البريطانية بعد الحرب والثورة العراقية :

بينما كان الحلفاء يتساومون فيما بينهم ويلعبون بمقدرات العراق والبلاد العربية ، حدثت في العراق حوادث كان لها اثرها البالغ في تقرير مصيره فيما بعد . لقد كان معظم الزعماء والمفكرين العراقيين بعيدين عن العراق اثناء الحرب

(١) ويظهر ان بريطانيا في هذه المفاوضات اطلقت لفرنسا يدها في سوريا ايضا لقاء تنازل هذه عن الموصل . وكان من نتيجة ذلك ان هجمت فرنسا على دمشق وقضت على الدولة العربية هناك . اما مفاوضات النفط فانها لم تقتصر على مؤتمر سان ريمو فقط بل كانت تجري بين حين وآخر مع المفاوضات السياسية الاخرى طيلة مؤتمر صلح باريس بين سنتي ١٩١٨-١٩٢٠ . راجع كتاب تمبلي الآنف الذكر ج ٦ ص ١٨١-١٨٤ ومقالا بالفرنسية :

Tardieu , Andre " Mossoul et le Petrole " . L' illustration , Vol, 155 , 19 Juin , 1920 , pp . 380-382 .

العظمى اما لانهم كانوا ملتحقين بالجيش التركي او لانهم انسحبوا مع الادارة العثمانية او لانهم اشتركوا في الثورة العربية مع الحجاز . ولقد بلغت قلة الرجال القديرين في العراق الى درجة انه وجد الانكليز صعوبة كبيرة في تأسيس ادارتهم . وكان العراقيون لكثرة ما عانوه من الاتراك اثناء الحرب يؤملون خيراً من الانكليز في باديء الامر معتقدين ان الادارة الانكليزية ستكون احسن من التركية على كل حال . ومع انهم كانوا يجهلون ما تجبئه لهم السياسة الانكليزية الا انهم استسلموا للامر الواقع في مدة الحرب (١) .

ولما افتتح الجنرال مود بغداد سنة ١٩١٧ اصدر منشوراً الى اهالي بغداد صرح فيه ان الانكليز لم ياتوا فاتحين ولا كأعداء وانما اتوا محررين وما رغبتهم (هم وحلفاؤهم) الا ان « ينهض العنصر العربي من جديد الى العلى ويأخذ مكانته بين امم الارض ويتدرع بالاتحاد للوصول الى هذه الغاية (٢) . »

ولقد كان بإمكان العراقيين ان لا يعلقوا اهمية كبيرة على منشور كهذا ويعتبروه كوسيلة سياسية لتوطيد قدم فاتح جديد لولا انه كان شريف مكة ومعه عدد كبير من زعماء العراقيين يناضلون في الحجاز جنباً الى جنب مع الانكليز في سبيل تحرير البلاد العربية من النير العثماني . زد على ذلك ان بريطانيا العظمى وفرنسا اصدرتا تصريحاً مشتركاً في ٧ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ اعلنتا فيه ان غايتهما من متابعة الحرب كانت « تحرير الشعوب التي

(١) راجع Bell, Review of the Civil Administration of Mesopotamia, p. 126

وكتاب محمد طاهر العمري: مقدرات العراق السياسية ج ١ ص ١٤٩، ١٥٣-١٥٤، و ج ٣ ص ٩٥-٩٦ .

(٢) راجع نص المنشور في كتاب كاندل الآنف الذكر ص ١١٤-١١٦ .

كانت رازحة تحت الاستبداد التركي مدة طويلة نحريراً تماماً وتأسيس
حكومات وادارات وطنية مستمدة سلطتها من ارادة تلك الشعوب .
واضافنا الى ذلك بانهما « بعيدتان كل البعد عن ارغام هذه الشعوب على
قبول اية ادارات خاصة دون رغبتهما وانما مهمهما ان يضمنا بمعونتهما سير
الحكومات والادارات التي تختارها هذه الشعوب » . وقد نشر هذا التصريح
في بغداد في ١٥ تشرين الثاني اي بعد صدوره بثمانية ايام . وكانت قد
نشرت في بغداد قبل ذلك ببضعة ايام نقاط ولسن الاربع عشر المحتوية على
مبدأ تقرير الامم مصيرها بنفسها . وقد اثرت هذه الوعود تأثير كبيراً في
عقول الناس وحملتهم على الاعتقاد بانه ستأسس في العراق حكومة وطنية .
على ان لانكليز كانوا في ذلك الحين منهمكين في وضع معاهدات الصلح
في باريس والعمل على توطيد قدمهم في الشرق ، وكانوا يفاوضون فرنسا على
اخذ ولاية الموصل منها وضماها الى منطقة نفوذهم . ومن جملة ما قاموا به
للوصول الى هذه الغاية استفتاؤهم اهالي العراق بناء على طلب الحكومة
البريطانية في لندن في امور ثلاثة هي : (اولاً) هل يجب ان تدخل الموصل
في العراق ؟ (ثانياً) هل يجب ان يحكم العراق امير عربي ؟ (ثالثاً) من
يكون هذا الامير ؟ واليك نتائج الاستفتاء كما رواها السر ارنولد ولسن
(وكيل الحاكم المدني العام حينئذ) « اننا اذ اخذنا الآراء على علائها نرى
ان العراقيين كانوا يريدون اتحاد الموصل ببغداد والبصرة وانهم على العموم
لم يريدوا ان يحكموا من امير عربي وعلى كل حال الى ان تمضي عدة سنوات ،
ان بعض الافراد والجماعات طلبوا ان يكون احد انجال شريف مكة اميراً على

العراق وليس بوسعنا ان نعرف بالضبط مقدار تأثير هذه الاجوبة من رغبة الشرقيين المعتادة في ارضاء حكاهم باعطائهم الجواب الذي يعتقدون انهم يريدونه ، كما انه ليس بوسعنا ان نجيب على الذين يفتقدوننا مصرحين ان الاستفتاء كان مصطنعاً من قبل الحكام السياسيين الا بالانكار وتوجيه انظارهم الى الموظفين البريطانيين في الشرق عامة (١) .

وكانت اذ ذاك قد تأسست الحكومة العربية في سوريا على اثر افتتاح الجيوش العربية الانكليزية لها ، كما انه كانت تحكم الحجاز حكومة عربية اخرى . زد على ذلك انه كان في الحكومة العربية في سوريا مئات من الضباط العراقيين ومنهم من كان يشغل وظائف عالية فيها ، وكان هؤلاء بالطبع لا ينظرون بعين الرضا الى الحكم البريطاني المباشر الذي كان مهيمناً على العراق ، وكانوا يريدون ان تناسس في العراق حكومة عربية وطنية كما بسوريا فالفوا في دمشق جمعية دعوها بجمعية العهد اتصلت سراً ببغداد والموصل واسسوا لها فروعاً في هذه المدن واخذوا يرسلون الجرائد والتجارير والاعلام والشارات العربية والدراهم الى الجمعيات الفرعية في العراق لتستعمل في بث الدعاية لاستقلال العراق . واخذ الكثير من العراقيين يرجعون

(١) راجع Wilson , Sir A.T, 'Mesopotamia', in the Encyclopediad

Britannica , 12 ed . Vol. 31 , p . 920.

ولقد اتهم الوطنيون العراقيون الحكام السياسيين اذ ذاك بانهم يرغمون الناس على توقيع مضايقات يطالبون فيها الحماية البريطانية ، ولا بد ان يلاحظ القارئ ان السؤال الاول وطلب بعض الناس الحماية البريطانية كان لها اهمية خاصة بالنظر لمطالبة المستر لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية للمسيوكلينصو بنقل ولاية الموصل من منطقة النفوذ الفرنسي الى منطقة النفوذ الانكليزي .

الى العراق من سوريا وتركيا وانضموا الى الذين كانوا يدعون الى
الاستقلال^(١).

وهكذا تنبه الشعور القومي في العراق وتقوى فقام العراقيون يطالبون
البريطانيين بالبر بعودهم ، ولما ماظلمهم هؤلاء يوماً بعد يوم حاسبوهم عن
سبب التأخير وطالبوهم بأن تؤسس في العراق حكومة وطنية اسوة بسوريا .
وكانت حجة الانكليز لذلك ان معاهدة الصلح مع تركيا لم تنته بعد وانه ليس
في الامكان البت في قضية تأسيس حكومة وطنية في العراق قبل انتهائها . على
ان هذا لم يرض الوطنيين العراقيين اذ ان الحجة بعينها كانت تنطبق على سوريا
ايضاً ومع ذلك فقد كان في سوريا حكومة وطنية .

وشعر الانكليز بحرجة الموقف فوضعوا خطة لتأسيس حكم بلدي يكون
العراقيون بموجبه معاونين ومستشارين للموظفين والحكام البريطانيين . على
ان هذا لم يرض الوطنيين العراقيين ايضاً فانهم عرفوا الفرق بين الحكم المحلي
وبين الاستقلال و كانوا لا يرضون بغير السيادة الوطنية بديلاً .

اضف الى ذلك عوامل اخرى ادت الى اضعاف السلطة البريطانية
في العراق فقد هجم احد قواد الجيش العربي في سوريا على رأس قوة من
العشائر على مدينة دير الزور واسر الحاكم السياسي فيها فأذعن الانكليز وقبولوا

(١) دعيت هذه الجمعية باسم الجمعية العربية السرية التي اسسها عزيز علي في الاستانة
قبل الحرب وكانت تنقسم في طورها الجديد الى قسمين الواحد يعمل لاستقلال سوريا
موحدة غير مجزأة اي بما فيها لبنان وفلسطين والاخر يعمل لاستقلال العراق . راجع
كتاب مهدي البصير : تاريخ القضية العراقية ج ١ الفصلين الثاني والثالث ص ١٢-٣٨ ،
والفصلين الحادي عشر والثاني عشر ص ٩٩-١٢٤

بالانسحاب من دير الزور وتسليمها للحكومة العربية في سوريا وتحويل الحدود الى جنوب دير الزور . على انه سرعان ما عاد القائد العربي وطلب من الانكليز ان ينسحبوا الى الجنوب من جديد ، وقام قائد عربي آخر هو جميل بك المدفعي بجمع قوة من العشائر والهجوم على تلعفر فاستولى عليها وقتل بعض الرجال وحاكمها الانكليزي واعوانه . وكان من نتائج هذه الحملات ان تركت انطباعاً على الاهلين بأن القوات البريطانية في العراق ضئيلة وان الحكومة الانكليزية ضعيفة لا تقوى على مقاومة المهاجمين وهذا مازاد على الاخص في تشجيع روح التمرد في القبائل .

اما مراكز الدعوة الوطنية فكانت على الاغلب في المدن الكبرى كبغداد وكر بلاه والنجف ، وكانت معظم الدعايات تصدر منها الى الجهات المحيطة بها . وقد اقيمت اجتماعات متعددة في الجوامع بحجة الصلاة كان يحضرها الوف من الناس وتلقى فيها الخطب السياسية والقصائد الحماسية داعية الشعب الى المطالبة بحقوقه ومنتقدة السياسة البريطانية انتقاداً مرّاً . ولقد انتخب في احد هذه الاجتماعات وفد مؤلف من خمسة عشر عضواً يقدم ثلاثة مطالب الى الحكومة : اولها عقد مجلس تأسيسي منتخب ليقرر الشكل الذي يجب ان تتخذه الحكومة العراقية وعلاقة تلك الحكومة بالدول الاجنبية ، وثانيها حرية الصحافة حتى تتمكن من التعبير عن الرأي العام به راحة ، وثالثها رفع العراويل الموجودة في طريق الخبايا البريدية والبرقية مع سائر انحاء القطر ومع الخارج ليتمكن العراقيون من الاتصال بالحركة الدولية . وهنا رأيت الحكومة ان تعرض مشروعاً بتأسيس مجالس محلية في الالوية

ودعت بعضاً من اعضاء الوفد ان يساعد في تكويتها ولكن هؤلاء قاطعوا الفكرة كل المقاطعة كما انهم قاطعوا اللجنة الانتخابية التي الفت لتمهيد السبيل للانتخابات. وكان عدد الاجتماعات في الجوامع يزداد، وازداد موقف الانكليز حرجة فعمدوا الى القاء القبض على بعض الزعماء ونفيهم الى هنجام. اما الباقون فانهم هربوا الى الفرات الاوسط .

هذه هي الحوادث التي ادت الى ثورة سنة ١٩٢٠ . على اننا اكملنا للبحث لا بد لنا من ذكر الاسباب الاخرى — ما خلا الحركة الوطنية — التي ادت الى الثورة العراقية وهذه اهمها (١) .

(اولاً) الاحتلال العسكري الذي دام الى سنة ١٩٢٠ وما رافقه من قلة اختبار البريطانيين اذ ذاك للعراق وفهمهم لعقلية العراقيين . ولما كان عدد الموظفين الملكيين البريطانيين قليلا فقد اضطر الانكليز الى استخدام حكاهم السياسيين من ضباط الجيش عندهم . ولم يكن هؤلاء الضباط نظراً لثريتهم العسكرية يصلحون للادارة الملكية، ولا لمعالجة مشاكل دقيقة كالتى يستدعيها احتلال بلاد جديدة .

(ثانياً) اتخاذ السلطات الانكليزية سياسة الادارة بواسطة رؤساء العشائر واصحاب الاراضي المتنفيين مما زاد في نفوذ هذه الطبقة . ولم يكن

(١) راجع عن اسباب الثورة مقال ولسن في الانسكويديا البريطانية تحت مادة Mesopotamia وراجع ايضا كتاب: Haldane, Sir A.L., The Insurrection in Mesopotamia, London, Wm. Blackwood and Son, pp. 19-34 .

وتقرير المس بل الآنف الذكر ص ١٢٦-١٤٧ . وكتاب مهدي البصير ص ٦٤-٧١

وكتاب العمري ج ٣ ص ٦٢-٢ و ص ٢٠٥-٣١١

هؤلاء يستخدمون نفوذهم في مصلحة السلطات البريطانية دائماً .
زد على ذلك انه كثيراً ما كانت تحدث منازعات بين زعماء القبائل على
المشيخة ، وكانت الحكومة تساعد احد المطالبين بالمشيخة دون الآخر
الأمر الذي اغضب طبقة من المشايخ الذين لم تساعدهم الحكومة فاصبحوا
ناقين عليها .

(ثالثاً) بُرعة القبائل العربية نفسها الى عام الطاعة للنظام والاخلال
بالامن وحب الغزو وما اشبه ذلك . وقد حصلت هذه القبائل على معدات
حربية كثيرة اثناء الحرب العامة مما زاد في ميلها الى التمرد . كما ان
الحكومة التركية قبل الحرب قلما كانت تنجح في ارضام القبائل على دفع
الضرائب من العشائر بانتظام فأدى ذلك الى نفرتها من السلطات البريطانية .
وكان بعض رؤساء العشائر مدينين للحكومة بضرائبهم فاحذوا يتحينون
الفرص لاقتراضهم عليها لكي يتخلفوا عن الدفع وقد سئحت لهم هذه
الفرصة سنة ١٩٢٠ . اضع الى ذلك ان الحكام السياسيين كثيراً ما كانوا
يتجاوزون على تقاليد العشائر وعاداتهم كمنع بعضهم للفصل او الدية او الغزو
وما اشبه ذلك مما استاء له رجال العشائر .

(رابعاً) انقاص الحماية البريطانية بعد الحرب مما حمل العراقيين على
الاعتماد على ان السلطات الانكليزية قد لاتمكن من حمايتها موقفيها اذا
ماجوبت بشورة عامة .

(خامساً) مساعدة الظروف الخارجية على انتشار روح الثورة ومعاكسة
الانكليز فقد كان المصريون والأتراك والایرانيون والافغان والهنود كلهم

يقاومون بريطانيا العظمى في خططها الاستعمارية ، وهكذا كان العراق محاطاً من جميع جوانبه ببلاد ثائرة على الانكليز (١) .
 (سادساً) استخدام عدد كبير من الموظفين الاجانب في الادارة من بريطانيين وهنود مما اوغر صدور العراقيين الذين كانوا يعتقدون انهم اهل حق من الاجانب بهذه الوظائف (٢) .

هذه هي اهم اسباب الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ . وكان مجتهدو الشيعة وعدد من الرجال المتنفذين في بغداد برساون التجارير الواحد تلو الآخر الى العشائر يحرضونهم على الثورة . ولما قبضت السلطة البريطانية على بعض الزعماء ونفتهم لاذ غيرهم بالفرار الى العشائر واخذوا يثيرونهم مشيرين دائماً الى فوز العرب بالاستيلاء على دير الزور وتلعفر . ولما شعر الانكليز بحجاجة مراكزهم اذاعوا في العشرين من حزيران سنة ١٩٢٠ بان السر برسي كوكس سيذهب الى بريطانيا مدة الصيف وسيعود في الخريف فيؤسس حكومة

(١) راجع تصريح السرهري دويس ، المندوب السامي السابق في العراق ، امام لجنة الانتداب الدائمة Minutes of The Permanent Mandates Commission, Nov. 8, 1926 .

(٢) كان عدد الموظفين البريطانيين في العراق في الوظائف العليا ٤٧٣
 وعدد الموظفين من الهنود ٧
 ومن العراقيين ٢٣
 وفي الوظائف الصغرى كان عدد البريطانيين ٥١٥
 وعدد الهنود ٢٢٠٩
 وعدد العراقيين ٣١٦٢

راجع تصريح هنري دويس المشار اليه اعلاه ، وتقرير الحكومة البريطانية :

Special Report of The British Government on The Progress of Iraq, 1920-1931, P. 292.

مؤقتة ويبدأ باجراء الانتخابات لمجلس تأسيسي . ولكن هذه الاذاعة جاءت متأخرة وغامضة ولم تنجح في تهدئة الخواطر .

وكان السبب المباشر لاندلاع نيران الثورة ان الحاكم السياسي في الرميثة قبض على احد الشيوخ واراد فيه فما كان من رجاله الا ان هجموا على مركز الحكومة وقتلوا الحراس واخرجوا الشيخ عنوة . وكانت هذه الحادثة القبس الذي منه اشتعلت الثورة وعمت الفرات الاوسط . وقد حاصر الثوار ثلاث حاميات انكليزية اولاهها في الرميثة والثانية في ابي صخير والثالثة في الكوفة . اما الاولى فقد نجح الانكليز في رفع الحصار عنها واما الثانية فانسحبت بموجب هدنة مؤقتة دامت اربعة ايام . وبقيت الثالثة محاصرة في الكوفة الى ان قاربت الثورة بالانتهاء . فاستولى الثوار على مدينتي النجف وكر بلاء وهددوا مدينة الحلة واجبر الانكليز على ان يخلوا مدينتي الديوانية والسماوة ونجح الثوار في قطع السكة الحديدية بين بغداد والبصرة مراراً عديدة بحيث اخلوا بالنقلات بين هاتين المدينتين عن طريق الفرات . على ان النقلات عن طريق دجلة بقيت سالمة وهكذا بقي الانكليز على اتصال بالبصرة والهند .

واستولت القوات العربية من دير الزور على عانة ولكن بقي معظم لواء الدليم هادئاً نظراً لموالاة كبار الشيوخ للحكومة . وانتشرت الثورة ايضاً الى لواء ديالى فاصبحت بغداد مهددة من تلك الناحية واحتل الامن في لواء اربيل ما خلا الجهات المجاورة لمدينة اربيل نفسها^(١) . اما ما يخص بقية

العراق فقد اختل الامن نوعاً ما في الوية المنتفك والموصل وكر كوك وبقيت
البصرة والعمارة والسليمانية هادئة .

لم تكن القوة البريطانية في اول الثورة كافية لقمعها فاستقدم الانكليز
قوة هندية ، كما انه لم يكن عند العرب من السلاح الا بنادقهم وبعض
المدافع القليلة التي غنموها من البريطانيين والتي لم يكونوا يحسنون استعمالها
بالضبط وما ان جاء شهر ايلول الا وكانت نار الثورة قد ابتدأت بالتحود
واخذت المدن والعشائر على الفرات تسلم الواحدة تلو الاخرى . وكان رجوع
السربسي كوكس من بريطانيا وتشكيله الحكومة المؤقتة استعداداً لتأسيس
الحكومة الوطنية من العوامل المهمة لاختداد روح الثورة . كما ان سقوط الدولة
العربية في الشام في تموز فت في عضد الثورة ايضاً . وبقيت الجيوش منهمكة
في اعادة النظام الى شباط سنة ١٩٢١ فكانت تجميع الغرامات الباهضة
والاسلحة من العشائر (وقد جمع ما لا يقل عن ٦٠٠٠٠٠٠ بندقية) وتجري
المناورات اظهاراً لقوتها .

وكان من نتائج الثورة ان هدمت واحرقت كثير من القرى والجماعات
العائدة الى العشائر النائرة وخسارة الوف من الارواح^(١) . وكثيراً ما كان
الثوار في مفاوضات الصلح يولكون المجتهدين ولكن السلطات البريطانية
كانت ترفض توسطات هؤلاء وتفضل المفاوضة مع العشائر رأساً .

(١) يتقدر السير ايلمر هولدين خسائر القوات البريطانية نحو ٨٥ رجلاً والخسائر العربية
بعشرة اضعاف ذلك . راجع كتاب هولدين الآنف الذكر ص ٢٥٦-٣١٤ وص
٣٣١ . وقد سمنا على الفرات انتقادات على هذا التقدير وعلى الاخص من حيث
تخفيض الخسائر البريطانية .

نتائج الثورة وتأسيس الدولة العراقية :

لقد كان للثورة العراقية نتائج هامة على العراق نفسه وعلى السياسة البريطانية فيه ، فقد تركت البلاد منهوكة القوى وكان الجو في اثنتائها مفعماً بالقلق ، وتوقفت التجارة او كادت ، واصبحت وسائل النقل مضطربة وفي كثير من الاحيان مقطوعة بتاتا . زد على ذلك ما لحقته الثورة من الخسائر في الاملاك نتيجة الحركات العسكرية وغزوات العشائر .

اما من حيث السياسة البريطانية فان الثورة على الاقل اجبرت الانكليز على الاستعجال في تأسيس الحكم الوطني كما انها اثارت جدالا عنيفاً في البرلمان البريطاني والصحف الانكليزية ، إذ قام عدد من رجال السياسة والمحرفين يطلبون الانسحاب من شمال العراق والعراق الاوسط والاحتفاظ بولاية البصرة فقط . ومنهم من طلب الجلاء عن العراق بأجمعه (١) وكانوا يدعون الى اتباع هذه السياسة بحجة ان الاحتفاظ بالعراق يكلف دافع الضرائب البريطاني كثيراً ويمكن لبريطانيا ان تحافظ على وضعيتها باستبقاء البصرة في يدها . ومع ان الدعوة الى الانسحاب بقيت غير مستجابة فانها اجبرت الانكليز على الاقتصاد بمصاريفهم في العراق بتأسيس حكومة وطنية تأخذ على عاتقها المسؤولية لادارة البلاد وحفظ الامن فيها والقيام بقسم من

(٥) Philips, Sir Percival, Mesopotamia.

(١) راجع :

(١) Buchanan, George C., Why do We Remain in Mesopotamia?, 19th Cent, May, 1923, Vol. 9٤, pp. 764 ff.

المسؤولية عن الدفاع . وبهذه الطريقة يمكن لبريطانيا أن تقتصد بمصاريفها من جهة وترضي العراقيين من جهة اخرى . وكانت الحكومة العربية في الشام قد سقطت على ايدي الفرنسيين في تموز سنة ١٩٢٠ وتركت آمال العرب باستقلالهم محطة في جميع بلادهم ماعدا الجزيرة ، فسوريا وفلسطين وشرقي الاردن والعراق كانت كلها تحت ايدي حكام من الاجانب . ولم يكن الحلفاء حتى ذلك الوقت قد ابروا بأي شيء من وعودهم ، ولذلك قام زعماء العرب وعلى رأسهم المغفور له الملك فيصل ووالده الملك حسين يطالبون بريطانيا العظمى ، وهي التي كانت وسيطة لاعلان الثورة على تركيا ، ان تبر بوعدها ، وكان كل ذلك من الدواعي المهمة لتأسيس حكومة وطنية في العراق .

ولقد انتهى الحكم العسكري في العراق في تشرين الاول سنة ١٩٢٠ بحجبي ، السربرسي كوكس كمندوب سام واعلانه عزم الحكومة البريطانية على تأسيس الحكم الوطني في العراق . واول ما اجري من ذلك هو تشكيل حكومة مؤقتة برئاسة نقيب بغداد وبعض زعماء البلاد لتكون بالتدريج ادارة عربية وتنتقح قانون الانتخابات العراقي للمجلس التأسيسي إذ كان في النية ان ينظر المجلس التأسيسي في نوع الحكم الملائم في البلاد . وقد دعا وزير المستعمرات المستر تشرشل في سنة ١٩٢١ كبار الموظفين الانكليز في الشرق الادنى الى مؤتمر عقد في القاهرة للنظر في شؤون اقتصاد مصاريف الحكومة البريطانية واعادة النظر في السياسة البريطانية في الشرق الادنى . وكان المندوبون عن العراق في المؤتمر اربعة من الانكليز

واثنين من العراقيين . وقد درس المؤتمر طريقة حفظ الامن في العراق دون تكليف بريطانيا مصاريف باهضة ، كما انه درس مسألة تأسيس حكومة وطنية في العراق .

وبعد المؤتمر اخذت الحوادث تتوالى بسرعة فاعلنت السلطة البريطانية العفو العام عن المجرمين السياسيين واعلن المستر تشرشل في المجلس البريطاني نتائج مؤتمر القاهرة مصرحاً بأنه قد تقرر تأسيس حكومة وطنية في العراق وذلك بداعي الاقتصاد وبداعي وفاء بريطانيا بوعودها للعرب ، وان الحكومة البريطانية تعتبر الامير فيصل لائقاً بأن يصبح ملكاً على العراق اذا ما انتخبه الشعب العراقي . واخذت الجرائد العراقية تبحث في قضية اختيار ملك للعراق وكانت تميل هي ايضاً الى الامير فيصل قائد الجيوش العربية ومندوب الحجاز والعرب في مؤتمر الصلح ورئيس الدولة العربية في سوريا .

وقد ارسل عدد من الافراد والجماعات الى الامير في الحجاز بقيات متعددة ملحين عليه بالقدوم الى العراق ليكون ملكاً عليه . واخيراً جاءت الاخبار في حزيران سنة ١٩٢١ بأن الامير قد ترك الحجاز متوجهاً نحو العراق فوصل الى البصرة في ٢٤ تموز واستقبل استقبالاً عظيماً .

وكان في النية اولاً ان ينتخب مجلس تأسيسي عام ليقرر شكل الحكومة العراقية الجديدة ولينتخب رئيساً لها . على ان مجلس الوزراء — وكان في عداده بعض من خيرة اعوان الامير فيصل في الحرب — قرر اعلانه ملكاً على العراق على ان تكون حكومته دستورية ديمقراطية تمثيلية ، وقرر تأجيل

انتخاب المجلس التأسيسي الى ما بعد تبوئه العرش . وقد جرى استفتاء حول تنصيب الامير فيصل ملكاً على العراق وذلك بشكل عرائض قدمت من قبل الاهلين وقد اتفق ٩٦٪ من هذه الاصوات على طلب الامير فيصل ملكاً على العراق فجرى تنويجه يوم ٢٣ آب سنة ١٩٢١ وهو التاريخ الذي تشكلت فيه الدولة العراقية الجديدة .

وكانت الخطوة الاولى التي على الحكومة الفتية ان تتخذها هي تحديد علاقاتها ببريطانيا العظمى فان هذه كانت على ما ذكرنا قد اعطيت الانتداب على العراق من قبل مجلس الحلفاء الاعلى سنة ١٩٢٠ ، على ان العراقيين كانوا يكرهون الانتداب كرهاً شديداً ، فتقرر بعد مفاوضات ومداولات كثيرة استبدال الانتداب بمعاهدة تحالف بين العراق وبريطانيا . وكان ان اجلت انتخابات المجلس التأسيسي من جديد فلم ينتم هذا المجلس الا بعد مرور عامين ونصف على تنويج المغفور له الملك فيصل . واخذ العراقيون يتهمون بريطانيا بانها تؤجل الانتخبات عمداً الى ما بعد المفاوضات عن المعاهدة والاتفاقيات الملحقة بها وذلك لتجعل الدستور مؤسساً على مواد المعاهدة لا المعاهدة مؤسسة على مواد الدستور (١) . وكم اشاروا الى المادة الثالثة من المعاهدة التي كانت تنص بأنه لا يجب ان يحتوي القانون الاساسي الذي سيقدم الى المجلس التأسيسي على مواد تخالف مواد المعاهدة .

اما الانكليز فانهم كانوا يحتجون باسباب اخرى للتأجيل ومن هذه (اولاً) صعوبة انتخاب الممثلين عن العشائر وموقف المناطق الكردية مما ادى

(١) راجع كتاب البصير المذكور سابقاً ص ٢٥٧

الى تأجيل نشر قانون الانتخاب . (ثانياً) الخطر التركي على الحدود الشمالية الذي كان يمنع الناس من التصريح بأفكارهم خوفاً من الاتراك اذا ماعادوا الى الموصل . (ثالثاً) مناهضة مجتهدى الشيعة للمعاهدة وكان قد سبق لهم قبل ذلك ان اصدروا فتوتين بمنع المؤمنين من الاشتراك بالانتخابات (١).

وقامت في البلاد حركة عنيفة لمقاومة فكرة الانتداب وعلى رأسها قسم من الزعماء الوطنيين وبعض الجرائد . وكانت وجهة نظر العراقيين ان فكرة الانتداب محطة بقدر العراق ومخلة بسيادته كدولة مستقلة . وجرت اذ ذاك مظاهرة قوية في البلاط الملكي حين زيارة السر برسي كوكس المندوب السامي للبلاط بمناسبة مرور العام الاول على تتويج المغفور له الملك فيصل صيح فيها بسقوط الانتداب وبريطانيا العظمى فغضب كوكس لهذه الاهانة واتفق ان اصيب الملك بالتهاب في الاعور فما كان من كوكس الا ان اتهم هذه الفرصة فتقلد تقاليد الحكم ونفى بعض الزعماء وعطل بعض الجرائد . وكان الانكليز انفسهم على رأيين في قضية الانتداب ، فمنهم من كان يحبذ فكرة بقاء الانتداب كما هي ، ومنهم من لم ير بأساً باستبدال الانتداب بمعاهدة (٢).

وقد امضيت المعاهدة اخيراً في ١٠ تشرين الاول في سنة ١٩٢٢ من

(١) راجع تقرير الحكومة البريطانية السنوي للسنة ١٩٢٢-١٩٢٣ ص ٣-٨
 و ص ٢٦ . وتقرير سنة ١٩٢٣-١٩٢٤ ص ٨-١٣ .

(٢) راجع Wilson , A.T., Mesopotamia : Parting of The Ways,

Asiatic Review, 18 : 542-43, Oct, 1922.

وكذلك 'A Correspondent in Baghdad, Three Difficult Months in Iraq,'

Journal of the Central Asian Society, Vol. 10, Part 1, pp. 68-72, 1923.

Slater, 19 th. Cent., Vol 99, P. 483-484, April, 1926.

قبل الممثلين عن العراق وبريطانيا على ان تنفذ بعد ان يقبلها المجلس التأسيسي . وكانت مدتها في الاول عشرين سنة الا انها انقضت في نيسان ١٩٢٣ الى اربع سنوات من تاريخ التصديق على معاهدة الصلح مع تركيا . وكانت تنص المعاهدة على ان ملك العراق يوافق على قبول ارشاد الحكومة البريطانية في كل الامور المتعلقة بالامور الخارجية والاقتصادية والعلاقات الدولية والمصالح الخاصة ببريطانيا العظمى . وليس للحكومة العراقية ان تستخدم اي موظف اجنبي الا بموافقة بريطانيا . وملك العراق حق ارسال ممثل عنه الى لندن وغيرها من العواصم التي يتفق عليها بين الطرفين . وتقوم بريطانيا بحماية الرعايا العراقيين في المحلات التي لا تمثل عراقى فيها . وتتعهد بريطانيا من الجهة الثانية ان تبذل جهودها لقبول العراق عضواً في عصبة الامم ولتقدم المساعدة العسكرية في وقت الحاجة . وادخلت مواد في صلب المعاهدة تنص على وجوب وضع اتفاقيات خاصة عسكرية وقضائية ومالية واتفاقيات تتضمن شروط استخدام الموظفين البريطانيين في الحكومة العراقية (١) .

وكان جانب لا يستهان به من هذه المعاهدة عبارة عن تموير الصك الانتداب الذي كانت بريطانيا قد اعدته لتقديمه الى عصبة الامم في اواخر سنة ١٩٢٠ (٢) . على ان هذا الصك لم يطبق للأسباب التي ذكرناها آنفاً

(١) راجع نص المعاهدة والاتفاقيات والملحق في اللغة الانكليزية :

Treaty of Alliance Between Great Britain and Iraq, Treaty Series No. 17 (1925). cmd, 2370, H.M. Stationery office, 1925.

(٢) راجع Draft Mandate for Mesopotamia and Palestine, Miscellaneuous No 3 (1920) cmd, 119. H.M. Stationery Office, 1921.

وحلت محله المعاهدة اذا قبلت بها عصبة الامم بديلا عن الصك . ويمكن
للقاري ان يقابل بين مواد المعاهدة ومواد صك الانتداب . للتحقق من مقدار
التشابه بينهما ^(١) .

ولم تمض الاتفاقيات وتنتهي المفاوضات عنها الى ٢٥ آذار سنة ١٩٢٤
اي قبل اجتماع المجلس التأميني للتصويت على المعاهدة والقانون الاساسي .
اما اتفاقية استخدام الموظفين البريطانيين من قبل الحكومة العراقية فقد
تضمنت بالتفصيل شروط الاستخدام واسماء الوظائف الملكية والعسكرية
التي يمكن ان يشغلها الانكليز مع ذكر درجاتها ورواتبها وغير ذلك .

ووضعت الاتفاقية العسكرية على مبدأ تحمل العراق مسؤولية حفظ الامن
الداخلي وحماية الحدود ضد التمدي الخارجي وقد وضع منهج للازدياد
المطردي في وحدات الجيش العراقي وتناقص وحدات الجيش البريطاني في
العراق . واشترط بالآقل الخصاصات المالية في الدفاع في السنة الواحدة عن
٢٥٪ من ميزانية الدولة ، وتعهدت بريطانيا بأن تجري جميع التسهيلات

(١) راجع مثلا المواد التالية من المعاهدة مع المواد التي تقابلها من صك الانتداب .

مواد المعاهدة	مواد صك الانتداب	مواد المعاهدة	مواد صك الانتداب
١	٣	١٠	١٢
٢	٧ والاتفاقية العسكرية	١١	١١
٣	٥	١٢	١٠
٤	٨	١٣	١٣
٥	٩ والاتفاقية المدنية	١٤	١٤
٦	٣	١٥	١٥ والاتفاقية المالية
٨		١٨	١٧

اللازمة لتدريب الضباط العراقيين في بريطانيا وتقديم الاسلحة والعتاد والضباط البريطانيين للجيش العراقي على ان تتحمل الحكومة العراقية مصاريف ذلك كله . وتم الاتفاق على توحيد القيادة بيد قائد بريطاني في حالة وقوع حركات حربية تضطر الجيوش البريطانية للاشتراك فيها . ووضعت الاتفاقية العديلة لتحل محل الامتيازات الاجنبية التي كانت صرعية في الامبراطورية العثمانية وقد اعطي الحق بموجب هذه الاتفاقية لرعايا الدول الاوروبية والاميركية التي كانت تتمتع بالامتيازات في العهد التركي ان يطلبوا محاكمتهم من قبل قاض او من قبل محكمة يكون احد اعضائها على الاقل بريطانيا ، ولا يسمح للدخول في بيت شخص اجنبي في المحلات التي يوجد فيها قاض بريطاني بدون الحصول على تفويض تحريري من ذلك القاضى . ووضعت الاتفاقية المالية على مبدأ تحمل العراق لكل مصاريف ادارته الداخلية ، وباقرب وقت لكل النفقات المقتضاة لحفظ الامن الداخلي والدفاع الخارجي ونقلت اعمال الري والطرق والجسور والبريد والبرق والتلفون التي قامت بها السلطات البريطانية الى الحكومة العراقية لقاء مبلغ قدره ٤٠٠٩٥٤٠ روبية ، على ان يمد هذا ديناً على الحكومة العراقية ويدفع بأقساط سنوية لمدة عشرين سنة وبفائض قدره ٥٪^(١) . ونقلت ادارة السكك الحديدية التي ابنتها السلطات البريطانية اثناء الحرب وبعده الى الحكومة العراقية على ان تبقى ملكاً لبريطانيا فان لم تبع هذه السكك خلال اربع سنوات من قبول المعاهدة تنقل ملكيتها الى الحكومة العراقية بموجب بنود

(١) وقد تنازلت الحكومة البريطانية عن هذا المبلغ فيما بعد بناء على توصيات الخبيرين الماليين الذين استقما سنة ١٩٣٥ لدراسة حالة العراق المالية .

يتفق عليها بين الحكومتين . واما ميناء البصرة فقد اتفق نقله الى شركة او هيئة (Transi) خاصة بمبلغ قدره ٧٦٢١٩٦٠٠٠ روية على ان تدار شؤونه حسب قواعد تضعها بريطانيا . وتقوم الحكومة العراقية بتحمل نفقات دائرة الاعتماد البريطانية ورواتب موظفيها بكاملها ، على ان الحكومة البريطانية تطلب من البرلمان الانكليزي ان يوافق على تحمل نصف هذه النفقات .

هذه اهم محتويات معاهدة سنة ١٩٢٢ وملحقاتها وكانت مدة المعاهدة في اول الامر عشرين سنة الا اذا قبل العراق عضواً في عصبة الامم . على ان هذه المدة قصرت الى اربع سنوات بالبروتوكول المؤرخ ٣٠ نيسان سنة ١٩٢٣ . وقد اجتمع المجلس التأسيسي في ٢٧ آذار سنة ١٩٢٤ لينظر في المعاهدة والقانون الاساسي وقانون الانتخابات للمجالس النيابية المستقبلية . وقد لقيت المعاهدة معارضة شديدة ، ودامت المناقشة حول موادها ومواد ملحقاتها خلال نيسان وايار والعشرة الاولى من حزيران . وكانت معظم المعارضة تدور حول الاتفاقية المالية التي كان يعتقد انها حراماً مالياً ثقيلاً لا يقوى على حمله . واثارت اتفاقية الموظفين البريطانيين سخط العراق لانها وضعت كثيراً من وظائف الدولة العليا بيد موظفين انكليز برواتب ضخمة كانت في كثير من الاحيان اكثر من رواتب الوزراء انفسهم . وقد انتقدت المعاهدة بكاملها انتقاداً مراراً بانها لا تختلف عن الانتداب وان شئت نقل عن الاستعمار بشيء .

على ان المجلس النيابي بالرغم من كل معارضة اقر المعاهدة اخيراً بعد

ان ارسل المعتمد البريطاني الى الحكومة العراقية بلاغاً كان اشبه بالانذار يطلب فيه اقرار المعاهدة بلا تغيير والافستضطر عصبة الامم لتتخذ ما تراه مناسباً من التدابير . وكانت لجنة المجلس قد اقترحت اجراء بعض التعديلات في المعاهدة ولكن المجلس اكتفى بالطلب من الحكومة العراقية بان تبدأ بالمفاوضات مع بريطانيا لاتخاذ التعديلات على الاتفاقية المالية بعد تصديق المعاهدة بالسرعة وقت . ونص قرار المجلس أيضاً على ان المعاهدة تصبح باطلة اذا لم تقم الحكومة البريطانية بمحافظة حقوق العراق لولاية الموصل بكاملها (١) .

وقد قدمت بريطانيا المعاهدة والاتفاقيات الى مجلس عصبة الامم فقرر هذا في جلسته المنعقدة في ٢٧ ايلول سنة ١٩٢٤ قبولها واعتبارها كافية لتنفيذ نصوص المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الامم على ان تكون بريطانيا مسؤولة امام العصبة عن تطبيق العراق لموادها وعلى ان تقدم بريطانيا تقريراً سنوياً الى مجلس العصبة عن ادارة العراق . وقد الغيت الامتيازات التي يتمتع بها الاجانب في العهد التركي ما دامت المعاهدة نافذة (٢) .

قضية الموصل وبريطانيا :

كانت قضية الموصل المشكلة المهمة الاولى التي اشغلت بال الحكومة العراقية بعد فراغها من المعاهدة ، اذ انه بانتعاش تركيا تحت رعاية مصطفي

(١) انظر التقرير البريطاني عن ادارة العراق للسنة ١٩٢٣-١٩٢٤ ص ٢٠-٢٣
 (٢) Application to Iraq of the Principle of Article 22 of the Covenant of the League of Nations, P. 8, London, H.M. Stationery Office.

كمال باشا اخذت حكومة انقره تطالب بولاية الموصل . وكان الاتراك منذ سنة ١٩٢١ الى اواخر سنة ١٩٢٥ يعكرون صفو الامن على الحدود العراقية الشمالية والشرقية ان بدعاياتهم او بمناوشات جيشهم المنظم او بمصاياتهم وقد اتخذت الحكومة العراقية تعاونها القوات البريطانية كل الحيطات اللازمة لصد اي اعتداء تركي على الحدود وحل المشكلة بالوسائط السلمية على قدر الامكان .

كانت القوات البريطانية قد احتلت الموصل مستندة على المادة السابعة من هدنة مدروس التي قضت بأن « للحلفاء الحق بأن يحتلوا اي نقاط ذات اهمية عسكرية في حالة حدوث ما يهدد سلامة الحلفاء (١) » . وقد تنازلت تركيا في معاهدة سيفر الممضاة في سنة ١٩٢٠ عن العراق بأجمعه بما فيه ولاية الموصل بموجب الفقرة الثالثة من المادة السابعة والعشرين واعترفت باستقلال سوريا والعراق تحت الانتداب بموجب المادة الرابعة والتسعين (٢) . على ان هذه المعاهدة لم تنفذ بل الغيت بنتيجة حركات مصطفى كمال وانتصاراته ، وحينئذ عقد مؤتمران في لوزان في سنتي ١٩٢٢ و ١٩٢٣ لاجراء مفاوضات الصلح من جديد مع تركيا . وهنادافعت بريطانيا عن حقوق العراق في ولاية الموصل ولكن لم يتوصل المؤتمر الى حل مرض للقضية ولذلك نصت الفقرة

(١) نجد المواد المهمة للهدنة مدروس في كتاب :

Wilson, Sir A.T. Mesopotamia, 1917-1920, P 17. London, Oxford University Press, 1930.

Treaty of Peace With Turkey, Signed at Severs, Aug. 10, 1920, (٢)

Treaty Series No. 11 (1921), London, H.M. Stationery office.

الثانية من المادة الثالثة من معاهدة لوزان على ان قضية الموصل ستكون موضوع مفاوضات ودية بين تركيا وانكلترا خلال تسعة اشهر من تاريخ تصديق المعاهدة فان لم يتم الاتفاق عرضت القضية على مجلس عصبة الامم . وقد فتحت المفاوضات في استانبول في ربيع سنة ١٩٢٤ وكان يرأس الوفد البريطاني العراقي السر برسي كوكس ، المندوب السامي البريطاني في العراق ، وقد فشلت تلك المفاوضات فرفعت القضية الى مجلس عصبة الامم . فقرر المجلس ارسال لجنة لدرس الفضية عن كتب ورفع تقرير يتضمن ابحاثها ومقترحاتها . ووصلت اللجنة في ١٦ كانون الاول سنة ١٩٢٥ وبقيت تطوف في شمالي العراق مدة شهرين كاملين نحقق وتستقصي ، ثم تركت الموصل في ٢٣ آذار .

بينما كانت اللجنة لا تزال في العراق وقبل ان يصدر القرار بحسم قضية الموصل اخذت شركة النفط التركية تدعمها السلطات البريطانية تفاوض الحكومة العراقية في شأن الحصول على امتيازات النفط في ولايتي الموصل وبغداد وقد امضيت الاتفاقية بين الشركة والحكومة في ١٤ آذار سنة ١٩٢٥^(١) وكانت سبباً لقيام حملة صحفية عنيفة في بغداد ولاستقالة وزيرين من الوزراء وكان الشعور عاماً بأن الحكومة البريطانية بمساعدتها لشركة النفط التركية في مثل هذا الوقت المصيد . وضع الحكومة العراقية في موقف حرج اذ ان هذه كانت محتاج الى مساعدة بريطانيا لحسم قضية الموصل .

(١) راجع نص الامتياز في التقرير الحامر للحكومة البريطانية عن العراق الى
الى عصبة الامم سنة ١٩٢٠-١٩٣١ ص ٤٠٣-٤١٥

وكانت الاستعدادات قائمة على قدم وساق لانتخاب المجلس النيابي الاول فشكاً كثير من العراقيين بأن المفاوضات النفطية اجريت على عجل حتى لا تبقى ضرورة لتقديمها الى مجلس الامة التصديق عليها زد على ذلك ان نصوص الاتفاقية اثار في الصحف وبعض الاوساط السياسية ضجة لا يستهان بها لان الاتفاقية اعطت للشركة احتكاراً تاماً لموارد النفط في ولايتي الموصل وبغداد لمدة طويلة دون ان تجني الحكومة العراقية حصة كافية من الربح . ورفعت لجنة الحدود تقريراً الى عصبة الامم اقترحت فيه ابقاء ولاية الموصل ضمن العراق ووضعت لذلك شروطاً اهمها ان يبقى العراق تحت انتداب عصبة الامم لمدة خمس وعشرين سنة (١) . وقد اصدر مجلس العصبة قراراً مستنداً على هذا الاقتراح بابقاء ولاية الموصل للعراق وطلب من بريطانيا ان تقدم له معاهدة جديدة تضمن دوام العلاقات الانكليزية كما حددت في معاهدة سنة ١٩٢٢ الى مدة خمس وعشرين سنة الا اذا قبل العراق عضواً في عصبة الامم قبل ذلك (٢) . وقد امضيت المعاهدة الجديدة في بغداد في كانون الثاني سنة ١٩٢٦ وقدمت الى عصبة الامم . ومن جملة المواد التي احتوتها في مادتها الثالثة هي وجوب تعديل المعاهدة والاتفاقيات كل اربع سنوات ابتداء من سنة ١٩٢٨ .

(١) League of Nations, Question of The Frontier Between Turkey and Iraq, 1925, PP, 88-89.

(٢) League of Nations, Decision Relating the Turco-Irak Frontier Adopted by the Council of the League of Nations, Geneva, Dec. 16, 1925, Cmd. 2562, London, H.M. Stationery Office, 1924. P. 3.

وهكذا مدد انتداب بريطانيا على العراق الى خمس وعشرين سنة
 بنتيجة حسم قضية الموصل بعد ان كان قد جعل اربع سنوات فقط بموجب
 بروتوكول سنة ١٩٢٣ .

المفاوضات لمعاهدة سنة ١٩٢٧ :

لقد افسحت معاهدة سنة ١٩٢٦ المجال لاعادة النظر في المعاهدات
 والاتفاقيات بين العراق وبريطانيا كل اربع سنوات منذ تاريخ قبول
 المعاهدة الاولى المصادق عليها سنة ١٩٢٤ . وقد استفادت الحكومة العراقية
 في ذلك فقامت تطلب فتح باب المفاوضات حال انتهاء قضية الموصل فرأت
 من الحكومة البريطانية ومن ممثليها في العراق تمنعاً، ولكنها بعد الالحاح
 نجحت في حمل بريطانيا على القبول ببدء المفاوضات سنة ١٩٢٧ استمداً
 لسنة ١٩٢٨ وهي السنة الرابعة بعد المعاهدة الاولى. وقد ابتدأت المفاوضات
 التمهيدية في بغداد في الربيع وانتقلت الى لندن في الصيف .

وكان المفاوضات العراقيون يرعون الى اربع غايات مهمة :
 (اولاً) الاعتراف باستقلال العراق و (ثانياً) دخول العراق عصبة
 الامم والغاء الانتداب و (ثالثاً) ما يستدعيه هذان الامران من وجوب
 تحمل العراق لمسؤولية حفظ الامن الداخلي والدفاع عن حدوده من التعدادات
 الخارجية وبالتالي وجوب تنظيم جيش قوى مؤسس على قاعدة التجنيد
 الاجباري ، و (رابعاً) اعادة النظر في الاتفاقيات المنحقة بالمعاهدة الاولى
 وعلى الاخص الاتفاقيتين المالية والعسكرية اللتين طالما احتج العراقيون
 عليهما .

وقد اصطدمت وجهة النظر العراقية في معظم الامور المهمة بوجهة نظر
المفاوضين البريطانيين وكان يرأسهم السير هنري دويس المندوب السامي
البريطاني في العراق إذ ذاك . وقامت بعض الجهات البريطانية الرسمية
وبعض الجرائد الانكليزية بتهم المرحوم الملك فيصل بأنه وشركه صغيرة من
اعوانه هم الذين يقاومون السلطات البريطانية في العراق ويخلقون المعارضة
وان البلاد وعامة الشعب راضيان بالوضع وبالموقف في العراق (١) . ودامت
المفاوضات مدة طويلة تمسك كل جانب فيها بوجهة نظره حتى انقطعت وسافر
المفاوض العراقي جعفر باشا العسكري رئيس الوزراء إذ ذاك راجعاً الى بغداد
وبقي المرحوم الملك فيصل في لندن . وما وصل جعفر باشا الى مرسيليا حتى
استدعي برقية الى لندن فعاد اليها واستؤنفت المفاوضات التي ادت الى
امضاء معاهدة سنة ١٩٢٧ (٢) .

وقد اعترفت بريطانيا بالعراق في هذه المعاهدة كدولة مستقلة ذات سيادة
ولكنها اجلت ترشيحها اياه للدخول الى عصبة الامم الى سنة ١٩٣٢ وجعلت
ذلك متعلقاً على حصول التقدم المطرد في احوال العراق وادارته . وقد
عارضت بريطانيا التجنيد الاجباري بحجة ان البلاد غير مستعدة له وانه يلقي
معارضة من اغلبية الشعب ، وانها غير مستعدة للمعاوضة المشروع (٣) . ولم

(١) راجع الريحاني : فيصل الاول ص ١١٦ . واعداد مجلة الشرق الادنى والهند
الصادرة في خريف سنة ١٩٢٧

(٢) راجع Treaty between the United Kingdom and Iraq, Signed
at London, Dec. 14, 1927. Cmd. 2498, H.M. Stationery office,
London, 1927.

(٣) راجع التقرير البريطاني الرسمي لسنة ١٩٢٧ ص ١٨-٢٠ وايضاً :
Cox, Sir Percy Z., 'Iraq, Lecture at the Royal Asiatic Society,
Near East and India, Vol.53, No, 927, Feb. 21, 1929, P.238.

يحدث اي تعديل للاتفاقيات .

وما ان نشرت المعاهدة في بغداد حتى ثارت ضجة عظيمة عليها واستقلت الوزارة وتولى رئاسة الوزراء المرحوم عبد المحسن بك السعدون وحل المجلس وجرت انتخابات جديدة لاستفتاء رأي البلاد في المعاهدة . على ان السعدون اصر على تعديل الاتفاقيات قبل اقرار المعاهدة (١) ، وقامت ضجة على المعاهدة في لجنة المجلس النيابي وفي الصحف وفي حزب التقدم الذي كان يرأسه السعدون وفي الوزارة نفسها . فلما رأى الانكليز المعارضة شديدة اضطروا الى سحبها وهكذا قبرت المعاهدة وفشلت سياسة السر هنري دو بس وكان ذلك نصراً هائلاً لسياسة المرحوم الملك فيصل . وكانت مدة السر هنري دو بس كمندوب سام في العراق قد قاربت الانتهاء فترك العراق .

مماهرة ٣٠ حزيران سنة ١٩٣٠ :

انجهدت السياسة الانكليزية اتجاهاً جديداً نوعاً ما بعد سفر السر هنري دو بس وانقضى العهد الذي يصح ان يسمى بعهد سيطرة السياسة الهندية على العراق .

وخلف السر كلبرت كليتون سلفه السر هنري دو بس وهو رجل قضى معظم حياته السياسية في معالجة القضايا العربية ، ولم يكن متأثراً بالسياسة الهندية . وكانت الحكومة العراقية تلح في طلب الدخول الى عصبة الامم وكان العراقيون حكومة وشعباً يظهرون استيائهم من المادة الثامنة من معاهدة

(١) راجع الريحاني ص ١٢٣

سنة ١٩٢٧ التي اشترطت ان يتوقف ترشيح بريطانيا العراق لعضوية عصبة الامم سنة ١٩٣٢ على استمرار تقدمه الى ذلك الحين . وقد عد العراقيون تلك المادة مطاطة واتخذوها دليلاً على عدم رغبة بريطانيا في ترشيح العراق الى العصبة فما كان من السر كلبرت كليتون الا ان طلب من حكومته ان ترفع القيد وتقرر نهائياً ترشيح العراق سنة ١٩٣٢ ، فقبلت حكومته بذلك واذيع هذا الامر في بغداد في ١٤ ايلول سنة ١٩٢٩ بعد وفاة السر كلبرت الفجائية بثلاثة ايام، كما ان الحكومة البريطانية سحبت معاهدة سنة ١٩٣٧ (١) .

وقد بدأت الحكومة العراقية بعد هذا التصريح تطالب بتنقيص عدد الموظفين البريطانيين وتوزيع المسؤوليات الادارية على العراقيين بقدر الامكان استعداداً لاختد المسؤولية التامة في الادارة حين دخول العراق عصبة الامم . وقد تعارضت وجهة نظر الحكومة العراقية مع وجهة النظر البريطانية وادى ذلك الى استقالة الوزارة في ربيع سنة ١٩٣٠ . على ان الحكومة البريطانية منذ ذلك الحين قبلت بتنقيص عدد من الموظفين البريطانيين وبعدم تدخل الموظفين الباقين في شؤون الدولة العراقية الداخلية على قدر الامكان (٢)

ابتدت المفاوضات بين المشايخ البريطانيين والعراقيين لعقد معاهدة

(١) راجع British Government, Policy In Iraq. Memorandum by the Secretary of State for the Colonies Presented to Parliament Cmd. 3440, H.M. Stationery office, 1921.

وراجع ايضا التقرير الرسمي الى عصبة الامم لسنة ١٩٢٩ ص ١٤
 (٢) راجع التقرير البريطاني الخاص عن تقدمه العراق بين ١٩٢٠-١٩٣١
 الملحق الثاني ص ٢٩٠-٢٩٢

جديدة في ربيع سنة ١٩٣٠ استعداداً لسخول العراق الى عصبة الامم . وقد عقدت المعاهدة في بغداد في ٣٠ حزيران من تلك السنة وفيها اعترفت بريطانيا باستقلال العراق استقلالاً تاماً على ان يمثل كلا من الدولتين لدى الآخر ممثل دبلوماسي وتمهد الجانبان انه اذا حدث لاحدهما نزاع مع دولة ثالثة يعملان بالاتفاق لحل النزاع بالوسائل السلمية بموجب ميثاق عصبة الامم على قدر الامكان فان لم يكن ذلك واجبر احدهما على الالتجاء الى الحرب قام الطرف الآخر بمساعدته كحليف ويتفق الجانبان على اتخاذ التدابير الضرورية للدفاع . اما مساعد العراق فتتضمن باعطاء التسهيلات لبريطانيا لاستعمال المواصلات داخل العراق (المادتان الثالثة والرابعة) . واتفق الجانبان ايضاً على التفاهم التام بما يخص السياسة الخارجية وعلى ان لا يتبع احدهما سياسة خارجية تكون مضادة لمواد هذه المعاهدة او تخلق مصاعب للجانب الآخر (المادة الاولى) . واخذ العراق على عاتقه مسؤولية الامن الداخلي والدفاع عن حدود العراقية من اي اعتداء اجنبي . واعترف العراق بان المحافظة على طرق المواصلات البريطانية من مصلحة الجانبين وسمح لبريطانيا بأن تنشيء مطارات في محلات تفتخبها بالقرب من البصرة وفي نقطة غربي الفرات (١) . وسمح العراق لبريطانيا ايضاً ان تكون لها قوات عسكرية داخل حدود العراق دون ان يمس ذلك بسيادة العراق (المادة الخامسة) وقد الفت هذه المعاهدة المعاهدات العراقية الانكليزية السابقة والاتفاقيات

(١) وقد اختارت بريطانيا هذه النقطة في سن الذبان على الجانب الايمن للفرات بين الفلوجة والرمادي .

الملحقة بها (المادة السابعة). وعاق امر تنفيذ هذه المعاهدة على قبول العراق عضواً في عصبة الأمم وجعلت مدتها خمس وعشرون سنة من تاريخ ابتداء تنفيذها (المادة الحادية عشرة).

وتم الاتفاق في ملحق المعاهدة على انسحاب القوات البريطانية بعد خمس سنوات من تاريخ ابتداء تنفيذها من جميع أنحاء العراق وحصرها في المطارين المذكورين في المعاهدة. وتعهدت الحكومة العراقية ان تجهز حرساً خاصاً من قواتها للطائرات على حساب بريطانيا وتعهدت بريطانيا ان تقدم للعراق على حسابه الخبراء البحريين والعسكريين والطيارين والاسلحة والعتاد والاجهزة العسكرية بأنواعها. وان تقوم بتدريب الضباط العسكريين الذين يرسلون الى بريطانيا وقد منحت الحكومة لممثل بريطانيا في العراق الاسبقية بين الممثلين السياسيين للدول الاجنبية وقد قبل العراق انه حين احتياجه الى خبراء اجانب ان يستخدم عادة خبراء بريطانيين بعد المفاوضة بين الحكومتين البريطانية والعراقية. وللعراق ان يستخدم اجانب من غير البريطانيين حين عدم وجود اشخاص بريطانيين مناسبين.

وعقدت في لندن في ١٩ آب سنة ١٩٣٠ اتفاقية مالية لحل المشاكل المالية المعلقة بين بريطانيا والعراق. وبها تكفلت الحكومة العراقية بشراء الابنية في مطاري الهندي والموصل بسعر يعادل ثلث قيمتها الاصلية حسب القوائم التي تقدمها وزارة الطيران البريطانية.

ونقلت ملكية السكك الحديدية العراقية بموجب هذه الاتفاقية الى حكومة العراق على ان تعهد ادارتها الى مجلس مؤلف من خمسة اعضاء اثنان

منهم تعيينهم الحكومة العراقية واثان تعيينهم الحكومة البريطانية ويعين الخامس باتفاق الطرفين . وعينت قيمة السكك بحصص قسمت بين الحكومتين البريطانية والعراقية . وكذلك اتفق على نقل ملكية ميناء البصرة الى الحكومة العراقية وتأليف هيئة « ترست » (Trust) لادارتها بموجب شروط يتفق عليها مع الحكومة البريطانية ولا يمكن تغييرها الا باتفاق مع بريطانيا ما دامت قيمة الميناء او جزء منها ديناً على العراق (١) .

وقد لقيت المعاهدة معارضة من الحزب الوطني وحزب الاخاء ولذلك كونا جبهة واحدة ضدها فيما بعد ، وكانت جرائدهما نشر المقالات المتتالية في نقدها وكانت اهم النقاط التي وجهت المعارضة اليها هي اعتراف المعاهدة بأن حفظ المواصلات البريطانية هو من صالح بريطانيا واعطاء الحق للحكومة البريطانية لتأسيس مطارين داخل الحدود العراقية .

وكانت وجهة نظر المعارضة ان وجود هذين المطارين يخل بسيادة العراق كما انه يسمح للحكومة البريطانية بالتدخل حين الاقتضاء في شؤون العراق وقد حل المجلس النيابي في اول تموز سنة ١٩٣٠ واجريت الانتخابات في اواخر تشرين الاول وعرضت المعاهدة على المجلس في ١٦ تشرين الثاني وقررت بجلسة واحدة دامت اربع ساعات بأغلبية ٦٩ ضد ١٣ صوتاً .

وعرضت قضية انهاء الانتداب على عصبة الامم فوجه مجلس العصبة الى لجنة الانتداب الدائمة سؤالاً يطلب منها فيه وضع الشروط التي يجب

Treaty of Alliance Between His Majesly in Respect to (١)
the United Kingdom and his Majesty the King of Iraq, Cmd.
3797, H.M, Stationery office, London, Treaty Series No,
15 (1931), 1931 .

ان تستوفىها امة منتدب عليها قبل امكان رفع الانتداب عنها . فوضعت اللجنة هذه الشروط وخلصتها ان على الامة التي تحت الانتداب ان تكون فيها مؤسسات حكومية عصرية كافية لادارة شؤونها وان تكون قادرة على حفظ الامن الداخلي وعلى الدفاع عن حدودها عند الحاجة ، وان تكون مستعدة لتقديم التعهدات لحفظ حقوق الاقليات وحقوق الاجانب المقيمين فيها والذين كانوا في ايام الحكم العثماني يتمتعون بالامتيازات الاجنبية وان تحافظ على الاتفاقيات والمعاهدات الدولية التي ارتبطت بها الدولة المنتدبة باسمها . وقد وافق مجلس العصبة على هذه الشروط ^(١) .

وقدمت الحكومة البريطانية الى العصبة تقريراً عاماً ضافياً عن العراق ووقته بين سنتي ١٩٢٠-١٩٣١ تدعم فيه نظريتها بأن العراق قد تقدم تقدماً كافياً يؤهل لرفع الانتداب عنه ودخوله الى عصبة الامم . كما انها قدمت المعاهدة العراقية البريطانية الجديدة التي ذكرنا اهم موادها سابقاً فدرست لجنة الانتدابات التقرير والمعاهدة للتأكد من اهلية العراق للاستقلال وللدفاع عن حدوده . وكان يمثل بريطانيا امام لجنة الانتدابات الدائمة السر فرنسيس همفريس المعتمد البريطاني في العراق للدفاع عن التقرير ووجهة النظر البريطانية . فجرت بينه وبين اعضاء اللجنة مساجلة حادة عن بعض مواد المعاهدة وعلى الاخص فيما يتعلق بالمطارات وحفظ قوات بريطانيا داخل العراق اذ ادعى هؤلاء الاعضاء انه ما من امة صغيرة تدخل بتعهدات مثل هذه مع دولة كبيرة الا وخسرت قسماً من سيادتها ،

League of Nation, Official Journal, 15 th. Year, No 11, (١)

Nov. 1931, 64 th, Session of the Council, PP. 1056-1058

وقد خالفهم في ذلك بعض الاعضاء الآخرين مرتأين بأنه ليس في المعاهدة ما ينقص من سيادة العراق واستقلاله^(١)

وقد رفعت اللجنة الى مجلس العصبة تقريراً تؤيد فيه اهلية العراق للاستقلال ورفع الانتداب عنه معتبرة المواد الدفاعية من المعاهدة العراقية الانكليزية كافية لضمان سلامة الحدود العراقية والاتفاقية العدلية كافية لضمان حقوق الاجانب في العراق^(٢). وقد قرر مجلس العصبة رفع الانتداب عن العراق وترشيحه لدخول عصبة الامم، وقد تم انتخاب العراق عضواً من قبل جمعية عصبة الامم في ٣ تشرين الاول سنة ١٩٣٢.

مصالح بريطانيا في العراق :

لقد بحثنا حتى الآن عن تاريخ نشوء المصالح البريطانية في العراق والعلاقات السياسية والاقتصادية التي نتجت من ذلك بين العراق وبريطانيا. ولا بد لنا قبل انهاء هذا البحث ان نلخص هذا الصالح.

ان مصالح بريطانيا في العراق تتلخص بما يأتي :

اولاً— كون العراق حلقة من حلقات المواصلات البريطانية المؤدية الى الهند. فقد حاولت بريطانيا منذ اوائل القرون الماضي وقبل فتح قناة السويس ان تشق طريقاً الى الهند ماراً بالعراق فكانت هنالك محاولات لتأسيس شركة لمد خطوط حديدية من الاسكندرونة الى البصرة وفتح خط

١ مناقشات لجنة الانتداب الدائمة الجلسة ٢١ ص ٧٦-٧٨، مر، ١٢٠-١٢٢

ديسمبر ١٩٣٢

(٢) راجع نص تقرير اللجنة في Report of the Permanent Mandates Commission, Minutes of the Commission, 21 st. session, PP. 222-223.

المواصلات النهرية على الفرات . وقد قضى فتح قنال السويس على هذه الخطط . ثم جاءت المانيا بمشروع سكة حديد بغداد فقاومته بريطانيا بكل شدة وكانت لها الفرصة في القضاء عليه في الحرب العظمى والاستيلاء على العراق . وبتقدم فن الطيران والمواصلات الجوية اصبح العراق حلقة مهمة من حلقات المواصلات الجوية بين بريطانيا والهند واستراليا . زد على ذلك امل الانكليز بمد سكة حديد حيفا - بغداد وفتح المجال لنقل البضائع والمسافرين بواسطته .

ولا ترمي بريطانيا بتأسيس قاعدتين قويتين للطيران في العراق وبعقدها معاهدة دفاعية مع العراق سنة ١٩٣٠ حفظ خطوط مواصلتها فقط بل ترمي ايضاً الى منع كل دولة اخرى من التقرب من الخليج الفارسي والبحر الهندي والاستيلاء على سواحلها ، وقد كانت هذه سياستها منذ اكثر من مائة سنة كما رأينا ولا تزال كذلك حتى الآن (١) كما ان بريطانيا بعد الحرب اخذت تستعمل قواعدها الجوية في العراق لتدريب الطيارين الانكليز نظراً للملائمة الاحوال الجوية وانبساط الارض في العراق مما يسهل

(١) راجع عن سياسة بريطانيا العامة بشأن محافظة طريق الهند كتاب

J.A.R. Marriott, the Eastern Question, E.M. Earle Turkey, the Great Powers And the Baghdad Railway. وكذلك ايضا K. Williams,

"the Significance of Mosul," 19th Century. vol. 99, PP. 349-355, March 1929 .

وفي المقال الاخير بين الكاتب اهمية تقوية العراق ليكون حاجزاً دون تقدم روسيا الى الخليج الفارسي والبحر الهندي . اما عن اهمية خطوط الطيران فراجع

Sir Samuel Hoare, India by Air, A tyring Vfsit to the Middle East.

وفي الكتاب بين المؤلف ، وهو وزير طيران سابق ، صلاحية العراق لتدريب الطيارين الانكليز

التدريب ويقلل من مخاطره .
 ثانياً — مصالح بريطانيا الاقتصادية في العراق ، واهمها آبار النفط في العراق وجنوبي ايران ووجوب المحافظة عليها فلشركة الانكليزية الفارسية امتياز استخراج النفط في جنوب ايران ولشركة نفط خانتين وهي فرع للاولى امتياز استخراج النفط في ضواحي خانتين في العراق ، ولشركة النفط العراقية المؤلفة من روؤس اموال انكليزية وهولندية وفرنسية واميركية امتياز استخراج النفط في شمال العراق وشرقي دجلة كما ان لشركة انماء النفط الانكليزية امتياز استثمار موارد النفط غربي دجلة . وللحكومة البريطانية حصص في شركة النفط الانكليزية الفارسية كما ان بريطانيا تحتاج الى النفط لسد حاجات اسطولها .
 وهناك مصالح انكليزية اخرى في العراق منها كون العراق احد الاسواق للبضائع البريطانية واحد المصادر للمواد الخام لبريطانيا . كما ان في الامكان استثمار روؤس الاموال البريطانية للقيام بمشاريع مهمة اهمها بعض مشاريع الري التي تلزمها شركات بريطانيا او امكان عقد قروض للعراق في بريطانيا وما اشبه ذلك .

٢ — العلاقات مع الدول الاخرى

(١) المملكة العربية السعودية :

لم تكن الحدود بين العراق ونجد معينة بعد الحرب العظمى اذ كانت الصحراء كلها مشاعاً للقبائل العربية تغدو فيها وتروح دون قيد . وفي سنة

١٩٢٢ أمضت حكومات العراق ونجد وبريطانيا معاهدة المحمرة وبروتوكول العقير (١) عينت فيها الحدود مبتدئة من شمال الكويت الى حدود شرقي الاردن وهي مسافة تربو على الخمسمائة ميل . ومما امتازت به الحدود بين نجد والعراق وجود منطقة حياد يجوز للقبايل العربية الرحالة من الجانبين الدخول فيها للانتفاع من آبارها . وقد عينت في نفس المعاهدة العشائر الساكنة على الحدود المنتسبة الى العراق او الى نجد .

وفي سنة ١٩٢٥ عقدت اتفاقية بحرة بين العراق ونجد وبموجبها اسست محكمة مشتركة لحسم دعاوي الغزو بين العشائر ، وتعاونت الحكومتان منذ سنة ١٩٢٦ على قطع دابر الغزوات وقامت الحكومة العراقية في السنة التالية في تشييد مخافر داخل حدودها لحماية صحرائها فاحتجت حكومة نجد على ذلك بشدة وحاولت الحكومتان العراقية والبريطانية ان تقتعا حكومة نجد بأن المخافر كانت بعيدة عن الحدود وبأنها لم تكن مقصودة كحركة عداء ضد نجد بل لخفارة الصحراء فأصرت الحكومة النجدية الحجازية على وجهة نظرها وجرت في اثناء المفاوضات غزوات لبعض العشائر النجدية على العراق وقد قامت حكومة نجد بمعاينة العشائر الغازية وتحسنت العلاقات بين البلدين على اثر ذلك . والتقى ملكا البلدين على بارجة انكليزية في الخليج الفارسي وعقدت معاهدة حسن الجوار بين العراق ونجد سنة ١٩٣١ .

(١) راجع نص المعاهدة والبروتوكول في الملحق الثاني لتقرير الحكومة البريطانية السنوي عن العراق لسنة ١٩٢٢-١٩٢٣ . ص ١٨٣-١٨٦

(٢) - سورية :

لقد عينت الحدود بين سورية والعراق بموجب الاتفاقية الانكليزية الفرنسية سنة ١٩٢٠ ولكنها لم تأخذ شكلها النهائي الى سنة ١٩٣٣ حيث اجريت فيها بعض التعديلات . وكانت قد تألفت لجنة لحسم دعاوي الغزوات بين العشائر العراقية والسورية .

(٣) ابراه :

لم تعترف الحكومة الايرانية بالحكومة العراقية الا في سنة ١٩٢٩ وذلك لطلب حكومة ايران ان يتمتع رعاياها بالامتيازات الاجنبية اسوة برعايا الدول الاوربية . على ان اعتراضات ايران زالت نظراً لتوحيد القضاء العراقي ومعاملة الاجانب والعراقيين على حد سواء فاعترفت اذ ذاك ايران بالعراق سنة ١٩٢٩ ، وتبادل البلدان المفوضين السياسيين . وعقدت اتفاقية مؤقتة في تلك السنة على ان تدوم سنة واحدة ولكنها ما زالت تتجدد منذ ذلك الحين حتى السنة الماضية .

ومن المشاكل بين الحكومتين الوضع الشخصي للرعايا الايرانيين في العراق وجنسياتهم ومشكلة العشائر الكردية والعربية القاطنة على الحدود والتي تهاجر الى ايران كل سنة (لقد قلت هذه الهجرة في السنوات الاخيرة نظراً لتدقيقات الحكومة الايرانية) . وقد اخذت الحكومة الايرانية في السنة الاخيرة تطالب بتعديل حدودها مع العراق مدعية ان مواد معاهدة ارضروم والبروتوكول الملحق بها الممضي سنة ١٩١٣ لم تكن مصدقة من

المجلس الابرائى . وجرى تجاوز من الجهة اليرانية على الحدود العراقية و بعد ان لم تتمكن الحكومة من حسم القضية بالمفاوضات المباشرة بينهما احوالها العراق الى عصبة الامم للبت فيها .

(٤) تركيا :

بعد حل مشكلة الموصل بين العراق و تركيا كما رأينا آنفاً اخذت العلاقات بين البلدين تتحسن بالتدريج . وتعيّنت لجنة مشتركة للحدود لحسم القضايا التي تحدث فيها بصورة ودية وقد زار المغفور له الملك فيصل تركيا سنة ١٩٣١ وعقد بعد ذلك بين الدولتين معاهدة تجارية سنة ١٩٣٢ . يستنتج من كل ذلك ان علاقات العراق بالدول المجاورة له باستثناء علاقته بيران انتقلت من حالة تشويش وعدم استقرار حين تأسيس الدولة العراقية الى حالة علاقات ودية مؤسسه على حسم القضايا المعلقة بموجب معاهدات ولم يبق من القضايا المعلقة المهمة الا قضية الحدود العراقية اليرانية .

الفصل الثالث

المشاكل السياسية (تكملة)

١ - مشكلات الدفاع الوطني والامن العام

والتجنيد الالزامي

بدأ العراق حياته كدولة سنة ١٩٢١ وحدوده غير مستقرة مهددة في جميع اطرافها تقريباً . فكان الخطر محققاً بالحدود التركية من الشمال وبالحدود النجدية من الجنوب ولم تكن الحدود العراقية السورية معينة بعد كما ان العلاقات مع ايران لم تكن على ما يرام . وطول الحدود العراقية يكاد يبلغ الالف ميل ومعظمها في اراضي منبسطة لا تتبع حواجز ارضية طبيعية ما خلا الاقسام الشمالية والشمالية الشرقية منها . وهذا ما جعل مشكلة الدفاع صعبة واشغل بال رجال الحكم من الوطنيين والانكليز منذ اول تأسيس الحكومة العراقية^(١) .

ولم تكن الحاجة ماسة الى الجيش للدفاع عن الحدود فحسب بل لحفظ الامن الداخلي ايضاً . فقد كان العراق قبل الحرب العظمى من اشد الاقطار اضطراباً في الدولة العثمانية فلقبائل فيه ، الرحلة منها والمستقرة ، التي تكون

(١) راجع Wilson, Sir Arnold, 'Mesopotamia,' 1914 to 1921, Journal of the Central Asian Socy, Vol. 8, PP. 152-153, Part 3, 1921. Slater, S.H. , 'Iraq', 19 th. Cent., Vol. 99, P, 494, April, 1926. وراجع ايضاً « ضرررة التجنيد الاجباري » . المقالة الانتقائية . جريدة الاستقلال

نحواً من نصف السكان لم تكن تخضع للنظام وكانت تغزو بعضها بعضاً على الدوام^(١). فالحاجة الى قوات عسكرية اذن ماسة لحفظ الامن في هذه القبائل ولمنعها من الغزو ولحفظ طرق المواصلات الداخلية من غزواتها او لحملها على دفع الضرائب للحكومة بصورة منتظمة .

ولذلك فقد تقرر تأليف جيش وطني منذ تأسيس الحكومة العراقية وجملت الخدمة في هذا الجيش اختيارية . واخذت الحكومة البريطانية على عاتقها مسؤولية حفظ الامن الداخلي والدفاع عن الحدود الى الوقت الذي ينمو فيه الجيش الجيش الوطني العراقي ويصبح قادراً على تحمل هذه المسؤولية^(٢) . واخذ عدد الجيش بالازدياد منذ ذلك الحين حتى اصبح عدده ثلاثة عشر الفاً في سنة ١٩٣١ . وتألفت في تلك السنة قوة من الطيران وهي آخذة في الازدياد ايضاً . وازداد عدد الشرطة من ٢٦٢٥ في سنة ١٩٢١ الى ٧٩٩١ في سنة (٣) ١٩٣١ . وهكذا اصبح للعراق القدرة على حفظ الامن الداخلي بنفسه^(٤) .

(١) لا يزال جانب كبير من العشائر مسلحاً وهذا كما لا يخفى خطراً كامناً هاماً على سلامة الدولة . اقرأ تصريح السر هيوبرت يونغ ممثل بريطانيا العظمى امام لجنة الانتداب الدائمة في مناقشات اللجنة في جلستها التاسعة عشرة المنعقدة في كانون الاول سنة ١٩٣٠ ص ٨٩ . راجع ايضاً تصريح جعفر باشا العسكري ، ممثل العراق في مؤتمر نزع السلاح عن تأثير العشائر التي تمتلك نحو ١٣٠٠٠٠ بندقية وخطرها على الامن في العراق ، جريدة الطريق ، ١١ حزيران سنة ١٩٣٣ .

(٢) راجع تقرير الحكومة البريطانية الخاص عن تقدم العراق ص ٣٩ .

(٣) تقرير الحكومة البريطانية الخاص عن تقدم العراق ص ٥٥-٥٦ .

(٤) راجع تصريح السر فرنسيس همفريز ، مندوب السامي البريطاني في العراق ،

امام لجنة الانتداب الدائمة ، راجع مناقشات اللجنة ، الاجتماع العشرون ، اغسطس

سنة ١٩٣٣ ، ص ١٢٩-١٣١ .

بيد ان الحكومة العراقية لم تر هذه القوات كافية لحفظ كيائها فأخذت تضع اسس مشروع الخدمة الالزامية منذ سنة ١٩٢٧ لتقوى على حفظ الامن الداخلي والدفاع عن الحدود معاً . إلا ان الحكومة البريطانية عارضت هذا المشروع فسحبت اللامحة التي قدمتها الوزارة الى البرلمان في نفس تلك السنة (١) . وهكذا اجل القيام بهذا المشروع حتى بعد دخول العراق عصبة الامم .

والظاهر ان الحكومة العراقية بعد ان عززت جيشها وقوات شرطتها الى درجة تمكنها من حفظ الامن الداخلي فمكرت بثلاث طرق لتأمين حدودها من الاعتداءات الخارجية وهي : (اولاً) تأسيس صلات ودية مع الدول المجاورة . (ثانياً) عقد المعاهدة الدفاعية مع بريطانيا العظمى التي اتينا على ذكرها سابقاً . (ثالثاً) سن قانون الدفاع الوطني الذي صادق عليه البرلمان في سنة ١٩٣٤ لتأليف جيش وطني الزامي على اسس جديدة . والعمل سائر بكل جد لتطبيقه .

٢- الوحدة القومية

لقد درسنا حتى الآن كيف تكونت الامة العراقية الفتية بنتيجة التطورات والحوادث التي تلت الحرب وكيف حاولت ان تكون لها كياناً مستقراً في الامور الداخلية والعلاقات الخارجية . ونود الآن ان نوجه نظرنا

(١) راجع Cox, Sir P. Z., 'Iraq,' Near East And India, Vol.35,

P. 238, Feb. 21, 1929.

راجع أيضاً تقرير الحكومة البريطانية السنوي عن ادارة العراق للسنة ١٩٢٧

الى دراسة العناصر المكونة لهذه الامة ومدى ترابطها بعضها مع البعض ، والى اي حد قد نما فيها الشعور الوطني ، والعقبات التي قد تقف في سبيل وحدتها .

(اولاً) العناصر الجغرافية :

العراق قطر عربي وتسكنه اكثرية ساحقة من العرب . ولقد احتفظ بعروبه هذه منذ القرن السابع الميلادي . وكان في احد اطواره التاريخية قاعدة امبراطورية عربية عظيمة ومركزاً لحضارة عربية زاهرة . على ان فيه عناصر اخرى غير عربية كالاكرد والتركان والآثوريين والبيزيدية والارانيين . وسنقتصر كلامنا هنا على الاكرد فقط لكثرة عددهم النسبي ولانهم عدا اختلافهم في الجنس يتكلمون لغة غير عربية . اما العناصر الاخرى فمعظمها تنكلم العربية وعددها قليل لا يجعل وجودها عاملاً يخلق مشاكل للحكومة العراقية . واكثر هذه العناصر تتمثل تدريجياً في جسم الشعب العراقي .

يبلغ عدد الاكرد في العراق نحو نصف مليون ويسكن اكثرهم في الوية الموصل وكركوك والسليمانية . بيد ان اكثرية سكان لواء الموصل عرب وسكان لواء كركوك مزيج من الكرد والعرب والتركان .

لقد افسحت معاهدة سفر—معاهدة الصلح مع تركيا المضادة في سنة ١٩٢٠ - المجال للاكرد لتأليف دولة كردية مستقلة في جنوب تركيا وفي شمال العراق اذا قدم الاكرد طلباً بذلك الى مجلس عصبة الامم خلال ستة اشهر من تاريخ التوقيع على المعاهدة . فاذا وافقت العصبة على ذلك تتهدد

الدول المختصة بان لا تعارض في تنفيذ هذا المشروع^(١). وقد حدث كل ذلك قبل تأسيس الحكومة الوطنية في العراق إلا أن فوز مصطفى كمال باشا ادى الى الغاء معاهدة سيفر ومشروع تأسيس الدولة الكردية معاً. وفي سنة ١٩٢٣ عقدت صلح جديدة مع تركيا في لوزان لم يأت في اي ذكر لدولة كردية. وبالرغم من تأسيس الحكومة الوطنية العراقية كان المندوب السامي البريطاني في العراق اثناء هذه المدة قد جعل المنطقة الكردية تحت ادارته مباشرة وكان المقيم الانكليزي في السلمانية يتبع في ادارته سياسة شبيهة بالحكم الذاتي ويشجع في الوقت نفسه الشعور الوطني الكردي. ولم تنقل ادارة المنطقة الكردية الى الحكومة العراقية حتى حزيران سنة ١٩٢٤^(٢). وقد اقترحت لجنة عصية الامم التي اخذت على عاتقها درس قضية النزاع بين العراق وتركيا على ولاية الموصل ان تبقى ولاية الموصل للعراق على ان « يعين موظفون من الاكراد للادارة والقضاء والتعليم في المنطقة الكردية وان تكون اللغة الكردية اللغة الرسمية في كل هذه الامور^(٣) ». وسارت الحكومة العراقية على هذه السياسة ولكنهما لم تقيدها بتطبيقها حرفياً. ومع ان الاكثريّة الساحقة من الموظفين في المنطقة الكردية هم من الاكراد

(١) راجع معاهدة الصلح مع تركيا المفضاة في سفر في ١٠ اغسطس سنة ١٩٢٠
المواد ٦٢-٨٤

(٢) راجع تقرير الحكومة البريطانية الخاص عن تقدم العراق ص ٥٨-٥٥
راجع ايضاً Major Soane in Sulaimaniya, journal of the
Central Asian Society, Vol. 10, Part 2, 1923, PP. 145-48.

(٣) راجع تقرير عصية الامم عن الحدود بين تركيا والعراق ص ٦٩

او ممن يتكلمون الكردية ، فان الحكومة العراقية قد اتبعت خطة تعيين بعض الموظفين العرب في المنطقة الكردية وبعض الموظفين الاكراد في المناطق العربية ، وذلك لان حرمان الموظفين العرب من التعيين في المنطقة الكردية نتيجه المنطقية حرمان الموظفين الاكراد من المناطق العربية وهذا مضر وليس في صالح الاكراد انفسهم^(١) . واتبعت الحكومة العراقية الخطة التي اوصت بها لجنة الحدود بشأن اللغات المحلية فسنت في سنة ١٩٣١ قانوناً يسمح باستعمال اللغات المحلية في الوية الموصل واريل وكركوك والسليمانية سواء أكان ذلك في دواوين الحكومة او المحاكم او المدارس الابتدائية^(٢) .

ان المعاهدة العراقية الانكليزية لسنة ١٩٣٠ التي بموجبها دخل العراق عصبة الامم لا تحوى شيئاً عن الاقليات العنصرية ، وقد ارسل بعض شيوخ الاكراد حين نشرها عريضة الى عصبة الامم يطلبون فيها استقلال كردستان الا ان العصبة رفضتها رفضاً باتاً . وصرح وكيل رئيس وزراء العراق آنئذ بان الحكومة العراقية تسير على الخطة التي بسطناها اعلاه ولكنها في الوقت نفسه « عازمة على قمع اية حركة ضد وحدة الدولة العراقية^(٣) » .

١ راجع تصريح السر فرئيس همفريس امام لجنة الانتدابات الدائمة في مناقشات اللجنة ، الجلسة العشرون ، اغسطس سنة ١٩٣١ ص ١١٩ - ١٢

(٢) راجع قانون اللغات المحلية رقم ٢٤ لسنة ١٩٣١ ، الوقائع العراقية العدد ٩٨٩ في ١ حزيران سنة ١٩٣١

(٣) راجع خطاب جعفر باشا العسكري الذي القاه في اربيل وكركوك والسليمانية في صيف سنة ١٩٣٠ . انظر مناقشات لجنة الانتدابات الدائمة ، الجلسة ١٩ ، سنة ١٩٣٠ ، ص ١٩١

وقد حدثت تورتان محليتان بين سنتي ١٩٢٠ و ١٩٣٢ .

(ثانياً) العناصر الدينية :

ومن العوامل التي تؤثر على الوحدة الوطنية العراقية تأثيراً سيئاً لوجود الاختلافات الدينية والمذهبية واهمها افتراق المسلمين فرقتين سنة وشيعة . ويرجع هذا الانقسام الى ايام الاسلام الاولى حين اختلف جمهور المسلمين على الخلافة ، وينقسم المسلمون في العراق مناصفة بين هذين المذاهبين ولعل الشيعة أكثر عدداً بقليل . وكان الشيعة ينظرون الى الدولة العثمانية السنية كدولة بعيدة عنهم فكانت لهم مدارسهم ورؤوسائهم الدينيين . وقلما كان يتقلد احد منهم منصباً حكومياً اذ كان كل موظفي الحكومة العثمانية تقريباً من السنة . وقد اخذ الشيعة منذ تأسيس الحكومة الوطنية في العراق يتقلدون الوظائف الحكومية وعدددهم يزداد فيها يوماً بعد يوم . ولابد من القول ان الشعور السابق بين اتباع هذين المذاهبين آخذ بالزوال . ولا بد انه بازيداد عدد الشيعة في الوظائف الحكومية وبسيادة روح التساهل العصرية تزول المشكلة وتخفي .

ومن العناصر الاخرى الدينية اليهود والمسيحيون . ويبلغ عدد اليهود نحو ثمانين ألفاً يسكن ثلاثهم بغداد ويتكلمون العربية على الاكثر . وقد مضى على وجودهم في هذا القطر قرون عديدة ، وهم كغيرهم من المجتمعات اليهودية في الاقطار الاخرى ، يزاولون الاعمال التجارية على الاكثر ووجودهم في العراق لا يكون مشكلة سياسية .

اما المسيحيون فهم اقل عدداً من اليهود وقد مضى ايضاً على وجودهم

قرون عديدة . ويسكن أكثرهم في المدن مثل بغداد والموصل والبصرة وفي القرى الواقعة في الشمال الشرقي من مدينة الموصل . وتتكلم الاكثرية الساحقة منهم العربية ما عدا بعض القرى قرب مدينة الموصل اذ نجد بجانب العربية لهجة من الارامية ايضاً . ولا يفرب عن البال ان هؤلاء لا يتصلون بشيء مع الآتوريين لان معظم الآتوريين مهاجرون نزلوا العراق بعد الحرب نازحين من تركيا وايران والمسيحيون من سكان البلاد الاصليين وهم يتمثلون بالسكان لغة وثقافة وعادات ولا يكونون مشكلة سياسية .

(ثانياً) نظام العشائر:

لقد مر الكلام عن العشائر واثرها كمصدر خطر كامن للامن الداخلي في العراق ولكيان الدولة العراقية نفسها نظراً لكثرة ما تملكه من السلاح . ونود ان نشير هنا الى القبائل كوحدات سياسية مؤسسة على الدم والقرابة مع ان القبائل تختلف في قوة عصبيتها الا ان جميعها لها تأثير وسيطرة قوية نوعاً ما على افرادها . فقد كان ابن التيميلة منذ القدم ولا يزال حتى الآن ينظر الى قبيلته بأنها المصدر الوحيد للسلطة عليية . واذا شعر بشيء من رابطة القرابة مع فرد من قبيلة اخرى او من قبيلة تجمعها بقبيلته او امر القرب فهو ينظر عادة الى من لا ينتسب الى عشيرته كقريب عنه . وتعتبر العشائر كل سكان القرى والمدن الذين لا يتصلون بها كغرباء ايضاً . وقانون ابن العشيرة العرف الموروث وغير المكتوب وبمحكم شيوخ العشائر او (العارفة) في النزاعات التي تحصل بين افرادها او بين عشيرة واخرى . اما الحكومة وموظفوها فان العشائر تنظر اليها عادة بعين الريبة . ان المشكلة الاجتماعية الكبيرة التي

تجاهها الحكومة العراقية والتي يجب ان تكون من اهم اهداف التربية في العراق هي توسيع آفاق اذهان اهل العشائر من العصبية القبلية الى العصبية القومية وتقدير فائدة تكوين امة متحدة قوية .

٣ - الحياة الديموقراطية وشكل الحكومة

النظام البرلماني :

العراق ملكية دستورية وله وزارة مسؤولة امام برلمان يتألف من مجلسي الاعيان والنواب. اما الاعيان فعددهم عشرون يعينهم الملك ممن اسدوا للامة خدمات جليلة ويتألف مجلس النواب من مائة وسبعة اعضاء ينتخبهم الشعب انتخاباً غير مباشر .

ينص الدستور العراقي كغيره من دساتير الدول الاخرى على ان جميع الافراد متساوون في الحقوق دون تفریق بين العنصر والدين ويضمن لهم الحرية الشخصية وحرية الكلام والنشر والعبادة . وتقسم سلطات الحكومة الى تنفيذية وتشريعية وقضائية والملك هو الذي يعين رئيس الوزراء ويوافق على تعيين الوزراء الذين يرشحهم رئيس الوزراء ويقبل استقلالهم . ولكل عضو في البرلمان حق تقديم اللوائح القانونية ماعدا تلك التي يخص مصروفات الميزانية التي هي من صلاحية الوزير . وعلى الوزارة ان تحضر الميزانية السنوية وتقدمها الى البرلمان للمصادقة عليها قبل اول شهر نيسان من كل سنة (١) .

(١) اراجع لدراسة الدستور العراقي C.A. Hooper, The Constitutional Law of Iraq

وراجع ايضا نقدا على هذا الكتاب في مجلة جمعية آسيا الوسطى المجلد ١٦ -

لقد اقر المجلس التأسيسي الذي اجتمع سنة ١٩٢٤ الدستور العراقي وصادق في الوقت نفسه على قانون الانتخاب الذي مهد السبيل لاجراء الانتخابات البرلمانية . وقد اجتمع بعد ذلك بسنة اول برلمان عراقي في صيف سنة ١٩٢٥ وما زال يجتمع سنوياً منذ ذلك التاريخ . وتبلغ مدة الدورة البرلمانية للبرلمان ثمانى سنوات اما مجلس النواب فلا تزيد دورته على الاربع سنوات . ويجوز للملك ان يحل المجلس بناء على طلب رئيس الوزراء . وينتخب النائب دلي اساس كل عشرين الف من السكان بالطريقة غير المباشرة . فكل لواء ينتخب ما يسمى بالمنتخبين الثانويين وهؤلاء بدورهم ينتخبون نواب كل لواء بلوائه . وهناك فكرة منتشرة بين العراقيين وقد تكون على جانب كبير من الصحة بأن كل حزب يأخذ على عاتقه الحكم ينجح على الاغلب في انتخاب مرشحيه الى المجلس النيابي بوسائل مختلفة يستعملها لهذه الغاية إذ أن الاكثرية الساحقة من الشعب تسود فيها الامية وهي لم تألف الاصول البرلمانية والانتخابات وقد تعودت نظام الحكم الاتوقراطي قروناً واجيالاً^(١) .

ص ١١٥-١٢٠ التسم الاول للسنة ١٩٢٩ . راجع ايضاً مقالة للاستاذ رايت عن حكومة العراق في :

American Political Science Review, Vol, 20, PP. 758-62.
Nov., 1926.

(١) لقد كانت الانتقادات تظهر دائماً في الصحف بعد كل انتخاب عن تدخل الوزارة في حرية الانتخاب . وليس في الامكان ان نشير الى كل ما كتب من امثال هذه المقالات الانتقادية ولكننا نشير الى امثلة منها . راجع جريدة العراق في ٧ حزيران سنة ١٩٢٨ والنهضة العراقية السنة الاولى ١٢ ايلول سنة ١٩٢٧ والزمان السنة الاولى ٢٤ شباط سنة ١٩٢٨ ، والعالم العربي السنة الثانية ٨ ايار سنة ١٩٢٨ راجع ايضاً تقرير الحكومة البريطانية السنوي الى عصبة الامم للسنة ١٩٢٨ ص ٦-١٠

لم تأخذ الاحزاب السياسية بعد شكلاً معيناً مستقراً وليست الفروق في المبادئ واضحة بين حزب وآخر ذلك ان نظام الحكم البرلماني في العراق حديث ولم تتكون بعد تقاليد سياسية يرعاها الشعب ويسير بموجبها . ولم من حزب قام بقيام احدى الوزارات وانحل بعد سقوطها . وقد تألفت احزاب على اساس المعارضة ولكنها ايضاً ما لبثت ان انحلت وعقبتها احزاب اخرى (١) .

الرأي العام :

نجد الرأي العام في العراق بين جماعة من الناس منهم من تلقوا تهذيبهم قبل الحرب او في المدارس الحكومية العامة بعد الحرب او في المدارس العالية في العراق وخارجه وعدد هذه الجماعة آخذ في الازدياد وهي مصدر الزعامة والقيادة في البلاد وآراؤها بارزة للعيان . تراها في الصحافة والوظائف الحكومية وفي النوادي وغير ذلك من الوسائل التي يتجلى فيها الرأي العام . ويظهر الرأي العام على الاكثر في المدن - وعلى الاخص في بغداد - ولكنه اخذ في الانتشار في الارياف ايضاً ويجب ان نذكر في عداد الذين يكونون الرأي العام العراقي شيوخ القبائل والملاكين وموظفي الحكومة والشخصيات البارزة في مختلف المدن الذين يؤثرون في امور الدولة والحكومات المحلية . ولا بد من القول انه اذا اجتمع كل هؤلاء الذين اشرنا اليهم لا يكونون الا جزءاً صغيراً من مجموع سكان العراق والسواد الاعظم

(١) راجع مقالا افتتاحياً عن « لماذا الحياة الحزبية قصيرة في العراق » في جريدة

من السكان يجهلون امور الدولة وقلمما يهتمون بها وتأثيرهم على سياسة الدولة ضعيف او معدوم بتاتاً ولا اثر لهم في الرأي العام تقريباً . وقلمما تجد بين هؤلاء من يقدر واجباته الوطنية وحقوقه الدستورية او من يعتبر الحكومة عاملاً مهماً في حياته وواسطة خدمته بل يعتبرونها كائناً خارجياً عنهم مؤلفاً من موظفين دأبهم السيطرة عليهم^(١) . وقد لاحظ بعض الاجانب عدم الترابط هذا بين سواد الشعب والحكومة وصعوبة التوصل الى فهم رغبات العامة ونزعاتهم^(٢) . ولا تجري الانتخابات بين العشائر على نفس الطريقة التي تجري بها في المدن اذ ينتخب الشيوخ عادة المنتخبين الثانويين او قد يستعينون في بعض الاحيان بكبار رجال القبيلة .

الشعور القومي :

وتجد الشعور القومي كالرأي العام بين الطبقات المهذبة من السكان التي تحمل اعباء الحكم في الوقت الحاضر وعددها قليل نسبة ولكن هذا العدد أخذ في الازدياد . ومن الصعب علينا ان نتلمس هذا الشعور بين طبقة العوام الا بصورة ضئيلة .

حرية الصحافة :

حرية الصحافة في العراق مضمونة بالدستور . الا ان قانون المطبوعات

(١) راجع مقال « الكرسي الشاغر في المجلس النيابي » في جريدة صدى الجمهور الموصلية السنة الاولى ٢٠ تشرين الاول سنة ١٩٢٧ . راجع ايضاً جريدة العراق السنة الخامسة ٣ تموز سنة ١٩٢٤ . وتصريح السرفرنسيس همفريس في مناقشات لجنة الانتدابات الدائمة الجلسة العشرون ، اغسطس ١٩٣٠ ص ١٩٣١

(٢) راجع Mann, An Administrator in the Makng, P. 259

وتقرير عصبة الامم عن حدود الموصل ص ١٩

قد جعل لوزير الداخلية ومجلس الوزراء صلاحية تحت شروط خاصة ان يعطل الجرائد والمجلات بدون تحقيق لمدة تتراوح بين الشهر الواحد والسنة (١). وقد قانون المطبوعات في السنوات الماضية بضع مرات وكانت النزعة دائماً نحو زيادة تقييد حرية الصحافة .

٤- الادارة الداخلية

مركزية الادارة:

ينقسم العراق ادارياً الى اربعة عشر لواء لكل منها متصرف يعينه وزير الداخلية بعد مصادقة جلالة الملك . وليس المتصرف مسؤولاً عن ادارة لوائه وحفظ الامن فيه فحسب بل عن مراقبة كل فروع الادارة المملكية في اللواء ايضاً كالمعارف والصحة والزراعة والبلديات . وهو يعمل بموجب ما يتلقاه من وزارة الداخلية من الانظمة والاورام والتعليمات .

وينقسم كل لواء الى عدد من الاقضية يرأس ادارة كل منها قائم مقام . وينقسم القضاء الى نواح ويرأس كل ناحية مدير . ووظائف القائم مقام والمدير تشابه وظائف المتصرف الادارية ولكن ضمن نطاق القضاء والناحية . وكل من هؤلاء الموظفين مسؤول تجاه رئيسه المباشر والسلطة العليا منوطة بوزير الداخلية . وصلاحيات كل منهم محدودة بموجب قانون الالوية (٢) .

فترى مما ذكرناه اعلاه بان الادارة في العراق متمركزة جداً ولعل ذلك

(١) راجع قانون المطبوعات رقم ٨٢ السنة ١٩٢١ المواد ١٣-١٩

٢ قانون ادارة الالوية رقم ٥٨ لسنة ١٩٢٧ . راجع الوقائع العراقية العدد ٥٦٦٥

الصادر في ٣١ تموز ١٩٢٧

يرجع اولاً الى ما ورثناه من التقاليد التركية في الادارة وثانياً الى الرغبة في تسيير ادارة هذه الدولة الحديثة العهد على اساليب في الادارة متقنة وعصرية .

الادارة :

وللمركزية في الادارة حسنات كمرقبة الموظفين الذين لا يحسنون الادارة ولوضع مثل عال امام الموظفين ليتبعوه الا انها في الوقت نفسه تقتل قابلية الابداع وتحول الادارة الى عمل ميكانيكي وتجعل الاوامر صلبة لا تنطبق في كثير من الاحيان على الاحوال والحاجات المحلية الخاصة^(١) . وقد ادخلت البلديات ايضاً ضمن هذا النظام المركزي في الدولة فقد كان رؤساء البلديات في السابق ينتخبون من قبل الاهلين ولهم صلاحيات واسعة في الادارة وفي وضع ميزانيات بلدياتهم الا ان القانون الجديد قد جعل تعيين رئيس البلدية وعزله بيد وزير الداخلية . واصبح لوزير الداخلية ايضاً سلطة المصادقة على ميزانية البلديات ومراقبة تنفيذها^(٢) .

الحاجة الى موظفين متمرين :

ينقص الادارة في العراق موظفون مدربون يشغلوا المراكز الحكومية الخطيرة . ولا تزال الحكومة العراقية تستخدم عدداً كبيراً من الاجانب على الاخص من البريطانيين وهذا ما اثار كثيراً من الانتقاد في الصحف

(١) تصريح المستر بورديلون ، الممثل البريطاني امام لجنة الانتدابات الدائمة في مناقشات

لجنة الانتدابات الدائمة ، الجلسة الثانية عشرة ، تشرين الثاني سنة ١٩٢٧ ص ١٧

(٢) قانون ادارة البلديات رقم ٨٤ للسنة ١٩٣١ ، المواد ٨ ، ٤٩-٥٣

راجع ايضاً تقرير الحكومة البريطانية السنوي عن ادارة العراق للسنة ١٩٣١ الملحق

السادس ص ٨٧-٩٨

والبرلمان . ومن اهم النقاط التي يستند اليها المنتقدون هي ان وجود الموظفين الاجانب في الحكومة العراقية محل بسيادة العراق وهو عبء ثقيل على الميزانية نظراً للرواتب الضخمة التي يتقاضاها هؤلاء الموظفون . على ان عدد الموظفين الاجانب في تناقص مستمر (١) . ومما لا ريب فيه ان العراق بحاجة ماسة الى تدريب عدد كبير من الموظفين الفنيين في داخل البلاد ام خارجها حتى يأخذوا على عاتقهم اعباء الوظائف الادارية والفنية في الحكومة . وهذا هو السبب الذي يدفع الحكومة العراقية الآن الى ارسال الطلاب الى الخارج للدراسة على نفقتها (٢) .

كثرة نقل الموظفين :

ومما يعقد مسألة تدريب الموظفين كثرة التنقلات التي تجري بينهم مما لا يعطي فرصة لهم للانكباب على دراسة مشاكل وظائفهم ومقتضياتها والاحاطة بدقائقها . وعاقبة هذه السياسة تغيير مستمر في خطط الدوائر الحكومية

(١) راجع محضر مجلس النواب الجلسة التاسعة عشرة من الاجتماع فوق العادة للدورة الانتخابية الثانية في ١٩ تموز سنة ١٩٢٨ . راجع ايضا مقال علي محمود « الموظفون الاجانب في الحكومة » في جريدة الاستقلال السنة التاسعة - العدد ١٣٧٤ هذه امثلة قليلة من غيرها كثيرة . وقد انقص عدد الموظفين البريطانيين والهنود من ٢٩٠٦ سنة ١٩٢٠ الى ١٩٦ سنة ١٩٣١ وانقص ايضا بمقدار ٣٣ موظفا في تلك السنة . راجع تقرير بريطانيا الخاص عن تقدم العراق ص ٢٩٢-٩٣ وتقريب الحكومة البريطانية السنوي عن تقدم ادارة العراق للسنة ١٩٣١ ص ٢٣

(٢) راجع مقال « بعثات المعارف وحاجه العراق » في جريدة العراق السنة الرابعة - ١٢ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ وتصريح السير هيوبرت يونغ امام لجنة الانتدابات الدائمة في مناقشتها في الجلسة التاسعة عشرة في كانون الأول سنة ١٩٣٠ ص ٧٦

وعدم استقرار في سياستها . ويجب ان نذكر ايضاً المحسوية والقرابة
والحزبيات السياسية التي تؤثر على انتخاب الموظفين والتي تؤدي بطبيعة
الحال الى تعيين بعض غير الكفاء من الرجال للوظائف (١) .

ومع هذا فهناك شواهد كثيرة من الاجانب على وجود القابلية عند العراقيين
على الادارة وتسيير الحكومة على مستوى عال (٢) . ومن التدابير التي اتخذتها
الحكومة العراقية لزيادة الاستقرار في الوظائف ولتأمين الموظفين على مرا كزهم
اصدار قانون الخدمة المدنية الذي يحوي شروط تعيين الموظفين ودرجاتهم
وترفيعهم (٣)

طبقة الموظفين :

بين الموظفين العراقيين نزعة لاعتبار انفسهم طبقة بيروقراطية خاصة
مستقلة عن بقية الشعب . ومما يزيد في خيلاء الموظفين ان الشعب نفسه ينظر
الى موظف الحكومة نظرة تعظيم واكبار . وقد استحوذ اهل المدن على معظم

(١) راجع مقالا افتتاحيا عن «كثرة تنقلات الموظفين» في جريدة العراق السنة الثانية -
٨ اغسطس سنة ١٩٢٧ ومناقشات لجنة الانتدابات الدائمة الجلسة العشرون اغسطس ،
سنة ١٩٣١ ص ١٣٧ راجع ايضا Owon Twueedy, "Iraq and Its Problems",
Fortnightly Review Vol. 137, PP. 221-222 February, 1932.

(٢) راجع تصريح السير هيوبرت يونغ امام مجمة الانتدابات الدائمة في مناقشات
جلستها المتعقبة في كانون الاول سنة ١٩٣٠ ص ٨٨ وراجع ايضا :
Chafirs, 'Great Britain and Iraq' Contemporary Review, Vol. 139,
June 1931, P. 744.

(٣) راجع قانون الخدمة المدنية رقم ١٠٣ لسنة ١٩٣١ الوقائع العراقية العدد
١٧٠١ ، ٣١ كانون الاول سنة ١١٤٣ وقانون تعديل قانون الخدمة المدنية رقم ٦٣
اسنة ١٩٣٢ الوقائع العراقية العدد ١١٤٣ الصادر في ١٤ حزيران سنة ١٩٣٢

الوظائف الحكومية . وعقلية هؤلاء ، ووجوه نظرهم تختلف نوعاً ما عن سكان الريف والمشار . وهذا بالطبع يؤدي الى زيادة الشقة بين الموظفين وبقية السكان من الوجهتين السياسية والاجتماعية (١) . وحالة مثل هذه هي من التقاليد التي ورثها العراق عن العهد العثماني السابق (٢)

الاقبال على الوظائف:

ولا بد من ذكر هذا التهلك العظيم على الوظائف الحكومية الذي يزداد بصورة هائلة . ان الدافع الاكبر الى ذلك هو قلة الاعمال الاقتصادية التي تعد الفرص للاشغال بالمهن الحرة والصنائع والمنزلة الاجتماعية التي يشغلها الموظف . على ان عدداً من النقدة يذهبون الى ان هذا الاقبال هو نتيجة طبيعية لنوع التهذيب الذي يعطى في مدارس المعارف العراقية العامة .

حركة الوحدة العربية

ابتدأت الحركة القومية العربية بصورة منظمة كحركة سياسية في اواخر الحقبة الاولى من القرن الحاضر . فتألفت جمعيات سياسية في الاستانة والولايات العربية شرعت بالمطالبة او بالاصلاح الاداري والاعتراف باللغة العربية كلفه رسمية في البلاد العربية . على انه لم تمض مدة الا وتأسست

(١) راجع مقالا افتتاحيا في جريدة العراق تحت عنوان « امه تستعبد نفسها » السنة الثامنة ٧ تشرين الثاني ١٩٢٨ راجع ايضا :

"Early Days of the Arab Government in Iraq," by a Baghdad Correspondent, Journal of the Central Asian Society, Vol, 9 Part 4, 1922, PP. 235-36.

(٢) راجع Halide Edib, "Poor Turkey, Poor Greece, Poor World," راجع Asia, Vol, 28 August 1928, P. 644.

جمعيات كان من غايتها طلب الاستقلال . فلما اعلنت الحرب العظمى كان العرب غير راضين عن سياسة الحكومة العثمانية فقامت بمحاكمة وشنق عدد من زعماء العرب فصمم هؤلاء على اعلان الثورة والانضمام الى صفوف الحلفاء . وكان زعماء الحركة الحسين بن علي شريف مكة وابناؤه الذين بدأوا المفاوضات مع بريطانيا العظمى لضمان تأييد دولة عربية متحدة بعد الحرب . وكانت القوات العربية تكون ميمنة الجيش البريطاني في الجبهة الشرقية لاحتلال فلسطين وكانت مؤلفة من جيش غير نظامي من العشائر ومن جيش نظامي مؤلف من الوف الجنود الحجازيين والعراقيين والسوريين ومئات من الضباط العراقيين في قيادة الثورة وهم الان من الرجال الذين يحتلون مراكز هامة في الحكومة العراقية . وكان قائد الجيش الامير فيصل بن الحسين .

بيد ان اطماع انكلترا وفرنسا ظهرت بعد الحرب فلم تجد نفعا لمفاوضات الامير فيصل في باريس ومطالبته بحق العرب . وفرض الانتداب بالرغم من رفض الاهلين له على كل من سوريا وفلسطين والعراق . واعطي الانتداب على سوريا لفرنسا وعلى فلسطين والعراق لانكلترا . واعترفت بريطانيا لليهود بأثناء وطن قومي لهم في فلسطين وبسطت فرنسا يدها على الحكومة العربية التي تألقت في الشام سنة ١٩٢٠ فاسقطتها . ولم تتشكل حكومة وطنية في العراق الا بعد قيام ثورة في سنة ١٩٢٠ ايضاً . ولم يرض العرب ان يعترفوا بالانتداب للدول الاجنبية ولم تكن مقاومتهم له منذ ان فرض عليهم فقاموا بعدة ثورات واضطرابات داخلية في سوريا وفلسطين . واتخذت المقاومة في العراق

بعد الثورة الاولى شكل نضال دبلوماسى ادى في الاخير الى الحصول على الاستقلال والدخول في عصبة الامم . ومع ان السياسة العراقية كانت تدور على الاكثر حول المشاكل العراقية في العشر سنوات الماضية الا ان الشعب والبرلمان والزعماء قد اعبوا مراراً عديدة عن شعورهم ازاء ما يحدث في سوريا وفلسطين من النضال بين الشعب وبين قوى الاستعمار وقد بذلت جهود كثيرة في السنتين اللتين سبقتا وفاة المرحوم الملك فيصل لتحقيق الوحدة العربية وقد اعراب زعماء البلاد كثيراً بأن هدفهم الأسمى هو السعي لتوحيد البلاد العربية.

اما العقبات في سبيل تحقيق هذا المشروع فهي ثلاثة في نظرنا . اولاً الحاجة الى نهضة عامة عربية اذ ان اكثرية العرب في الوقت الحاضر اميون . ثانياً وجود فرنسا في سوريا كدولة منتدبة وسياستها في تجزئة القطر الى دويلات صغيرة . ثالثاً الانتداب البريطاني في فلسطين والسياسة التي تتبعها بريطانيا في جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود^(١)

(١) تجد بحثاً قيمياً عن اهمية العراق في الحركة العربية في المقال الآتي :

E. P, Mac Callum, "New Power in Asia?" Canadian Forum, Vol. 15, Feb. 1935, PP. 167-69.

الفصل الرابع المشاكل الاقتصادية

العراق قطر ذو قابليات اقتصادية عظيمة . فسهوله الواسعة الخصبة التي يسقيها نهر دجلة والفرات وتوايهما قادرة على انتاج انواعاً متعددة من الحاصلات الزراعية ، وآبار النفط فيه تعتبر من اغنى آبار النفط في العالم . زد على ذلك ان وضعه الجغرافي مع سائر اقطار الشرق الادنى قد جعله حلقة مهمة في سلسلة المواصلات بين الشرق والغرب . فقد كان منذ أقدم الازمان التاريخية طريقاً تجارية تصل غرب آسيا بالهند وآسيا الوسطى . ولا بد للعراق ان يستعيد اهميته كطريق تجارية عالمية بازدياد السكك الحديدية والسيارات فيه وتحسن طرق المواصلات .

وسنبحث في هذا الفصل عن النواحي الرئيسية لحياة العراق الاقتصادية، وعن معضلات الزراعة والري ، وملكية الاراضي ، وعن التجارة والزراعة والشؤون المالية ، التي يواجهها قطرنا في سيره الاقتصادي وقيامه ببناء كيانه وتجديد حياته في مختلف النواحي الاقتصادية .

١ - الزراعة

تقلب الحياة الزراعية :

العراق قطر زراعي قبل كل شيء عرف منذ أقدم الازمنة بأنه من اعظم اقطار العالم خصباً ووجدت فيه طرق متقنة للري منذ فجر التاريخ .

واليوم يعيش جل سكانه في الارياف ويعتمدون على الزراعة لتحصيل اسباب معيشتهم وتطمين حاجات حياتهم . وليس في امكاننا ان نثبت للقاريء احصاءات دقيقة عن نسبة السكان في الريف العراقي ، إذ ان هذه الاحصاءات غير موجودة ولكننا نثبت هنا بعض التقريبات التقريبية التي قامت بها السلطات الادارية في الالوية العراقية لنعطي للقاريء فكرة تقريرية ليس إلا .

وفي ما يلي جدول يبين عدد السكان في الارياف والمدن ويبين القبايل . وهو مستمد من التقرير الذي وضعه السر ارنست دوسن عن مشكلة الاراضي (١) :

الرياق	٢١٧	٢	٩٨	٢٧	٧٢١	٨٨٧
الرياق	١٥	٢٧٧	٢٧	٨٨	٧٤١	٥٢
الرياق	٧	٢٨	٥	٨٨	٥٢	٢٧١
الرياق	٥	٥٢	٢٧	٢٥١	٢٥١	١٧
الرياق	٥	٥٢	٥١١	٥٧١	١٥٧	٥٢
الرياق	١٥	٢٧	١٥١	٥٨١	٨٧٧	٥٢
الرياق	٥٧	٥٧	٥٢٧	٥٧٧	٥٢٧	٢٧
الرياق	٥	٢٧	٢٥٧	٨٧٧	٨٧٧	٢٧
الرياق	١٥	٥٧	٤٧	٥٥١	٤٧١	٥٢١
الرياق	١٥٤	٤٧٧	٥٢٨	١٥٧١	٤٢٧٧	٤٢٨٧

(١) Ernest Dawson, An Inquiry Into Land Tenure And Related Questions, P. 12.

عدد السكان بالآلاف

متوسط كثافة السكان في كل كيلومتر مربع من الاراضي الزراعية	سكان الارياف				التباعد الرحل	التباعد الرئيسية الثلث	الواء
	التباعد السكن	التباعد الحيوي	افراد التباعد	التباعد الحيوي			
٢٢	٣٢٠	١٩٦	٢٠	١٧٦	٤٥	٧٩	الموصل
١٥	١٠٦	١٣٠	٥٦	٤٧	٣		اربيل
٣٧	٩٤	٧٩	٢٨	٥١	١٥		السليمانية
١٣	١٦٠	١٤١	٧٨	٦٣	١٩		كر كوك
٦٧	٢٤٠	٢٣٩	١٦٠	٧٩	١		ديالى
٩٨	٣٨٨	١٦٧	٧٤	٩٣	٢	٢١٩	بغداد
٩٥	١٤٧	٨٨	٧٩	٣٩	٥٩		الديلم
١٣٦	٩٠	٨٨	٥	٨٣	٢		كر بلاه
٢١	١٠٣	١٠٣	٧٣	٣٠	٠		الحلة
٢٠	٧٠١	١٧٠	١١٠	٦٠	٠		الكوت
٤٠	٢٣٨	١٨٠	١٠١	٧٩	٥٩		الديوانية
٧٢	٣٤٠	٣٢٠	٢٩٥	٢٥	٢٠		المنتفك
٣٦	٢٣٨	٢٣٨	٢٠٢	٣٦	٠		العمارة
٢٨٤	١٩٠	١٣٤	١٠٠	٢٤	٢٠	٤٦	البصرة
٣٦	٢٨٢٤	٢٢٤٦	١٣٥١	٨٩٥	٢٣٤	٤٤٣	المجموع

متوسط كثافة السكان هو ٧٥٠٠٠ في كل كيلومتر مربع من الاراضي
و يظهر من هذا ان ٢٦٢٤٦٦٠٠٠ من سكان العراق على الاقل يعيشون
في المناطق الريفية. ويعتمدون في معيشتهم بصورة مباشرة او غير مباشرة

على الزراعة كما ان القبائل الرحالة التي تشتغل عادة بتربية المواشي لا بد لها ان تستوطن وتشتغل بالزراعة يوماً ما اذا تقدمت البلاد وتطورت بصورة طبيعية . فيجب اذن ان نحسبها من جملة سكان الارياف . وبذلك يرتفع عدد سكان الريف الى ٢٦٤٨٠٦٠٠٠ . هذا واننا لا نشك ان العدد ٣٤٤٦٠٠٠ المعطى في تقرير دوسن عن مجموع سكان المدن الكبيرة الثلاث هو ليس في الحقيقة عدد السكان المدنيين في العراق اذ لا ينحصر المدنيون في المدن الثلاث فقط بل هناك كثير من المدن الصغيرة مثل اربيل وكركوك والحلة وكر بلاء والنجف هي في الحقيقة مراكز حضرية وقد يبلغ مجموع سكانها نحو ١٥٠٦٠٠٠ نسمة ، على انها قد اهملت في الجدول الذي نقلناه اعلاه . ومعظم المدن العراقية اسواق للمنتوجات الزراعية ومراكز لتوزيع البضائع الى الارياف . وهي لذلك تعتمد على الارياف الى حد كبير بحيث اننا لا نبعد عن الصواب اذا قلنا ان الطابع الزراعي هو الطابع الاقتصادي الذي يطبع العراق اليوم وسيظل طابعه اخص الى سنوات طويلة . وان معدل نسبة واردات الحكومة السنوية من الحاصلات الزراعية بين ١٩٢١-١٩٢٩ كان ٣٢٦٧ بالمائة من مجموع الميزانية السنوية وهذا ، باستثناء الواردات من الرسوم الكمركية ، هو اعظم مصدر لدخل الحكومة . زد على ذلك ان تدقيق الصادرات الرئيسية للقطر يرينا انها تتألف في الغالب من الحاصلات الزراعية والحيوانية ، كما يظهر ذلك من الجدول الآتي : (١)

(١) ارقام الجدول مأخوذة من « تقرير الحكومة البريطانية الخاص عن تقدم العراق » ص ٢٦٦ ومن تقرير مديرية الكبارك والمكوس العامة في العراق الذي قدمته بعنوان « تقرير عن ادارة السنة المالية ١٩٣١-١٩٣٢ » ص ٥

الصادرات الرئيسية

بمئات الآلاف من الريات

السنة	التمر	الخشب الخام	الجلود على انواعها	الحيوب والبيدور والطحين	عرق السوس	النفط	الزيت
سنة ١٩٢٠	٣١٣	٣٧٥	٢٠	٢١	٥	٠	٠
١٩٢١-٢٢	١٢٥	٦	١٠	٤٠	٤	١٥	٠
١٩٢٢-٢٣	١٥٠	١٣	١٠	١٤٤	٦	١٨	٠
١٩٢٣-٢٤	١٥٨	٤٧	٢١	١٨٧	١٤	٣١	٠
١٩٢٤-٢٥	١٨٣	٨٤	٣٥	٥٤	٠	٥٣	٠
١٩٢٥-٢٦	٢٠٥	٨٠	٣٩	١١	٦	٣١	٨
١٩٢٦-٢٧	١٦٧	٥٤	٢٥	٧٠	٣	١٠	٥
١٩٢٧-٢٨	١٨٣	٧٢	٢٩	١٦٢	٧	٨	٣
١٩٢٨-٢٩	١٦١	٨٤	٤٣	١٠٢	٣	١٨	٩
١٩٢٩-٣٠	١٨٨	٧٩	٣٥	١٠٤	٣	١٠	٨
١٩٣٠-٣١	١٠٦	٣٩	٢١	١١٣	١٨	٩	٥
١٩٣١-٣٢	١٢٠	٢٧	١٨	١١٩	١٤	٥	١

اعمال مديرية الزراعة العامة :

ان تغلب الحياة الريفية في العراق وسيادة الطابع الزراعي عليه من الامور التي تجعلها تتوقع وجود دائرة حكومية واسعة للزراعة مع دوائر اخرى متعددة متصلة بها، او تجعلنا ننتظر تخصيص مقادير مهمة من الميزانية للمشاريع التي تؤدي الى تحسين الزراعة وترقيتها في العراق. ولكن مديرية

الزراعة كانت من اضعف المديرية في الميدان العملي « لالانها لم تتجمع كثيراً في ادخال الطرق الزراعية الحديثة بواسطة المزارع النموذجية فقط ، بل لان التسهيلات الضرورية لقيامها بالمباحث الفنية انقصت شيئاً فشيئاً (١) » . فبدلاً من ان تزداد ميزانية المديرية تدريجياً بالنسبة لاهمية الزراعة ، نراها قد انقصت تدريجياً خلال العشر سنوات بين ١٩٢١-١٩٣١ حتى بلغت ثلث ما كانت عليه . ويظهر ذلك بصورة جلية من الجدول التالي (لا تدخل فيه المقادير المخصصة لمكافحة الجراد والتعليم الزراعي وتحسب التبع) :

السنة المالية	ميزانية مديرية الزراعة العامة
١٩٢٢-١٩٢١	٦٨٧٠٠٠
١٩٢٣-١٩٢٢	٦٦٥٠٠٠
١٩٢٣-١٩٢٤	٦٣٥٠٠٠
١٩٢٤-١٩٢٥	١٣٩٠٠٠
١٩٢٥-١٩٢٦	٤٦٨٠٠٠
١٩٢٦-١٩٢٧	٤٠٧٠٠٠
١٩٢٧-١٩٢٨	٤٧١٠٠٠
١٩٢٨-١٩٢٩	٤٦٩٠٠٠
١٩٢٩-١٩٣٠	٤٠٦٠٠٠
١٩٣٠-١٩٣١	٢٥٤١٠٠

(١) تقرير الحكومة البريطانية الخاص عن تقدم العراق ص ١٩٠

وقد ادى تنقيص ميزانية مديرية الزراعة العامة الى تناقص مقابل في الموظفين واعمال البحث الزراعي كما انه ادى اخيراً الى الغاء اربعة من المناطق الزراعية الخمس التي كانت مديرية الزراعة تديرها ، فانقص عدد الموظفين في المناطق الى اقصى حد . وقد اسست مدرسة زراعية سنة ١٩٢٦ دون وضع خطة محكمة لها على ما يظهر فلم تنجح فالغيت عام ١٩٣١ . ووضع مشروع لتأسيس عدد كبير من المزارع التجريبية ولكنه بقي حبراً على ورق ولم يظهر الى حيز الوجود ، وكذلك وضع مشروع لانعاش تربية دود الحرير في لواء ديالى ولكنه لم يتقدم التقدم المطلوب ^(١) .

ولم تكن مديرية الزراعة وحدها هي التي تعرقلت اعمالها بقلة المال لديها بل قاست المديرية الاخرى المتعلقة بها نفس ما قاسته هي . وقد استخرج السيرارنست دوسن معدل المبالغ المخصصة في الميزانية للدوائر الري والزراعة والبيطرة والمساحة والطب والاملاك الاميرية خلال المدة ١٩٢١-١٩٢٩ فبلغ مجموعها ٩٦٦ بالمائة من مجموع الميزانية السنوية . وهذا بالطبع لا يكفي لقيام هذه الدوائر باعمال مهمة مثمرة . « واذا بقي القيام بالمشاريع العمرانية الكبرى متوقفاً على ما يمكن اقتصاده من ميزانية الدولة السنوية فاني اخشى ان يتأخر تقدم البلاد الاقتصادي الى اجل غير مسمى (٢) » .

(١) للاطلاع على تاريخ دائرة الزراعة في العراق منذ الحرب العامة انظر

تقرير الحكومة البريطانية الخاص عن تقدم العراق ص ١٨٧-١٩٩

(٢) راجع تقرير السيرارنست دوسن المذكور سابقاً ص ٧١ على ان الحكومة

اخذت تخصص لمديرية الري مقادير كبرى من واردات النفط لبعض مشاريع الري الرئيسية

ولسنا هنا في معرض البحث عن اسباب هبوط اكثر المشاريع التي قامت بها مديرية الزراعة بل يكفي ان نقول ان هذه الاسباب لم تكن كلها خارجة عن المديرية بل كانت بعضها داخلية . على ان المديرية رغم حبوط كثير من محاولاتها ورغم قلة المال لديها ، استطاعت ان تقوم بعدة اعمال خدمت بها البلاد خدمة جلي . فقد جلبت منذ اوائل عهدها انواعاً من بذور القطن الاميركي وربت منها نوعاً صالحاً لجو العراق وهو المعروف بـ (Mesowhite) وهو ينتج جنساً جيداً من القطن ويأتي بثمر حسن في الاسواق . وقد ادخلته المديرية وارشدت الزراعين على طرق زراعته وانماهه واتخذت التدابير لمنع انحطاطه .

وقد جلبت ايضاً زراعة الخنطة وجربت انواعاً شتى من القمح الوطني والقمح الاجنبي حتى نجحت اخيراً في انتاج نوع جيد من القمح هو المعروف بـ « الخنطة العجيبة » . وقد وزعت البذور منها في مختلف انحاء القطر حتى تحل محل الانواع الاخرى من الحبوب المحلية الخلوطة والضعيفة .

ثم انها سعت لانتاج بعض المحصولات الزيتية مثل بزر الكتان والقنب فنجحت مساعيها بعض النجاح . ولكن الوقت لم يكن بعد لظهور النتائج النهائية وعلى الاخص لان الاسعار في الاسواق العالمية ليست مشجعة كثيراً في الوقت الحاضر .

اما مكافحة الجراد فقد قامت بها المديرية بنجاح كبير ، ولا تزال كذلك حتى كادت تأمن جانب الجراد الذي كان آفة من اشد الآفات التي تهاجم المحاصيل الزراعية في العراق وتنزل بها الاضرار الفادحة .

وهي على الرغم من اقتطاع مبالغ متتابعة من ميزانيتها تمكنت من تسيير مزرعة اختبارية واحدة على الاقل وجهرتها بالوسائل والمختبرات الضرورية فأدت بذلك خدمات كثيرة .

وقد اخذت بوادر التحسن والنشاط تظهر في اعمال مديرية الزراعة . فقد اسست مزرعة اختبارية جديدة في لواء السلمانية لاجراء التجاريب في الاساليب الزراعية والمحصولات الصالحة بانقاطعات الجبلية وخاصة في التشجير وتحسين انواع التبغ وهناك اقتراحات لانشاء مزارع اختبارية اخرى في الاقسام الشمالية والوسطى والجنوبية من العراق .

انواع المحاصيل الزراعية والحيوانات :

المحصولات الزراعية في العراق على نوعين الشتوية والصيفية . وهذا يصدق خاصة على الجنوب ، حيث تكثر الترع والقنوات فتمكن السكان من الاهتمام بالمحصولات الصيفية ونتاج انواع شتى منها . وتكاد نسبة المحصولات الصيفية في الجنوب تبلغ نصف المحصولات الشتوية . اما المحصولات الصيفية في الشمال فهي اقل من ذلك .

والمحصولات الشتوية في العراق هي : الحنطة والشعير والعدس والسمسم وبذر الكتان والحبوب الاخرى . والحنطة والشعير هما الرئيسيان من بين هذه المحاصيل ، ويكون اهم صادرات الحبوب .

واما المحصولات الصيفية فهي : الشب (الرز) والدخن والذرة ، والقطن حديثاً . والقطن من بين هذه المواد هو المادة التي تصدر الى الخارج ، بينما تستهلك المواد الاخرى استهلاكاً محلياً على الاغلب . وتصدير القطن

الى خارج العراق يلفت النظر الى ان اعظم مواد الاستيراد الى العراق هي المنسوجات القطنية . وهذا يدلنا على ضرورة تأسيس صناعة المنسوجات القطنية في البلاد التي قد تستهلك اضعاف مقادير الحاصلات المحلية . وقد اخذت زراعة البرسيم تنتشر شيئاً فشيئاً والارجح ان زرعه سيعم بعد ان يدرك الفلاحون فوائده لعلف الحيوانات واعادة خصب الاراضي وتسميدها . ويزرع التبغ في الجبال الشمالية ولكن لا تكاد حاصلاته تكفي لسد الحاجة المحلية . ومحتاج زراعة التبغ الى التشجيع بقصد التصدير وهذا ما بدأت به الحكومة منذ بضع سنوات .

وهنالك ما عدا محاصيل الحبوب في العراق زراعة الخضروات ، ولكنها لا تزرع بكميات كافية . ومن الخضروات الطماطم والبطاطة والجزر واللوبياء والفاصولية والباقلاء والحمص والبامية والبادنجان والقرع واللفت والفجل والسلق وانواع اخرى غيرها . ومعظم هذه الخضضر يزرع في اواخر الربيع والصيف . ولا يوجد من الخضضر الطرية في الشتاء الا السبيناخ ونوع آخر او نوعان من الخضضر . ولذلك يعتمد السكان في الشتاء على انواع من البقول اليابسة والجففة كالبامية والبادنجان المجففين وتحتفي الطماطة نحو ثلاثة اشهر في السنة ، ولكنها الآن تستورد من الهند فتباع بثمن غال لا يقدر على دفعه عامة الناس . ويزرع في الصيف البطيخ الاحمر (الري) والبطيخ الاصفر بانواعه والخيار والقثاء بكميات كبيرة في الحبوب وشواطيء الانهار . وقلة الخضضر في الشتاء تبين لنا الحاجة الى تشجيع صناعة تعليب الخضروات وتجفيفها واهمهم اساليب حفظها وخرزنها لاستهلاكها في الشتاء .

وتزرع في العراق انواع كثيرة من الفواكه والامثار ، اهمها التمر ، ويستعمل للاستهلاك المحلي وللتصدير معاً . وتزرع كذلك انواع من البرتقال والليمون ، ولكنها تستهلك في الاسواق المحلية . اما الفواكه الاخرى المهمة فهي : الخوخ ، والمشمش ، والتين ، والتوت ، والكرز ، والتفاح ، وانواع كثيرة من الاعناب ، والكثيرى ، والرمان ، والزيتون ، والفسق ، والجوز ، واللوز ، والبندق ، والبلوط ، والكستنا . وينمو العفص بصورة طبيعية في الجبال فيجمع من هناك ويصدر الى الخارج حيث يستعمل في الدباغة . وينمو السمق ايضاً نمواً طبيعياً ويستعمل في الاطعمة . واما الصمغ فيجمع من نبات ينمو في الجبال ايضاً .

وهناك بجانب هذه الاشجار ذات الامثار الالفة الذكر اشجار اخرى للاخشاب . والصفصاف من بين هذه الاشجار التي تنمو بكثرة على شواطئ الانهار في جنوبي العراق . واما الاشجار التي تنمو في الشمال فمنها البلوط الذي ينمو بصورة طبيعية ، والسبيندار وهو نوع من اشجار الزان ، وكذلك الغرب . وادخلت ايضاً في الزمن الاخير زراعة الاوكالبتوس فشاعت شيوعاً كبيراً .

ان اكثر المواشي انتشاراً في العراق هي الاغنام التي بلغ عددها سبعة ملايين في عام ١٩٣٠ . والصوف من اهم انصادات العراقية الى الخارج . وتربى قطعان الاغنام والمعز في معظم اقسام العراق . وهناك من المواشي الداجنة ايضاً البقر والجاموس والجمال والخيول والبغال والحمير . وتربية الدجاج ايضاً منتشرة في العراق بكثرة ، اما الدجاج الهندي فيربي على قلة . ويأخذ سكان القطر معظم ما يحتاجون اليه من الحليب والقشدة والزبدة

من الاغنام والمعز ، وعلى قلة من البقر . اما الجبن فيصنع بانواعه على الغالب في شمال العراق وجباله ، وعلى قلة في جنوبيه ، وهناك مجال واسع جداً لصناعة الالبان في العراق ولكنها الآن مهملّة .

ويعيش في العراق كثير من الحيوانات الوحشية البرية ، اجملها واحبها لدى الناس الغزال الذي يعيش في البرارى . وهناك ايضاً الثعلب والخنزير البري والضبع والدب الاسمر والذئب . اما الطيور فهناك انواع كثيرة اهمها المصافير والسنونو وهناك ايضاً الوز والبط وانواع عديدة من الحمام وانواع من الطيور الاخرى التي لا ترى حاجة لذكرها .

ولا يمارس تنمية الازهار الا القليل من العراقيين ، وهذا فن لم يتقنه العراقيون بعد . ولا بد للعراقيين ان يتعلموا الشيء الكثير في هذا المضمار من الغرب او من جارتهم ايران والبستانيون الايرانيون مشهورون في العراق . ويصعب ايجاد الازهار مدة ستة اشهر من السنة ، اذن فهناك حاجة كبرى لتشجيع انماء الزهور بصورة واسعة ، وذلك لتجميل المحيط في ارض غبراء كأرض العراق (الجنوبي) تغلب عليها لون الصحراء وقلما نجد فيها منظرًا جميلاً . وتنمو الازهار البرية بكثرة في الربيع في القسم الشمالي من العراق وفي الاراضي التي تروىها المياه في الجنوب .

ان المنتوجات الزراعية كالحنطة والشعير والخضر تكثر في معظم اقسام العراق على ان من جهات العراق ما يكاد يختص بنوع من هذه المحاصيل ويشتهر به اكثر من غيره ، فواء البصرة مثلاً مشهور بزراعة النخيل ، ويكاد يختص به ، واجود التمور واكثرها تصديراً الى الخارج هي تمور البصرة . على ان

منطقة البصرة ليست هي المنطقة الوحيدة التي تكثرت فيها زراعة النخيل ، بل هنالك المناطق الممتدة على الفرات ، وعلى نهر دجلة ونهر ديالى وتمتد بساكنين النخيل الى نهاية حد لواء بغداد تقريباً . اما الالوية الشمالية فنناخها البارد يمنع نمو النخيل فيها .

ويزرع الشلب والدخن على الفرات ، ويزرعان في لواء العمارة ايضاً . وتزرع كميات قليلة من الشلب على سفوح الجبال شرقي الموصل . واشهر مناطق الفواكه في العراق هي لواء ديالى والجبال الشمالية وخاصة تلك التي تقع الى شمال الموصل وشرقها . ويمتاز لواء ديالى بزراعة انواع فاخرة من البرتقال . واما الاقسام الشمالية فلا تنمو فيها اشجار البرتقال لستائها القارص وبردها الشديد .

وكانت الحنطة والشعير حتى الحرب العالمية يزرعان على الاغلب في سهول لواء الموصل واربييل وكركوك . ولكنهما بعد الاحتلال الانكليزي للعراق وانتشار استعمال المضخات في السقي انتشرت زراعتهما في لواء بغداد والكوت ايضاً وفي الفرات الاسفل . واما التبغ فيزرع في المقاطعات الجبلية من العراق وخاصة في لواء السليمانية .

ضرورة اعمار الموارد الزراعية وتحسينها :

ان المشاكل التي تجابهها الزراعة في العراق كثيرة العدد مختلفة الانواع . على ان الهدف الاساسي هو زيادة مقادير المحصولات الزراعية وتحسين انواعها لتكون مصدر ثروة جديدة للعراق . ويجب في الوقت نفسه ان تضمن هذه

الثروة المزداة رفاه الفلاحين وسكان الارياف وترفع مستوى حياتهم الواطيء في جميع نواحيه . ولا نكون مبالغين اذا قلنا ان ترقية المؤسسات المحلية الثقافية والاجتماعية والصحية والسياسية تتوقف الى حد كبير على ازدياد الثروة لدى الهيئات المحلية وافرادها . فان ازدياد الثروة يعني بطبيعة الحال ازدياد واردات الحكومة واغتناء خزيرتها مما يمكنها من القيام بالخدمات الاجتماعية وتكثير عدد المؤسسات العامة . وبهذه الطريقة فقط يمكن تطبيق منهاج التعليم الاولي العام ، ونشر المؤسسات الصحية في جميع انحاء القطر ، والقيام بمشاريع عامة متعددة يحتاج اليها القطر العراقي في مستهل حياته ، ويحتاج اليها في تعزيز كيانه وترسيخ بنيانه . ومع انه من المنتظر ان تنمو الصناعة والتجارة في العراق الا ان الزراعة ستبقى الى امد بعيد المصدر المهم للثروة في العراق .

ترقية الاساليب الزراعية :

من اهم المشاكل الزراعية في العراق اليوم هي ضرورة ترقية الاساليب الزراعية وزيادة فعالية الفلاح وقوة انتاجه . فان الاساليب الزراعية المستعملة الآن في العراق وخاصة في اقسامه الجنوبية ليست الا اساليب اولية ورثها الاخلاف عن الاسلاف واستمروا على استعمالها جيلا بعد جيل . ومن هذه الاساليب طريقة الري الاصطناعي يرفع بها الماء من الانهر او الآبار بالايدي او الحيوانات مما لا يسمح الا لسقي مساحات صغيرة من الاراضي . ومن الآلات الزراعية القديمة المحراث الخشبي ذو الرأس الحديدي الذي لا ينزل في الارض الى اكثر من ثلاث عقد على الاغلب ، ويترك قسماً كبيراً من

الارض على جانبي خط الحرث دون ان يقلبها . واما درس المحاصيل الزراعية في البيادر فيتم بالنورج الذي تجره الحيوانات وتدور به حول البيدر على دائرة مفروشة بالسنابل المتصلة بقشها الى ان تنسحق هذه السنابل ، وتنفصل الحبوب عن القش وهذه الطريقة تعم في الشمال ، وهي احسن من الطريقة المتبعة في الجنوب ، اذ يربط من الحيوانات (وتستعمل الحمير لهذا الغرض على الاعمال) بوتد في وسط البيدر فتدور الحيوانات حول البيدر ساحقة السنابل بمحافرها الى ان تنفصل الحبوب عن القش . وكلا هاتين الطريقتين قديمتان . والفلاح العراقي لا يستعمل السماد كثيراً وطرق تسميده اولية وبسيطة . اهمها ترك الاراضي دون زرع لسنة او اكثر لتستعيد قوة انتاجها . ويكاد يكون استعمال السماد الاخضر (اي تقوية الارض بزرع بعض النباتات البقولية فيها) غير معروف كثيراً وغير مألوف في العراق . ولم يتعود الفلاح العراقي مكافحة الوبئة والحشرات الزراعية وهو لا يعرف عنها شيئاً كثيراً . ويمكننا ان نستثني من ذلك مكافحة الجراد الذي قامت الحكومة فيه بمجهود عظيمة علمت الفلاحين وافادتهم فائدة كبرى ^(١) .

ويشك الكثيرون في فوائد ادخال المكائن الزراعية الحديثة من الناحية الاقتصادية في الوقت الحاضر . واننا نرى لهذه الشكوك محلا اذا اخذنا بنظر الاعتبار جهل الفلاح العراقي وحاجة هذه المكائن الى اصلاحات دائمة

(١) للاطلاع على وصف مختصر للطرق الزراعية الستملة في العراق راجع المقال التالي :

Wills C. " The Grain Trade in the Persian Gulf, " Near East And India, Vol. 28, Oct. 29, 1925, PP. 536-537.

وقلة وجود العمال الخبيرين في التصليح الميكانيكي . ويعتقد بعض الخبيرين في امور الزراعة ان من اكبر ما يحتاج اليه الزراعة في هذه البلاد ادخال محراث بسيط ورخيص في آن واحد ، وتعميمه بين الفلاحين على ان يكون اكثر اتقاناً من المحراث الحاضر ويحرت الارض الى عمق هو ضعف العمق الذي يصل اليه المحراث الشائع الآن . وكذلك يجب القيام بتأسيس مزارع نموذجية صغيرة كثيرة العدد في جميع انحاء القطر تسعى الى نشر الطرق الزراعية الحديثة بين السكان ويشاهد الفلاحون احسن الطرق مطبقة فيها .

تحسين اجناس المحاصيل الزراعية :

وهناك الى جنب الاساليب الزراعية في العراق حاسة ماسة لتحسين اجناس المحاصيل وتنقيتها وهذا يحتاج الى درس طويل وخبرة كافية ومهينة ظروف قانونية وادارية لتوزيع بذور المحاصيل وتعميم زراعتها المحسنة . وقد جرى شيء من ذلك في زراعة الخنطة ، اذ اصطفى نوع جيد من انواعها وقرر تعميم زراعته في مقاطعات معينة بدون خلطه بالانواع الاخرى . على ان هنالك حاجة عظيمة الى صرف جهودات كثيرة لتحسين انواع الخنطة وسائر المحاصيل الزراعية وعلى الاخص الى ايجاد الاجناس التي توافق اقليم العراق وتنجح فيه وتقاوم حشرات المزروعات الضارة واوبتتها الفتاكة وهنالك اقتراح بتأسيس مزرعة لتوليد اجناس جديدة للمحاصيل الزراعية (١)

(١) راجع Himbury, Sir William H., "Cotton Growing in Iraq."
وكذلك 'Near East and India, Vol. 35, PP. 499-500, April 18, 1926

الأمال ماصلة جبرية :

يجب ادخال انواع جديدة اخرى من الحاصلات الشتوية والصفية في العراق نخلق موارد ثروة جديدة للعراق^(١) . ان اهم المحصولات الشتوية الآن الخنطة والشعير ، واهم المحصولات الصيفية الشلب . واما المحصول الرئيسي في الجنوب فهو التمر . وهكذا تكون الخنطة والشعير والتمور الاكثرية العظمى من صادرات العراق الزراعية بينما يستهلك الشلب في الاسواق الداخلية . وقد اشرنا سابقاً الى الجهود التي بذلت وتبذل لتشجيع زراعة القطن من بين الحاصلات الصيفية وزراعة القنب من بين الحاصلات الشتوية . والخبراء الزراعيون واثقون من ان في الامكان تنويع المحاصيل الزراعية . وان المجهودات التي يصرفها العراقيون في هذا السبيل لا بد وان تثمر وتدر لهم ارباحاً كثيرة .

وهناك حاجة ماسة لاجراء التجارب المتنوعة على بعض اجناس الحاصلات الاجنبية والعراقية لمعرفة ما يصلح منها لتربة العراق ومناخه . ان ندرة الخضر في الشتاء مثلاً يجب ان تكون حافزاً لادخال زراعة انواع شتوية جديدة منها ومثل ذلك يمكن ان يقال عن الفواكه والاشجار .

ملاحظة اذ بينت النباتات :

ان الفلاح العراقي بصورة عامة لا يعرف الا القليل عن ضرورة مكافحة آفات الزراعة والطرق التي يجب اتباعها في هذه المكافحة . وقد ظهر ان في

(١) راجع التقرير الاداري لمديرية الزراعة العامة لسنة ١٩٢١ ص ١ (بالانكليزية) وكذلك تقرير الحكومة البريطانية الخاص عن تقدم العراق ص ١٩٠

العراق اكثر من مائة نوع من الحشرات الضارة ذكرت اسمائها على اثر دراسة بسيطة قامت بها السلطات قبل عام ١٩٢٠ (١) والجراد اهم هذه الحشرات ، وهو اكثر ما كلفته دائرة الزراعة ونجحت في مكافحته . والجراد في العراق على نوعين : النوع المحلي المراكشي ، والنوع المعروف بالجراد النجدي ، الذي يتدفق من الصحراء العربية ، ويفرز العراق من سنة الى اخرى . وقد اتبعت طرق عديدة في مكافحة الجراد كحرق الاراضي الموبوءة التي تقس الجراد فيها وجمع بيوض الجراد ، وطمس صفاره الزاحفة قبل الطيران في الخنادق ، او بتسميم الجراد بطعامه النخالة المخلوطة بالدبس والمرشوشة بمحلول الارسينيك وذلك برمي هذا الطعام المسموم في طريق الجراد فيأكله ويموت . وقد كانت مكافحة الجراد فائدة اخرى غير حماية المزروعات منها وهي تدريب الفلاحين على المكافحة وجعلهم يثقون بفائدتها ويتعاونون مع الحكومة في ذلك (٢) .

عقد في العراق عام ١٩٢٦ مؤتمر جراد دولي اشترك فيه كل من العراق وتركيا وسوريا وفلسطين وشرق الاردن لدرس الوسائل والطرق الناجعة

(١) التقرير الاداري لمديرية الزراعة العامة لسنة ١٩٢١ ص ٣٢

(٢) للاطلاع على مشاكل الجراد بصورة واسعة راجع نشرات مديرية الزراعة

Books M. G. D., "Note on Locusts in Iraq and the Control Measures Adopted"; Williams, R. H., "Suggested Methods of Control of Locusts in Iraq; and "Locusts", Agricultural Leaflet No. 12.

راجع ايضا تقرير بريطانيا الخاص عن تقدم العراق ص ١٩١-١٩٣

لمكافحة الجراد ، ومعرفة اتجاه الاسراب الطائرة لاتخاذ التدابير الضرورية للقضاء عليها وقطع دابرها .

اما الآفات الاخرى التي تتداب النباتات فهي مرض النجيل « الغبار » الذي يسببه نوع من انواع العنكبوت ، والسون الذي يلحق اضراراً جسيمة بمزروعات الخنطة في الشمال . ومع ان هذه الحشرة موجودة في الجنوب فهي لا تحدث نفس الاضرار التي تحدثها في الشمال لان المناخ هناك يؤثر عليها ويشل عملها (١) . وهناك انواع مختلفة من قمل النبات الذي يهاجم الاشجار واخضر و الخنطة والشعير والقطن (٢) . وبالاخير يمكن ان نذكر دودة القطن التي اخذت في السنوات الاخيرة تسبب الاضرار الكبيرة في نبات القطن ، وكذلك الصدا الذي يصيب معظم انواع الخنطة .

والمجال واسع جداً لتهديب الفلاحين وتدريبهم على مكافحة الآفات وذلك بتوجيه انتباههم الى كثير من الآفات التي لا يعرفون عنها شيئاً ، وتارة اخرى بالتغلب على الجمود والاستسلام (للقضاء والقدر) المتغلبين عليهم اذ ينسب الفلاحون الآفات الى مراجع سماوية لا راد لقضاءها ولا نفع للمجهودات في الحيلولة دونها .

تربية المواشي :

ان تربية المواشي في المزارع محتاج الى تشجيع واهتمام لان الفلاحين الآن لا يقبلون بسهولة على تربية البقر والغنم والانواع الاخرى من المواشي

(١) النشرة الزراعية رقم ١٣ التي اصدرتها مديرية الزراعة عن «حشرة السون»

(٢) النشرة الزراعية رقم ١٤ التي اصدرتها مديرية الزراعة بعنوان «قمل النبات»

في مزارعهم ، وفي الامكان زيادة واردات الفلاح زيادة محسوسة بتربيته في تربية المواشي وسائر الحيوانات والطيور الداجنة وحملهم على اعتبار ذلك قسماً مهماً من اعمالهم الزراعية .

وكان في العراق اكثر من سبعة ملايين رأس من الغنم سنة ١٩٣٠ . اما طريقة تربيتها فطريقة ابتدائية غير علمية ، وهي تحت رحمة الجو وسقوط الامطار الى درجة ان مئات الآلاف من الاغنام قد تموت ان كانت السنة ماحلة شحيحة الامطار ، او ان كان الشتاء شديد البرد كثير الثلوج . وقد حدث مثل هذا في عام ١٩٣٢ حيث قتل المحل والجذب معظم قطعان الغنم في العراق وخاصة في اقسامه الشمالية والوسطى . وجعل اصحاب الاغنام يعرضون اغنامهم للبيع قبل ان تموت جوعاً بكثرة عظيمة حتى نزلت اسعار الاغنام الى حد واطىء جداً . وتؤخذ قطعان عظيمة من الغنم كل سنة الى سوريا فترعى وهي سائرة على الطريق الى ان تصل سوريا فتساع هناك . وقد تستغرق رحلة القطيع الواحد الشهرين والثلاثة .

وهناك مجال واسع لصناعة الالبان ولاسيما في ضواحي المدن الكبيرة حيث الحاجة الى النوع الجيد من الحليب شديدة ، وحيث ندرة الالبان في هذه المدن لا تسمح للسكان ان يحصلوا على المقادير الضرورية لهم منها . ومن الافكار الغريبة السائدة بين القبائل العربية والفلاحين ان تربية الدجاج لا تليق بكرامة الرجل . ولذلك ترى ان النساء هن اللواتي يتولين تربية الدجاج وخاصة عجائز القرى والارباب . ومن المفيد ايضاً ان نذكر ان تربية

المواشي لها اهميتها العظيمة في استحصال السماد لاستعماله في الاراضي الزراعية وتكثير خصبها .

ان انواع المواشي ، ولاسيما البقر منها تحتاج الى تحسين وتنقية . لقد نال الحصان العربي شهرة عالمية واسعة من القديم ، ورجال القبائل يعنون بتربيته وتكثيره بطرق تقليدية واساليب جيدة . ونوع الغنم جيد من حيث العموم ولكن صوفه خشن عادة ، وهناك مجال لاجراء التجاريب بتلقيح الغنم العراقي بغنم المرينو لانتاج جنس جيد من الصوف . واما البقر فهو ردي النوع صغير الجثة عادة والحاجة شديدة الى ادخال نسل جيد من البقر المطلوب كما ان استعمال الفلاح العراقي الثيران والبقر في الحرث يستدعي ادخال نسل قوي يتحمل مشاق هذه الاعمال (١) .

ان العناية بتربية الحيوانات قليلة جداً ، والاهتمام بنظافتها وصحتها يكاد يكون مفقوداً . فانها تترك على قذارتها ، وتترك مخلاتها التي تعيش فيها قدرة مغطاة بالروث والاساخ . ولا يعرف الفلاحون عن طرق التغذية ومواد العلف الا شيئاً يسيراً . وهم كذلك لا يعنون بصحة الحيوانات ولا بفصل المريضة منها عن الصحيحة ولذلك فقد تنتشر الامراض السارية بسرعة بين المواشي وتقتل عدداً غير قليل منها .

الغابات والشجيرات :

ان عادة تشجير العراق جباله وسهوله من المشاكل الزراعية الكبرى

(١) التقرير الاداري لمديرية الزراعة العامة لسنة ١٩٢١ ص ١٥-١٩

التي تواجه القطر العراقي . فمن يسافر في أنحاء البلاد وعلى الاخص في الجنوب يرى نفسه في اراضي واسعة خبراء مقفرة قد تمتد الى الافق ولا يكاد الانسان يجد فيها ظلا يأوى اليه او خضرة يبتهج بمنظرها بل قد يجد شاطي النهرين العظيمين نفسها عارية جرداء في كثير من الاماكن . وقد دخلت معظم سفوح الجبال الشمالية من الاشجار ، فتندق السيول عليها فتحرف تربتها النافعة وتتركها جرداء تكاد لا تصلح للانبات ويستورد العراق معظم حاجته من الاخشاب الصالحة للتجارة من الخارج ، كما ان خشب الوقود في اواسط العراق وجنوبه قليل جداً فيضطر الفلاحون الى استعمال الشوك اوجمع روث الحيوانات وتكتميلها وهذه عملية وسخة جداً يقوم بها الاطفال والنساء عادة وهي مضرّة بصحتهم كل الضرر . ورجال الزراعة في العراق يعتقدون بأن زراعة الغابات وتكثيرها في القطر سوف لا تؤمن حاجته الى الاخشاب فقط ، بل ستلطف من مناخه الحار وجوه القاسي في الصيف وتزيد في رطوبة الهواء وانماء الغابات في الجبل قد يساعد على انحراف التربة وعلى حفظ المياه فيها بحيث تقل السيول وهناك من يعتقد ان تكثير الغابات على ازدياد كمية الامطار . زد على ذلك ان غرس الاشجار حول المدن بكثرة يزيد في بهجة مناظرها ، يجعل لها شيئاً من الروعة والجمال اللذين قد حرمت منهما المدن والقرى العراقية الآن .

ولابد من اجراء تجارب عديدة لاكتشاف انواع الاشجار والتي تصلح لمناطق الفرات المختلفة جبالياً كانت ام سهولاً ، وسواء اكانت تعتمد على الامطار او تروى بمياه الانهار . ثم يجب بث التعليم بين السكان وتشجيعهم

على غرس الاشجار ومنعهم من قطع الغابات وتخریبها فقد كانت الجبال الشمالية فيما مضى مغطاة بالغابات الكثيفة ومزدحمة بالاشجار ولكن السكان اعتادوا على قطعها واستعمالها للفحم من دون ان يكفوا انفسهم عناء غرس اشجار جديدة محل الاشجار المقطوعة حتى على تلك الغابات الفسيحة او كادوا (١) .

تجميع الاملاح في الاراضي :

وهن المشاكل الزراعية المهمة في اقسام القار الوسطى والجنوبية تجمع الاملاح في الاراضي المروية ذلك ان انشاء الميازل لتصريف مياه الري صعب وكثير التكاليف اذ ان ارض العراق مستوية وانحدارها نحو البحر قليلا جداً . وتعمل الحرارة الشديدة في الصيف على تبخر مياه الارواء بسرعة فتبقى على سطح الارض طبقة من الاملاح . زد على ذلك عادة الفلاحين في الاكثار من اسقاء مزرعتهم وهذا مما يزيد في ملوحة الارض . وتوجد الاملاح محلولة في مياه الانهر ، ثم ترسب في الاراضي المروية بعد ان تتبخر المياه كما ان الاملاح في المياه الارضية التي تكون على عمق قليل تصعد الى سطح الارض بحكم الجاذبية الشعرية (Capillary Attraction)

(١) اخذت الحكومة العراقية تهتم بتكثير الغابات في السنين الازمنة فالت لجنة صغيرة درست هذه القضية وقدمت عنها تقريراً منذ ثلاث سنوات ، فقترحت اللجنة بعملية كشف ومسح الاراضي لمعرفة مساحة الاراضي التي تشغها الغابات الآن ولمعرفة انواع الاشجار الموجودة هناك . وقد اوصت ايضا بان يسن قانون خاص يعاقب قطع الاشجار بلا ضرورة . وكذلك استقدمت الحكومة خبيراً اجنياً لدرس هذه القضية دراسة دقيقة ولكننا لم نعر على تقريره .

وتشكل طبقة ملحية فوقها^(١). وقد يصل تراكم الاملاح حداً يجعل الارض غير صالحة لزراع معظم المحاصيل ما عدا بعض انواع المحاصيل التي تعيش في التربة الملحة. ولدينا بعض الامثلة على ذلك من اراضي كآراضي اليوسفية ارويت منذ الحرب العامة ولم تنشأ لها مبالزل لتصريف المياه فأخذت الاملاح تتراكم فيها بالتدريج وكلما مرت الايام كلما قل خصبها بعد ان كانت في الاول من اخصب الاراضي. ولما كانت الزراعة في اواسط العراق واقسامه الجنوبية تعتمد على الري كانت مشكلة الاملاح من اعظم المشاكل الزراعية. ولعل انشاء المبالزل لتصريف المياه هو خير طريقة لمعالجة تراكم الاملاح^(٢).

ان وجود هذه الاراضي الملحة في العراق يظهر لنا ضرورة القيام بدرس عام للتربة بقصد التحقق من كمية الاملاح الموجودة فيها وانواعها. كما انه من الواجب درس انواع الاتربة الصالحة لمختلف المزروعات والاشجار. ومن الضروري ان يسبق كل مشروع للري او الزراعة بحث علمي عن حالة التربة وطبيعة الاراضي في البقعة التي يراد تطبيق المشروع فيها^(٣).

مسائل الاقتصاديات الزراعية:

لقد اقتصر بحثنا حتى الآن على المشاكل الزراعية البحتة التي تعترض

(١) Webster, J.F. and Viswanath, B., "Further Studies of

Alkali Soils in Iraq", P. 40, and Himbury, Sir William H., Iraq as a Source for Increasing Raw Cotton Supplies, PP. 18-19.

Webster, J.F. and Viswanath, B., Ibid., 44, and Webster, J.F., (٢)

"Alkali Lands in Iraq," A preliminary Investigation," PP. 17-18.

(٣) التقرير الاداري لمديرية الزراعة لسنة ١٩٢١ الصادر من قبل مديرية

تقدم الزراعة في العراق على ان هنالك مشا كل اخرى هي اقتصادية بطبيعتها
ولها علاقة مباشرة بالزراعة نذكر منها اربعة :

١- الاسواق وتصنيف الحاصلات : ان اهم الاسواق العالمية للحاصلات
العراقية هي بريطانيا العظمى والهند والولايات المتحدة الاميركية . ومما
لا شك فيه ان هذه الاسواق قابلة للتوسع وذلك بفتح علاقات تجارية مع
بعض البلاد التي تستورد شيئاً من العراق الآن وعقد معاهدات تجارية مع
كثير من الدول بطريقة المبادلة التي اخذت تشيع في السنوات الاخيرة .
على ان توسيع الاسواق للحاصلات العراقية يتطلب اجراء تحويل جوهري في
طرق انتاج هذه الحاصلات وفي انواعها وفي اساليب اعدادها وتغليفها بقصد
التصدير . فالحبوب العراقية مثلاً تباع باسعار واطئة في الاسواق الخارجية
عادة وذلك لانها تكون ممزوجة بنسبة كبيرة من التراب والاساخ قد تبلغ
احياناً العشرين بالمائة . وكثيراً ما يتعمد الزراع خلط التراب بحبوبهم حتى
يزيد وزنها غير مفكرين بتأثير عملهم هذا على سمعة منتوجاتهم في الاسواق
الخارجية . وقد تجد الحنطة احياناً مخلوطة بنسبة كبيرة من الشعير ، عدا ان
طريقة الدرس على ارض طينية تساعد على اختلاط الطين والتراب بالحبوب .
وليست الطريقة المتبعة في تعبئة التمور وشحنها جيدة او كافلة للنظافة في
الغالب ، وهذا مما يضر بسمعة التمور العراقية وقد أدى في بعض الاحيان
الى تملكؤ بعض الدول في السماح لبعض شحنات التمور بالدخول الى بلادها .
زد على ذلك ان تصنيف الحاصلات حسب جودتها يكاد يكون معدوماً .
فالحنطة العراقية تكون عادة مخلوطة جداً . وقد وجدت دائرة الزراعة مرة

سبعين نوعاً من انواع الحنطة في القمح المشحون الى الخارج^(١).

٢- النقل : والمشكلة المهمة الاخرى التي تجابه المنتوجات الزراعية في العراق هي مشكلة النقل . ان منفذ العراق الوحيد الى البحر يقع في قسمه الجنوبي في رأس الخليج الفارسي . فلا بد اذاً من نقل حاصلات اواسط العراق وشماليه الى البصرة بطرق تبلغ مساقطها مئات الاميال . ولما كان النقل في داخل العراق صعباً وذا كلفة زائدة يضطر الفلاح العراقي الى دفع مصاريف باهضة لنقل حاصلاته الى الموانئ لتشحن بالبواخر والمسافة بين العراق والاسواق العالمية شاسعة تزيد في نفقات النقل زيادة عظيمة ولذلك يقاسي الفلاح العراقي صعوبات عظيمة في المزاومة في الاسواق العالمية وعلى الاخص عند نزول اسعار الحبوب وسائر الحاصلات الزراعية^(٢) .

٣- الاعتماد : ومن اهم حاجات المزارعين اليوم الاعتمادات المالية والقروض فان عدداً لا يستهان به منهم تحت رحمة المرابين الذين قد يحملونهم من الفائض العشرين والثلاثين بالمئة . وقد فكرت الحكومة مراراً بتأسيس بنك زراعي الا ان المشروع لم يخرج الى حيز التنفيذ لاسباب متعددة لعل من اهمها عدم استقرار حالة ملكية الاراضي . واكتفت الحكومة سنة ١٩٣١ بتخصيص مئة الف دينار لاقرض المزارعين ومساعدتهم^(٣) . وقد وضعت

(١) Wills, C., "The Grain Trade of the Persian Gulf", Near East and India, Vol, 28, PP. 536-537, Oct, 29, 1925.

والتقرير الاداري لمديرية الزراعة لسنة ١٩٢١ ص ١٢

(٢) راجع تقرير الحكومة البريطانية الخاص عن الاداة في العراق لعام ١٩٣٠

ص ١٣٣

(٣) تقرير الحكومة البريطانية عن ادارة العراق لعام ١٩٣١ ص ٣٨

في شباط من سنة ١٩٣٥ لأئحة لقانون يقضي بتأسيس بنك زراعي صناعي
تشارك الحكومة برأس ماله ولكن القانون لم يمر في البرلمان بعد .

٤- الضرائب : ولا بد لنا في الاخير من ذكر شيء عن الضرائب
الزراعية . وقد اشرنا في غير هذا المكان الى طريقة توزيع الضرائب
الحكومية على الحاصلات الزراعية . وهي تشمل عادة :

(أ) ايجار الاراضي الاميرية .

(ب) ثمن المياه المأخوذة من مشروعات الري الحكومية .

(ج) الضريبة الزراعية نفسها .

وكل واحدة من هذه الثلاث تؤخذ بالنسبة الى الحاصلات لا الى قيمة
الاراضي . واذا اضيف احدها الى الاخرى ، كأن تكون الاراضي اميرية
وتسقى بمياه المشاريع الحكومية ، فان مجموع الضريبة قد يبلغ ثلث الحاصل .
واما حصة الحكومة فقد كانت تختلف سابقاً من مكان الى آخر ولكنها ثبتت
اخيراً بقانون الاستهلاك وجعلت العشر على كل محصول يقدم للبيع ، وهذا
بالطبع عدا ايجار الاراضي و ثمن المياه . ومع ان هذه الاجراءات الجديدة
خفت عن كاهل الفلاح شيئاً وسهلت عليه الضرائب إلا انها لم تكن إلا
تدابير ابتدائية لم تبدل من القواعد الاساسية للضرائب الزراعية في العراق .

وهناك ضرائب اخرى على الاشجار المثمرة وعلى الحيوانات ، اذ تعد
هذه عداً ، وتفرض الضريبة على كل شجرة من الاشجار وعلى كل رأس
من الحيوانات .

ويعتقد الكثيرون ان طرق وضع وجباية الضرائب الزراعية في العراق

ابتدائية لا تفي بالعرض فيذهبون الى وجوب ايجاد نظام جديد دقيق للضرائب يشجع الفلاحين على توسيع زراعتهم وتحسين انواع الحاصلات التي ينتجونها . ويعتقد البعض الآخر بوجوب تأسيس نظام الضرائب الزراعية على قيمة الاراضي ، كما هو الشائع في معظم البلدان ، على انه لا يمكن تطبيق ذلك ما لم يكمل مسح جميع الاراضي في العراق ، وتقرر وجهة ملكيتها وتسوى مشاكلها .

٢- الري

الري بالترع قديماً وحديثاً :

للري في العراق اتصال وثيق بالزراعة وذلك لنقص معدل سقوط الامطار السنوي مما يجعل الزراعة بدون الري مستحيلة طيلة السنة . كما انه ليس في الامكان القيام باعمال زراعية واسعة في الصيف بدون ري في الشمال ايضاً ولهذا السبب كان العراق من الاقطار التي وضعت لها نظاماً واسعاً منذ اقدم العصور . والسائح في العراق اليوم يجد آثار شبكة واسعة من الترع مهمة ويابسة . على ان هذه الترع لم تفتح في وقت واحد بل كانت نتيجة اعمال اجيال متعددة فمنها ما كان يفتح في حين ، فاذا ما اندثر فتحت في مكانه او بجواره ترع اخرى ولذلك فقد نجد في المحل الواحد خمس اوست ترع في وضع متواز .

اما الاقسام التي كانت تروى بالترع في العصور الاولى والوسطى فهي :

(١) البقعة الضيقة من الاراضي التي تمتد من الرمادي شمالاً الى الحلة جنوباً حيث يقترب الرافدان . وكانت قد فتحت ترع كثيرة تنقل المياه

من الفرات الى الاراضي الواقعة بالقرب من دجلة .

(٢) البقعة الممتدة في شرقي دجلة وكانت تروى بقنال النهروان وبنهر ديالى وما يتصل به من الترع .

(٣) البقعة الجنوبية من الفرات الممتدة بين الحلة والناصرية .

(٤) البقعة الوسطى الجنوبية التي يرويها الغراف .

(٥) ضفاف شط العرب التي تروى من فيض هذا النهر بتأثير المد في خليج البصرة . وهذه هي نفس البقاع المروية في الوقت الحاضر ولكن بمقياس اصغر .

ولقد حافظ السكان الاقدمون على ترعهم الا ان السداد اهدت منذ العهد الساساني فانكسرت واصبح قسم منها مستنقعات دائمة ضارة . اما العرب فقد حافظوا على نظام الري هذا وفتحوا ترعاً اخرى وعلى الاخص في الاراضي المحيطة ببغداد^(١) . ولما ضعفت الامبراطورية العباسية اهدت الترع ايضاً وبدأت تهدم منذ القرن العاشر الميلادي^(٢) . وجاءت الضربة القاضية من هجوم التتر بقيادة هولاء سنة ١٢٥٦ الذي لم يخرب بغداد فحسب بل هدم شبكة ترع الري ايضاً . ولم يتمكن العراق ان يصلح ما احدهم الفتح التتري من الخراب فاهملت الترع وجفت منذ ذلك الحين^(٣) .

(١) تجد بحثاً مستفيضاً عن الترع في العهد العباسي في كتاب قيم مستمد من المصادر العربية :

Le Strange, Guy, Lands of the Eastern Caliphate, Chapt, 2, 3 and 4.

Encyclopaedia of Islam, "Irak", Vol. 2, P. 519.

Longrigg, S. N., Four Centuries of Modern Iraq, P. 13.

(٢) راجع

(٣) راجع

وقد قامت الحكومة العثمانية قبل الحرب بالخطوة الاولى في العصر الحاضر لاعادة نظام الري في العراق وذلك باستقدام المهندس الانكليزي السروليم ويلكوكس لدرس مشاريع الري في العراق . وقد قام ويلكوكس بالكشف في سنتي ١٩١٠ و ١٩١١ ورفع نتيجة درسه تقريراً اقترح فيه ثمانية مشاريع للري تكلف (بسعر العملة قبل الحرب) ١٥٦٢٥٥٦.٢٠ ديناراً (١) . وقد انشئت سدة الهندية سنة ١٩١٣ ، وهي جزء من احد المشاريع التي اقترحها السروليم ويلكوكس وتقوم بتنظيم توزيع مياه الفرات على فرعيه وعلى سائر الترع المتصلة به . وباشرت الحكومة العثمانية بتنفيذ جزء آخر من نفس هذا المشروع في الحباينة ولكن الحرب العظمى حالت دون ذلك . وقامت السلطات الانكليزية الممثلة ثم الحكومة العراقية بعد الحرب بفتح بعض الترع اشهرها الصقلاوية واليوسفية واللطفية وكلها تسير متوازية بين الفرات ودجلة بالقرب من بغداد . وقد اصلحت الحكومة ايضاً السدة الهندية ، ووضعت ناظلات لتوزيع المياه في كثير من الترع اشهرها ناظم البدعة وقد انتهى العمل منه سنة ١٩٣٠ ثم اقيمت واصلحت سدود كثيرة لمنع المياه من الطغيان على الاراضي الواقعة بجوانب الترع . وقد جمعت دائرة الري العراقية معلومات وافية عن مشاريع الري في العراق وضبط الفيضان ، ومع انها لم تضع خطة عامة واسعة لري كل القطر الا انها اعدت عدة خطط اخرى . وكلا التصاميم والمعلومات ذات اهمية كبيرة لمشاريع الري في المستقبل

وهي من اجل الاعمال التي قامت بها دائرة الري (١) .

مشاريع المستقبل :

تشمل مشاريع الري التي تقوم بها الحكومة العراقية او توي القيام بها في المستقبل فتح قناه ابي الغريب ، وقد بدأ العمل عليها منذ بضع سنوات وقد تم عن قريب . ومشروع الحبانية على الفرات الذي تم وضع التصاميم له ، ومشروع سدة عقروق بالقرب من غربي بغداد ، ومشروع الغراف الذي احيل بالمنافسة على شركة انكليزية وبدأ العمل به . ومشروع ضبط شلالات النقارات التي تزيد في عمق كثير من الفرات الاسفل فيتعذر والحالة هذه رى الاراضي بالسيح فتصبح غير صالحة للزراعة الا بعد تكبد مصاريف باهظة على المضخات . ويذهب بعض الثقات في هذا الموضوع الى ان من العبث التشبث في القيام بمشاريع ري واسعة النطاق في العراق وذلك لعدم وجود العدد الكافي من السكان للاستفادة من هذه المشاريع (٢) . ولا شك ان هذا النقص في السكان الذي هو نتيجة القرون الثمانية الماضية من العوامل المؤخرة لتقدم العراق في المرحلة التي يقطعها الآن . ومشاريع الري الكبرى تتطلب في غالب الاحيان اعمالا اخرى متعلقة بها وهنالك خطر من الحكومة والجمهور قد يتلهيان بالمشروع الكبير عن الاعمال

(١) للاطلاع على خلاصة اعمال الري في العراق منذ الحرب راجع تقرير الحكومة البريطانية- الحاص عن تقدم العراق ص ١٧٨-١٨٧ . راجع ايضا تقارير دائرة الري عن تدابير موسم الفيضان لسنتي ١٩٢٨ و ١٩٣٠

(٢) راجع رأي ياسين باشا الهاشمي في رده على تقرير السر هلتون يونغ ص ٢٤ . راجع ايضا مقال Vernon عن العراق في دائرة المعارف البريطانية الطبعة ١٣ ايجاد الثاني ص ٥١٥

الصغيرة المتعلقة به وبذلك تقل فائدة كثير من المشاريع . واحسن مثل على ذلك هو مشروع السدة الهندية الذي اهملت ملحقاته . ونسيت بحيث كان في الامكان الاستفادة منها اكثر مما يستفاد الآن ^(١) . ان جميع المشاريع تحتاج الى العناية والاصلاح والتعمير وقد لا تخصص المبالغ اللازمة لهذا الغرض لعدم تقدير اهمية الاصلاح المستمر ^(٢) .

التصريف :

لقد جرت العادة في القيام بمشاريع الري السابقة ان تفتح الترع الجديدة دون ان تفتح معها ترع خاصة لتصريف كميات المياه الزائدة وهذا يؤدي الى تجمع الاملاح في الارض بحيث تصبح هذه غير صالحة للزراعة . على ان تكاليف - فر ترع التصريف باهضة في العراق نظراً لانبساط سطح الارض . واذا لم تزد كميات الحاصلات المزروعة في العراق وتكون من انواع اكثر قيمة من الانواع الحاضرة فعملية التصريف تبقى غير اقتصادية في العراق ^(٣) . ومما يساعد على ترسيب الاملاح تعود الفلاح على سقي الارض بكميات وافرة من الماء . ويعتقد الفلاح ان هذه الكثرة تزيد في الانتاج وتمنع ما يقع من الاضرار في حقله . وقد انتهت دائرة الري الى ذلك واخذت تدرب الفلاح على تقليل ما يستعمله من الماء حين السقي . وتدعي دائرة الري بانها نجحت في افهام فلاحى الاراضى الواقعة على قناة اليوسفية كيفية استعمال المياه

(١) راجع تقرير الحكومة البريطانية الخاص عن تقدم العراق ص ١٨٧

(٢) راجع تقرير دوسن مر ٧٢

(٣) راجع تقرير بريطانيا الخاص عن تقدم العراق ص ١٨١

بصورة اقتصادية و بذلك قلت خطر تراكم الاملاح (١) .

الرقابة المركزية :

تحتاج اعمال الري في العراق الى رقابة مركزية عامة من قبل هيئة فنية فعالة في دائرة الري لضمان الجريان المستمر لمياه الري في مواسم الزرع . وقد صرح بعض الثقات بانه كثيراً ما تتلف المزروعات نظراً لعدم ضبط توزيع المياه . ودائرة الري جادة في جعل رقابتها عامة على كل الترع في العراق . فاصبح في سنة ١٩٢٨ نحو ٥٩١ ميلاً تحت رقابتها المباشرة بعد ان كانت لا تزيد على ٨٨ ميلاً سنة ١٩٢١ . وازداد طول الترع التي تحت رقابتها غير المباشرة في نفس المدة من ٥٤٢ ميلاً الى ٧٠٢ ميل (٢) .

طرق الري الاخرى :

وتستعمل في العراق طرق اخرى للري كطريقة الترع والاقنية (السيح) . وفي احد تقارير دائرة الزراعة ذكر لعشرة من هذه الطرق بما فيها طريقة السيح (٣) . واول هذه الطرق وابسطها غرف الماء بمغرفة معلقة بجانبها بحبال فيمسك رجلان متقابلان المغرفة من حبالها ويعرفان الماء الى ساقية . والطريقة الثانية هي الشادوف وهو عبارة عن خشبة طويلة يوضع على احد طرفيها ثقل ويربط الطرف الاسفل بسطل او دلو معلق بحبل يسند وسط الخشبة

(١) تقرير الحكومة البريطانية الخاص عن تقدم العراق ص ١٨٦

(٢) راجع تصريح برديلون امام لجنة الانتقابات الدائمة في مناقشات جلستها

الرابعة عشرة تشرين الثاني سنة ١٩٢٨ ص ١٦٣

(٣) تقرير دائرة الزراعة لسنة ١٩٢١ ص ٢٣

على خشبة اخرى اقية ويقف رجل برأس الشادوف من جهة السطل فيدليه الى
 النهر حتى اذا امتلأ يتركه فيرتفع بتأثير الثقل المربوط بالجانب الآخر
 ويصب الماء بالساقية . وتستعمل هذه الطريقة في مصر ايضاً . والطريقة
 الثالثة هي طريقة الكرد وهو دلو من الجلد مربوط بمجبل طويل ويدلى الى
 بئر او نهر بواسطة بكرة . ثم تسحبه الحيوانات على طريق منحدره فيصب
 الماء في ساقية . والطريقة الرابعة هي الناعور الذي يدوره مجرى النهر فيرتفع
 الماء ليوزع على الارض بواسطة السواقي . وتستعمل هذه الطريقة في مناطق
 الفرات الأعلى في لواء الدليم . والطريقة الخامسة هي الناعور الذي يدوره
 حيوان ويستعمل في الشمال . والطريقة السادسة هي ان يحفر للماء تحت
 الارض انفاق ينحدر فيها ثم تحفر سلسلة من الآبار تسمى (بالكهريز) وذلك
 ان تحفر آبار كل منها اقل عمقاً من الاخرى تتصل بهذه الانفاق يسحب الماء
 منها (١) . وتستعمل هذه الطريقة في الوية اربيل وكر كوك وفي منطقة مندلي
 وهي طريقة قديمة الاصل . والطريقة السابعة هي الري بلمد في لواء البصرة .
 فاذا ما ارتفع المد القادم من خليج البصرة امتلأت الاقنية والسواقي بالماء وهذه
 تسمى بدورها الحقول والبساتين . ويحدث المد مرتين في اليوم فتستفيد منه
 مزارع النخيل . وقد فكرت الحكومة العراقية بحفر آبار ارتوازية — وهي
 طريقة ثامنة — وبأشر الحفر في منطقة الجزيرة غربي مدينة الموصل وحفرت
 حتى الآن بئران استخدمت لاستيطان بعض الجماعات من شمر .

الري بالمضخات :

والطريقة التاسعة للري هي باستعمال المضخات الميكانيكية . وقد ابتدئ
 باستعمالها قبيل الحرب العالمية ولكن الاقبال عليها حدث بعد الحرب وعلى
 الاخص بعد سنة ١٩٢٤ اذ شرعت الحكومة بتشجيع استعمالها . وقد
 استعملت اكثر من ٢٥٠٠ مضخة الى حد سنة ١٩٣٠ وبلغت نفقاتها نحو
 ٢٦٠٠٠٠٠٠٠٠ دينار . وتروي هذه المضخات ما يقرب من المليون فدان (١) .
 واكثر هذه المضخات تستعمل في الاماكن المرتفعة عن مستوى النهر حيث
 لا توجد وسيلة طبيعية اخرى لارواؤها .

ولقد نصب كثير من اهالي المدن مضخات وذلك اما باتفاقهم مع بعض
 الشيوخ والسراكيل فيجهزون هم الماء ويجهز هؤلاء الارض والفلاحين ثم
 يتقاسم الطرفان الانتاج ، واما بشرائهم الارض وزرعها على حسابهم . الا ان
 حركة الارواء بالمضخات لاقت صدمة عنيفة مدة الاربع سنوات الماضية ، وذلك
 لبقاء مسائل حقوق التصرف بالاراضي معلقة مما يخلق مشاكل كثيرة للمزارعين
 واصحاب المضخات ، ولقلة وجود العمال الخبيرين باصلاح المضخات ولجهد
 الفلاح ، ونزول اسعار الحاصلات الزراعية وغلاء الادوات الزراعية وغير
 ذلك من العوامل التي ادت الى شل حركة استعمال المضخات في الري (٢) .
 وقد ساعدت الحكومة اصحاب المضخات باعفاءهم من الرسوم عليها والغاء

(١) راجع تقرير الحكومة البريطانية الخاص عن تقدم العراق ص ٢٠٩

(٢) تجدد مجنا عن طريق الري في العراق وعلاقتها بمشكلة الاراضي في تقرير

الضرائب على ما يصدر من الجبوب الى الخارج وبالاتفاق مع شركات النفط لاجراء تخفيض خاص في سعر نفط الوقود . الا ان الفكرة قد انتشرت بان الري بالمضخات لا يصلح للعراق من الوجهة الاقتصادية (١) .

٣ - مشكلة الاراضي (٢)

الهيبة المشككة :

مشكلة الاراضي من أهم المشكلات الاقتصادية في العراق اليوم . ويجمع قادة الرأي في العراق بان الفوضى الراهنة في وضع الاراضي من اكبر العوامل المؤخرة لتقدم الزراعة في العراق . ويقول السر ارنست دوسن الخبير الانكليزي الذي استقدمته الحكومة العراقية لدرس هذه المشكلة في تقريره باه « من الحقائق العامة المعروفة ان اربعة اخماس الاراضي المزروعة في العراق لا تخضع لقانون ولا تدخل ضمن صلاحيات المحاكم ولا تزرع بطريقة منتظمة . ومن المعلوم ايضاً ان في قانون الاراضي نواقص كثيرة من حيث تطبيقه حتى على الخمس المزروع من الارض » (٣) . ثم يقول : « اذا لم تؤخذ التدابير الفعالة لاصلاح هذا النقص الذي مر عليه زمن طويل فانه سيقتي يعرقل تقدم القطر ويغير معيشة سكانه » (٤) . ويعزو السر ارنست

(١) راجع تقرير الحكومة البريطانية الخاص عن تقدم العراق ص ٢٠٩

(٢) يقوم الاستاذ عبد الجبار الجلبي بدرس مفصل لمشكلة الاراضي في العراق وملاقتها باصلاح الحياة والترية في الارياف .

(٣) راجع تقرير السر دوسن الآنف الذكر ص ٥ .

(٤) تقرير دوسن ص ٣

دوسن احد اسباب فشل استعمال المضخات للري في الحقبة الماضية الى نفس هذا السبب فهو يقول : « والاساس الذي ترجع اليه كل هذه الصعوبات وهو يزيد في تعقيدها هو عدم استقرار حقوق التصرف بالاراضي فانه كثيراً ما يؤدي الى توتر العلاقات بين الجانبين المتعاقدين (اي صاحب المضخة والشيخ او السركال) في اكثر هذه المشاريع و بذلك يضعف الامل بنجاحها . ويؤدي في غالب الاحيان الى ابقاء واجبات الفريقين وحقوقهم غير صريحة تجاه الحكومة وتجاه الاشخاص المشتركين معهم في العمل »^(١) .
ثم يقول : « ولقد أبنا ما لهذه الحالة وما يرافقها من الفوضى وعدم ضمان الحقوق من النتائج المضرّة بالانتاج الزراعي وبالامن العام »^(٢) .

وقالت لجنة الكشف التهديبي المسماة بلجنة منرو « ان الانظمة السيئة في توزيع الاراضي وامتلاكها هي دائماً عقبة كأداء في سبيل تقدم المدارس والتقدم الاجتماعي »^(٣) . وقد صرح احد من لهم اطلاع في هذا الموضوع للمؤلف ان الاهتداء الى حل معقول لمشكلة الاراضي هو من اهم الاشياء التي تسهل التقدم الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في العراق . وصرح آخر انه ما دام نظام الاراضي اشبه بالنظام الاقطاعي فان التقدم الزراعي في العراق سيقتى بطيئاً .

[١] راجع تقرير دوسن ص ٣٠

[٢] تقرير دوسن ص ٧٥

[٣] راجع تقرير لجنة الكشف التهديبي للدكتور بول منرو ومرافقيه ص ١٠٢

النوع الاراضى :

الاراضى فى العراق على خمسة انواع :

(اولاً) الاراضى الاميرية او الاراضى الحكومية . وهذه قد تكون اراضى حكومية صرفة وهى تؤلف نحو اربعة اخماس الاراضى فى العراق ، او اراضى الطابو وهى التى سبقت ان استأجرها شخص واستوطنها وصارت له حقوق فيها وقد يكون قد باعها او رهنها الى شخص آخر او اشخاص آخر .
(ثانياً) الاراضى المملوكة او الاراضى الخاصة .

(ثالثاً) الاراضى الموقوفة وهى الاراضى التى وهبت لغرض ما كالجوامع والمدارس الدينية الخ .

(رابعاً) الاراضى المبروكة وهى الاراضى التى خصصت للاستعمال العام كالشوارع او الحدائق وما اشبه ذلك .

(خامساً) الاراضى الموات وهى الاراضى غير المستعملة والتى لا يدعى تملكها احد .

مساحة الاراضى الصالحة للزراعة :

يقدر مجموع مساحة الاراضى الصالحة للزراعة فى العراق بنحو ٩٢٠٠٠ كيلومتر مربع . وهذه المساحة تكون نحو ٢٠٪ من مجموع مساحة سطح العراق ولا يزوع منها سنوياً الا جزء يتراوح بين الخمس والعشر من هذه المساحة ولذلك يمكننا ان نقول « ان لاراضى متوفرة لتقدم زراعى عظيم اذا كانت الاحوال الاخرى مساعدة على ذلك »^(١) . وقد قدر السروليم ولكوكس ،

Howell ، راجع تقرير دوسن ص ١١
Asian Society, Vol. 9, Part 1, 1922, pp. 28-30.

الذي قام بدرس دقيق لامكان توسع الري في العراق ، ان مساحة الاراضي في المناطق الجنوبية التي يمكن ريهها ب مياه الانهار في الشتاء ، تبلغ نحو ٣٦٠٠٠٠٠٠٠ هكتاراً (اكثر من ٧٦٠٠٠٠٠٠٠٠ فدان) وفي الصيف نحو ١٦٢٥٠٠٠٠٠ هكتار (اكثر من ٣٦٠٠٠٠٠٠٠٠ فدان) (١) . ولا تدخل في ذلك الاراضي الزراعية الواسعة الواقعة في الشمال والتي تعتمد في ريهها على الامطار .

قانونه الاراضي العماني :

تدار الاراضي العراقية بالقانون العماني الذي صدر في سنة ١٨٥٨ . قد ادخل على هذا القانون بعض التعديل في اوقات وظروف مختلفة سواء أ كان ذلك في العهد العماني او في عهد الحكومة العراقية . وكان القانون العماني قد وضع على اساس انعاش الحركة الزراعية وتشجيع من يود ان يزاول الزراعة بتملك الاراضي اليه . إلا ان هذا القانون صعب التطبيق وغامض في كثير من نواحيه ولذلك فانه بدلا من ايضاح حقوق اصحاب الاراضي اصبحت الحالة لا تقل عن الفوضى في هذه الايام (٢) .

الحالة الحاضرة :

ويمكننا تلخيص الحالة الحاضرة بما يأتي :

(اولا) لا يوجد تسجيل تام او منتظم للتصرف بالاراضي سواء أ كانت

(١) راجع Wilcocks, Wm., The Irrigation of Mesopotamia, P. 90-91

(٢) راجع اسباب فشل القانون العماني في المقالة الآتية :

Howell, E. B., "The Qanun al Aradhi," Journal of the Central Asian Society, Vol. 9, Part 1, 1922, PP. 28-30,

اميرية او طابو . وللحكومة نظرياً حق الاحتفاظ بملكية هذه الاراضي . ولكن الملتزمين للاراضي اصبحوا ينظرون اليها كأنها ملك لهم لا يحق لاحد ان يخرجهم منها . وهذا يصدق على الاخص على اراضي الطابو التي صار اصحابها يبيعونها او يرهونها او يقسمونها بين ورثتهم . وكثيراً ما كان يجري كل ذلك دون تسجيله في الحكومة .

(ثانياً) وقد نجم عن هذا الوضع اضطراب وتضارب عظيمان في ادماء ملكية معظم الاراضي وقد ادت هذه الحالة الى حدوث مشاهدات كثيرة تشغل الآن اكثر اوقات الموظفين الاداريين لحلها .

(ثالثاً) لقد كان عدم مسح الاراضي احد الاسباب المهمة لفشل قانون الاراضي العثماني . ولا يزال هذا النقص بارزاً حتى الآن إذ ان اكثر الاراضي الزراعية في العراق غير ممسوحة . وقد قامت دائرة المساحة في العشر سنوات الماضية بمسح بعض هذه الاراضي بشيء من الدقة . وهذا النقص في المسح جعل معرفة حدود الاراضي صعبة جداً ، إذ ان الاشارات التي كانت تستعمل للدلالة على الحدود كالاقنية والانهر والاملاك المجاورة كانت عرضة للتبدل او الاندثار المستمرين وهكذا تطمس آثار حدود الاراضي مع مرور الزمن مما يؤدي الى كثرة الخصومات على الاراضي والحدود . اضيف الى ذلك جهل الموظفين في العهد البائد وقلة امانتهم فنتج من كان يعتمد على اصحاب المصالح لاخباره عن حدود الاراضي دون ان يراها هو بنفسه ومنهم من كان يعطي السندات لقاء رشوة وهذا مما ادى الى الارتباك والفوضى كما ذكرنا سابقاً^(١) . وكثيراً ما كان في امكان كل من الفريقين المختصمين

على ارض ما ان يبرز وثائق رسمية يثبت ملكية او حق تصرفه بتلك الارض .

اقتراحات دوسن :

لقد اشار السر ارنست دوسن ، الخبير البريطاني الذي درس احوال الاراضي في العراق ، على الحكومة ان تجري امرين هامين قبل القيام باي حل او اصلاح لمشكلة الاراضي اولها القيام بمسح كل الاراضي الزراعية بعد ان تحسم جميع المنازعات والادعاءات حول حقوق التصرف بها وثانيهما حفظ سجل كامل لكل هذه الاراضي (١) . وقد سنت الحكومة بناء على هذين الاقتراحين قانوناً لتأليف لجان خاصة لحسم جميع المنازعات على الاراضي (٢) ويقدر العارفون انه اذا توفرت جميع التسهيلات اللازمة لعملية المسح فان هذه تستغرق مدة عشر سنوات ابتداء من سنة ١٩٣١ اذا كان مقياس الخرائط بنسبة واحد الى عشرة آلاف . اما مشكلة التسجيل فهي اكثر صعوبة لانها تحتاج الى موظفين كفويين لهم اختبار واسع في هذا العمل . ولا تتم فائدة مثل هذا السجل الا اذا احتوى جميع الحقوق المتعلقة بكل ارض وجميع المعاملات التي تجري على الارض الى احدث وقت .

لقد كان بحثنا عن الاراضي حتى الآن مقصوداً على وصف الفوضى في معرفة ملكية او حقوق التصرف بالاراضي تأثير ذلك في تأخر الحالة

١ تقرير دوسن ص ٣٨-٤٢

٢ راجع قانون تسوية حقوق الاراضي برقم ٥٠ لسنة ١٩٣٢ في الوقائع

العراقية في ١ حزيران سنة ١٩٣٢

الاقتصادية . وسنبحث الآن في كيفية استثمار الاراضى وتوزيع الانتاج بين الفلاح والمزارع او الملاك .

نور المصالح فى الارضى :

بوسعنا ان نقول على العموم ان عدد الفلاحين الذين يمتلكون اراضيهم قليل جداً . ونجد الفلاح المالك لارضه فى الشمال وعلى الاخص فى القرى الواقعة فى شرق الموصل . اما بقية الفلاحين العراقيين فهم اما عمال مأجورون لفلاحة الاراضى او ملتزمون لها . وفى حالة عدم امتلاك الفلاح للارض نجد جانبين من ذوى المصالح فيها . (الاول) الملاك الكبير او المتصرف بالارض او كما هي الحالة فى الجنوب شيخ القبيلة الذى يمثل قبيلته . وقد منحت الحكومة بعد الحرب حق استثمار الاراضى لكل من استثمرها لمدة كافية . وتسمى هذه الحالة باللزمة . ونجد فى الاماكن التى انتشر فيها الري بالمضخات ان بعض اهل المدن يتعاقدون مع بعض الشيوخ والسراكل فيقدم الاولون المضخة والآخرون الارض ثم يفتسمون الحاصل بنسب معينة . (الثانى) الفلاح الذى يقيم فى الارض والذى يأخذ على عاتقه كل مهام الزراعة . ويجب ان نضيف جانباً ثالثاً فى حالة الاراضى الاميرية وهو الحكومة . فىكون فى هذه الحالة عدد ذوى المصالح فى الارض ثلاثة : الحكومة والمتصرف بالارض والفلاح . واذا كانت هذه الاراضى الاميرية تروى بالمضخات فصاحب المضخة ايضاً يدخل كجانب رابع فى هذا العقد (١) .

(١) ان الشركة فى استثمار الاراضى هي من الوجهة القانونية بين الملتزم والحكومة . والعلاقات بين الملتزم والفلاح او صاحب المضخة متكون بعقود خاصة بين الجانبين ولا علاقة لها بحق التصرف بالارضى الاميرية عادة .

تقسيم الانتاج :

وعلى هذا الاساس فان حاصل الاراضي الاميرية يقسم بين هؤلاء الثلاثة او الاربعة المتعاقدين . وكان نصيب الحكومة في العهد العثماني اذا كانت الارض تروى من مشاريع الحكومة يزيد على الخمسين بالمائة . فانقصت الحكومة العراقية هذه الحصة الى الثلث . واذا كانت الارض تروى رأساً من النهر فكان نصيبها ٢٢٦٥ بالمائة . واذا كانت تروى بالمضخات فكانت الحصة ١٢٦٥ بالمائة .

اما الاراضي غير الاميرية فكانت حصة الحكومة فيها ٢٣ بالمائة اذا كانت الارض تروى من قبلها و ١٢٦٥ بالمائة اذا كانت تروى من النهر رأساً و ١٠ بالمائة اذا كانت تروى بالمضخات . وقد وحدت الحكومة العراقية حديثاً حصتها من جميع الاراضي فجعلت تأخذ ١٠ بالمائة من الحاصلات التي تعرض في الاسواق او تصدر الى الخارج (١) وتعفى الحاصلات التي لا تعرض للبيع . الا ان هذا الاعفاء لا يشمل ايجار الارض الذي يدفع الى الحكومة ولا نفقات الارواء اذا كان ايضاً من قبل الحكومة .

اما حصة المتصرف بالارض وشيخ القبيلة او السركال (٢) فتختلف باختلاف الاماكن ولا يوجد لذلك قاعدة عامة . فكانت القاعدة المتبعة في العهد العثماني في لواء الديوانية مثلاً (٣) ان يقسم الحاصل الى ثلاثة اقسام يأخذ

(١) قانون ضريبة الاستهلاك رقم ٨٣ لسنة ١٩٣١

(٢) السركال هو احد مشايخ القبيلة او احد المتزعمين على الفلاحين

(٣) راجع احمد فهمي تقرير عن العراق ص ٣٤-٣٦

الفلاح احدها و يأخذ الشيخ او السركال القسامين الآخرين. ويدفع السركال من حصته ما تأخذه الحكومة وكان يبلغ خمسين بالمائة. وكان لزاماً على الفلاح ان يدفع من حصته البالغة ثلث الانتاج كميات قليلة الى كاتب وقهواتي الشيخ وعن نفقات مضيفه. وفي اماكن اخرى يقسم الحاصل الى اربعة اقسام متساوية يأخذ منها الفلاح قسماً واحداً فقط. وفي اماكن اخرى قد يأخذ الفلاح حصة كبيرة تبلغ نصف الانتاج.

ولما انقصت الحكومة حصتها من الانتاج الزراعي لم تحصل اي زيادة على حصة الفلاح. فان السراكيل والشيخ احتفظوا بنصيبهم البالغ ثلثي الانتاج وبعد ان يدفعوا حصة الحكومة يحتفظون بالبقية لانفسهم. وهكذا لم ينتفع الفلاح من انقاص حصة الحكومة. ولم يطرأ ايضاً تحسن في حلة الفلاح حتى بعد اصدار القانون الجديد الذي انقص حصة الحكومة الى العشرة بالمائة من الحاصل المستهلك. وقد سمع المؤلف بعض التذمر بان الكثيرين من الشيخ والسراكيل لا يزالون يأخذون من المحاصيل على نفس النسبة التي كانت قبل صدور القانون الجديد. فترى من ذلك ان القانون لم ينقذ بعض الفلاحين من حالتهم بل وضع عليهم ضريبة عشرة بالمائة حين عرضهم انتاجهم للبيع في السوق لم تكن تؤخذ منهم سابقاً.

اما الاراضي التي تروى بالمضخات فالانتاج يقسم الى قسمين متساويين بعد فصل حصة الحكومة منه فيأخذ صاحب المضخات القسم الاول ويأخذ الفلاح القسم الآخر. اما السركال فانه يأخذ نصيبه من حصة الفلاح. وفي

بعض الاماكن يمتلك السركال المضخات وحيثئذ فهو يأخذ نصف الانتاج
بعد فصل حصة الحكومة .

صفر حصة الفلاح :

ترى مما سبق ان حصة الفلاح من الانتاج الزراعي ضئيلة جداً ،
وهذه الحصة لا تعدو كمية تنحصر بين الربع والنصف (١) . وفي
حالة اقتراض الفلاح دراهم او حبوباً من السركال او الشيخ او صاحب المضخة
فان حصته تقل عن ذلك بكثير فضلاً عن ضرورة دفع ما اقترض من اثمان
الحبوب وغير ذلك من النفقات . وكثير من الفلاحين لا يقدر ان يتخلصوا
من ديونهم ابداً . اما الفلاحون والسراكيل المستقلون بأراضيهم فانهم
ينالون من انتاجهم نحو ٧٥ بالمائة من الانتاج وذلك لانهم ليس عليهم الا
دفع رسوم الحكومة .

مالة الفلاح في الشمال :

بوسعنا ان نقول ان حالة الفلاح في الشمال هي على
العموم احسن من حالته في الجنوب ، ذلك ان الاعتماد في الري هو على
الامطار لا على مشاريع الحكومة فيدفع الى الحكومة اقل مما يدفعه الفلاح في
الجنوب . اضافة الى ذلك ان الفلاحين في الشمال يعيشون في قرى ثابتة وفي
بعض هذه القرى يمتلك الفلاح الارض فلا يدفع شيئاً للملاك او للحكومة
ايجاراً عنها بل يدفع الضرائب الى الحكومة فقط وهو حر في ان يتصرف

(١) راجع تقرير احمد فهمي ص ٥٤ - ٥٨

بارضه كيف يشاء ويزرع فيها ما يشاء. وهذا النوع من الفلاحين هو ارقى الانواع واغناها في العراق. واذا كانت الارض للملاك (وهو على الاكثر من سكان المدن) فخصته لاتتجاوز الثمن من مجموع الانتاج الزراعي (١). كثير من القرى الشمالية يمتلكها الاغوات وهم على الاكثر زعماء اوشيوخ القرى الذين تسنموا هذا المركز باستحواذهم على اراضي القرية واصبح لهم نفوذ على الفلاحين لحمايةهم لهم في اوقات الفوضى والاضطرابات. وحصص الاغا تختلف تبعاً لشدة نفوذه وللعادات والتقاليد المرعية.

النظام الاقطاعي :

اذا كان لابد من اعطاء للنظام السائد الآن اسماً من حيث علاقات الاراضي بين الفلاح والملاك وشيخ القبيلة واتباعه فاننا لانكون مغالين اذا اطلقنا عليه اسم النظام الاقطاعي. وعلاقات الاقطاع ظاهرة بارزة فيه فكثيرون من الفلاحين في الشمال كانوا يتنازلون عن اراضيهم للاغا مقابل حماية هذا الزعيم لهم في اوقات كان جبل الامن فيها مضطرباً. ولا يزال نفوذ الاغوات باقياً في الاماكن البعيدة عن مراكز الحضرة وحصص الاغوات من الانتاج الزراعي ماهي الا رمز هذا النفوذ الذي يمارسونه على اتباعهم. ونجد في الجنوب ايضاً نفوذاً لشيوخ القبائل كنفوذ الاغوات في الشمال ويتجلى لنا ذلك على الاخص في لواء العمارة حين كان الشيوخ يمارسون هذا النفوذ فيفصلون قضايا افراد قبائلهم وكانت لهم عليهم سلطة القصاص والحبس وحتى القتل ولا يزال الى الآن شيء من هذا النفوذ باقياً. وبتحول العشائر

(١) لبعض كبار الملاكين في مدينة الموصل مالا يقل عن ٣٠ او ٤٠ قرية

من حالتها البدوية الى حالة الاستقرار ومزاولة الزراعة فان الشيوخ يتحولون بالتدريج الى رؤساء اقطاعيين .

تأرجح هذا النظام :

ان هذه الفوضى فيما يخص تسجيل الاراضي وعلائق الملاك او الملتزم بالفلاح عائق كبير جداً لتقدم العراق الزراعي ونمو التشكيلات الاجتماعية وللتقدم الاجتماعي في الريف العراقي . ويمكننا ان نلخص هذه المؤثرات فيما يلي :

(اولاً) هبوط قيمة الاراضي: ان الغموض السائد على التصرف بالاراضي والنزاعات المستمرة عليها تؤدي بطبيعة الحال الى هبوط قيمتها وعدم استقرار اسعارها على حال (١) .

(ثانياً) انخفاض مستوى المعيشة: وادى هذا الوضع في الوقت نفسه نظراً لصغر حصة الفلاح من الانتاج الزراعي الى خفض مستوى معيشته . وكلنا نعلم ماهو مسكن الفلاح وحالته العامة ، فعظم الفلاحين في الجنوب يعيشون في بيوت من القصب او من اللبن ومع حيواناتهم في كثير من الاحيان . ويجد كثير من الفلاحين صعوبة في تجهيز اولادهم حتى بلوازمهم المدرسية البسيطة وقد لا يحصل الفلاح في بعض السنوات على قوت عائلته فضلاً عن الالبسة البسيطة لها . ومن المتعارف ان كثيراً من الفلاحين يبقون هم واولادهم حفاة طيلة السنة . كما ان السراكيل واصحاب المضخات يضطرون في كثير من الاحيان الى تقديم الحبوب الى الفلاحين ليزرعوها لأن هؤلاء لا يبقى عندهم من

(١) تقرير احمد فهمي عن العراق ص ٣٢

محاصيل السنة السابقة ما يكفي للبذر . بل قد يستهلك الفلاح بعض البذور المعطاة له ليعتاش بها الى موسم الحصاد .

(ثالثاً) فقدان الرغبة في العمل : ومن الطبيعي في مثل هذه الحالة أن يفقد الفلاح الرغبة في العمل الذي يزاوله ومن الصعب عليه ان يفكر في اصلاح طرق زراعته او استبدالها بطرق اخرى . ونسمع احياناً الشكوى من كسل الفلاح واهماله لعمله ولا شك ان بعض هذا الاهمال او الكسل ناتج عن جهله ومحافظته على القديم . إلا انه يجب ان لا ننسى انه ليس في النظام الحاضر ما يرغب الفلاح للانكباب على العمل ولتحسين اراضيه وطرقه الزراعية . اما الفلاحون المأجورون الذين يستخدمون كعمال في المزارع فهم يأخذون نسبة من الحاصلات لقاء عملهم ولذلك فهم لا يرغبون عادة في زرع انواع جديدة من الحاصلات وعلى الاخص اذا كانت هذه من نوع لا يستعمل للاكل^(١) . ومن نتائج هذا النظام ايضاً السرعة التي يلجأ اليها الفلاحون لتزويد حصتهم من الحاصلات وتكون قليلة اذا كان الملتزم هو السركال او شيخ القبيلة ولكنها تكون كبيرة اذا كان من اهل الحضر او يعيش بعيداً عن حقله .

الافتراضات :

ويجب ان نضيف الى الحالات التي وصفناها هنا عادة الفلاح في الاستقراض والوقوع في الدين . فقد جرت العادة عند الفلاح ان يبتاع لوازمه من السوق مؤجلاً الدفع الى ايام الحصاد . وقد يتراكم هذا الدين

(١) راجع تقرير دوسن ص ٢٨ . راجع نتائج اخرى لذلك في تقرير الحكومة البريطانية الخاص عن تقدم العراق ص ١٩٠

فيصبح عبئاً ثقيلاً عليه يدفعه من حصته الضئيلة بعد الحصاد . وليست هذه الحالة مقصورة على الفلاح فحسب بل نجدها أيضاً عند الملاك أو الشيخ أو السركال . وكثيراً ما يقترض الملاك بفائدة فاحشة تبلغ أحياناً ٣٠ بالمائة أو أكثر (١) .

الحاجة الى حل مشكلة الاراضي :

أما حل كيفية هذه المعضلة الكبرى فهو لا يزال غامضاً ولم توضع حتى الآن خطة شاملة دقيقة للإصلاح . وأنا نرى ان كل مشروع يوضع لحل هذه المشكلة يجب ان يستهدف استقلال الفلاح ورفع مستوى معيشته . ويجب ان نأخذ بنظر الاعتبار أيضاً الحقوق التي اكتسبها الملاك والمتمردون في الاراضي في السنين السابقة . ان توزيع الاراضي على افراد الفلاحين مع ما فيه من حسنات تقوم عدة اعتراضات لعل من أهمها ان الفلاح غير مستعد في الوقت الحاضر للاستفادة من هذا التوزيع (٢) . فمن الواضح ان الفلاح بحاجة الى التهذيب والى التدريب على استعمال بعض الطرق الزراعية الحديثة ليكثر انتاجه فتزيد بالتالى حصته من هذا الانتاج . وهذا بالطبع لا يتأتى الا عن طريق التربية في المدرسة وخارجها . وكلا المزارع بحاجة الى تعليم طرق الاقتصاد وحسن ادارة امورهم . ولاشك ان تطبيق اي مشروع اصلاحي يستغرق وقتاً طويلاً لا يقل عن جيل واحد ريثما ينتشر التعليم ويتداعى نظام العشائر ويحل محله مؤسسات محلية اخرى ، وريثاً

(١) راجع تقرير احمد فهمي ص ٤٥

(٢) راجع تقرير دوسن ص ٣٥

تعمر مقادير كافية من الاراضي البور بمشاريع الري ، وريثما يتم مسح الاراضي وتسجيلها .

ان وضع حل كامل وعادل لمعضلة الاراضي يضمن تقدم الزراعة يقع على الحكومة . وذلك لان الحكومة هي اكبر ملاك للاراضي فحسب بل لانها السلطة الوحيدة التي تقدر ان تحله . وهناك بوادر تدل على ان الحكومة شاعرة بهذه المسؤولية الملقاة على عاتقها ، ومن هذه البوادر اهتمامها بجلب خبير اجنبي لدرس مشاكل الاراضي وابتدائها بمسح الاراضي وتسوية حقوقها . وليس بوسعنا الآن ان نتكهن الى اي مدى ستوفق الحكومة في حل هذه المشاكل اذ ان ذلك منوط بالمستقبل .

٤ - تجارة العراق

موقع العراق على مفترق الطرق التجارية :

كانت للعراق علاقات تجارية وثيقة مع البلاد المجاورة له منذ اقدم العصور . فقد كانت البضائع تحملها السفن عن طريق خليج البصرة ثم توزعها القوافل الى ايران وآسيا الصغرى وسوريا وقد نشطت هذه الحركة نشاطاً عظيماً في عهد الدولة العباسية نظراً لامتداد حدودها من الهند وتركستان الى ساحل المحيط الاطلسي في شمالي افريقية . وكان التجار العرب يجوبون هذه البقاع ويصلون احياناً بأسفارهم حتى جزر الهند الشرقية وبلاد الصين . فترى من ذلك ان العراق كان على مفترق الطرق التجارية بين آسيا وشمالي افريقيا واوروبا . وقد بقيت هذه الحركة التجارية نشيطة حتى عهد الحروب الصليبية

حين كانت السفن الجنوبية والبنديقية تزور ثغور البحر المتوسط الشرقية وتحمل منها بضائع الهند وتوابلها ونفائس المصنوعات الشرقية . ولكن بعد ان تعاقبت هجومات المغول والتتار ووقعت البلاد في حالة الفوضى انحطت التجارة ثم شلت نهائياً بمجيء الاتراك .

وظهرت بوادر الانتعاش في فاتحة القرن التاسع عشر على ان الآمال بوصول البحر المتوسط بخليج البصرة عن طريق العراق زالت بفتح قناة السويس سنة ١٨٩٦ . وكان مشروع الالمان بمدسكة حديد بغداد محاولة جديدة لفتح طرق العراق الا انه لم يبق من هذا المشروع ضمن حدود العراق الا نحو ٧٠ ميلا قبل اعلان الحرب العالمية التي كانت السبب في احباط هذا المشروع^(١) . ومع هذا فان الحركة التجارية كانت آخذة في الانتعاش خلال القرن التاسع عشر وكانت اهم مراكز الحركة التجارية في العراق قبل الحرب هي الموصل وبغداد والبصرة . وكان القسط الاوفر من هذه الحركة لبغداد حيث كانت مركز توزيع البضائع المستوردة عن طريق خليج البصرة الى العراق واواسط ايران . اما الموصل فكانت مركز توزيع البضائع المستوردة من سوريا الشمالية — ومركزها حلب — الى الاقسام الشمالية من العراق وبراون الجزيرة وديار بكر . وقامت كلتا المدينتين ايضاً بدور تصدير حاصلات العراق وايران. هذا وقد بدأت الحركة التجارية لمدينة الموصل تتجه نحو الجنوب في اوائل القرن العشرين وتبتعد شيئاً فشيئاً عن مدينة حلب .

(١) لقد احيا لاتفاق الذي عقد بين الحكومة العراقية وشركة النفط البريطانية في صيف سنة ١٩٣٥ الامل باكمال سكة حديد بغداد ووصول العراق بسور ياوالاناضول

الحركة التجارية بعد الحرب :

واخذت تجارة العراق الخارجية تزداد شيئاً فشيئاً قبيل انتهاء الحرب العظمى لاسباب منها نقص العرض في كميات البضاعة الداخلية الذي نجم عن ما حدث من عجز حركة الاستيراد في اثناء الحرب من جهة ، ولوجود جيش الاحتلال البريطاني في العراق من جهة اخرى . الا ان هذه العوامل كانت وقتية ونتيجة ظروف خارجية فاننا نرى انه بعد ان انسحب جانب عظيم من جيش الاحتلال وخفت الحاجة الى البضائع بازدياد الكميات المستوردة منها بعد الحرب حدثت أزمة اقتصادية في سنتي ١٩٢١ و ١٩٢٢^(١) .

اضف الى ذلك ان عزل العراق عن تركيا وسورية بالحواجز السياسية والكرمية قد زاد في الطين بلة . وربما كان تأثير هذا العزل اشد وطأة في مدينة الموصل مما في غيرها من المدن فبينما نجد كثيراً من المدن الاخرى قد اتصلت بالسكك الحديدية العراقية بقيت مدينة الموصل منعزلة لعدم اتصالها بخط حديدي ولصعوبة المواصلات ووعورة الطريق المؤدية اليها . اضف الى ذلك ايضاً انحطاط تجارة الترانسيت مع ايران اذ اخذت روسيا تنافس العراق في ذلك من الشمال اولا واحتكرت حكومة ايران تجارة بلادها . ويجب ان لا ننسى ايضاً اثر الازمة الاقتصادية العالمية التي ابتدأت سنة ١٩٢٩ والتي ادت الى هبوط فاحش في اسعار الصادرات العراقية ومن ثم الى عجز عن الدفع من قبل التجار والفلاحين . فترى من ذلك ان عوامل جمة داخلية وخارجية قد عملت على شل حركة العراق التجارية ، وقد لا تنزل هذه العوامل الا بعد

(١) راجع تقرير الحكومة البريطانية الخاص عن تقدم العراق من ٢٠٠٥-٢٠٠٨

مضي مدة من الزمن وهي تتطلب وضع التجارة العراقية على نظم
واسس جديدة.

نقلص التجارة الخارجية:

يظهر الجدول الآتي مجموع اسعار الصادرات والواردات والترانزيت بين
سنتي ١٩٢٠ و ١٩٣٢ بالروبيات (١).

موازنة غير راجحة	الترانزيت	الصادرات	الواردات	السنة
١٢٨٩١٦١١٩		١٠٣٨٠٨٠٨٥	٢٣٢٧٢٤٢٠٤	* ١٩٢٠
				(سنة تقويمية)
٨٧٩٦٦٠٤٠		١٠٥٩٥٠٨٤١	١٩٣٩٤٦٦٨١	* ٢٢-١٩٢١
٥٩٩٢٢٦٨٧		١٠٧٨٩٩٤٨١	١٦٧٨٢٢١٦٨	* ٢٣-١٩٢٢
٤٥٦٩٢٧٧٨		١٣٥٧٩١٣٣٥	١٨١٤٨٤١١٣	* ٢٤-١٩٢٣
٤٩٢٣٢٣٧٢		١٤٢٠٠٨٦١٧	١٩١٢٤٠٩٨٩	* ٢٥-١٩٢٤
٥٧٥٥٣٨٥٠	٧٠٦٣٤١٩٢	٥٠٢٩٣٧٨٣	١٠٧٨٤٧٦٣٣	٢٦-١٩٢٥
٥٩٨٧١٨٧٠	٥٧١٥٣٤٧٧	٤٥٠٧٩٢٢٩	١٠٥٩٦١٠٦٩	٢٧-١٩٢٦
٤٤٠١٦٩٣٠	٥٨٨١١٨٨٢	٦١٣٤٠٥٠٥	١٠٥٥٥٧٤٣٥	٢٨-١٩٢٧
٣٩٢٦٤٥٩٦	٥٨٥٢٧٠٤٦	٥٥٧٤٠٩٧٤	٩٥٠٠٥٥٧٠	٢٩-١٩٢٨
٤١٨٩٤٥٥٥	٥١٣٢٣٩٠١	٥٦٤٤٨٢٨٥	٩٨٢٣٢٨٤٠	٣٠-١٩٢٩
٣٠٦٦٨٩٧٥	٣٢٥٩٢٦٨٢	٤٠٧١٢٦٤٢	٧١٣٨١٦١٥	٣١-١٩٣٠
١٦٧٥٤٤٠٨	٥٠٧٦٧٢٦٢	٤٦٢٢٣٧٦٧	٦٣٩٧٨١٧٥	٣٢-١٩٣١

* تشمل اسعار الترانزيت ايضاً

(١) احصاءات هذا الجدول مستمدة من تقرير الحكومة البريطانية الخاص عن
تقدم العراق ص ٢١٦ والتقارير الادارية لمديرية الكمارك والمكوس للسنة المالية
١٩٣١ - ١٩٣٢ ص ٦-٢

ويظهر لنا من هذا الجدول الهبوط المستمر في كميات الصادرات والواردات العراقية . فبينما كانت تجارة العراق في سنة ١٩٢٠ تقدر بأكثر من ٣٣٥٦٠٠٠٠٠٠٠٠ روية فقد أصبحت في سنة ١٩٣٢ لا تزيد على ١٤٠٠٠٠٠٠٠٠ روية (١) . ان بعض هذا النقص يعزى ولا شك الى هبوط الاسعار العام من جراء الازمة العالمية الاخيرة . ولكن مما لا شك فيه ان عدداً غير قليل من المحال التجارية اما خرج من السوق او هو الآن يتاجر بكميات اقل بكثير من السابق . ولقد نقصت الواردات اكثر من الصادرات فان الصادرات نقصت حتى وصلت حدها الأدنى بين سنة ١٩٣٠ ثم رجعت في السنة التالية الى معدل سنة ١٩٢٦—١٩٢٧ . ومن الاهمية بمكان ان نقول انه بينما كانت اسعار الصادرات تأخذ في التدهور كانت كميات صادرات الحبوب والتمر تزداد ، فقد ارتفعت صادرات التمر من ١٢٩٩٨٨ طناً الى ١٦٣٣٥١ في سنة ١٩٢٩—١٩٣٠ . وارتفعت صادرات الحبوب في نفس السنة من ١٣٢٤٧١ طن الى ٢٦٨٩٧٢ . ومع هذا الازدياد في كميات الصادرات فان اسعار التمر قد نقصت من ١٨٧٠٠٠٠ روية الى ١١٩٠٠٠٠ روية . اما اسعار الحبوب فانها رغم تضاعف الكمية قد ازدادت من ١٠٤٠٠٠٠ روية الى ١١٩٠٠٠٠ روية فقط . فترى من ذلك ان العراق قد زاد في كميات الصادرات ولكنه لا يتمكن من بيعها الا باسعار

(١) لقد ضمنت بضاعة الترانسيت في السنوات الخمس الاولى في كل من الصادرات والواردات وعلى هذا فقد تكررت دفتين في الجدول اعلاه . وعلى فرض مضاعفة اسعار الترانسيت ايضا في سنة ١٩٣١—٣٣ فان المجموع لا يزيد على ١٨٠٠٠٠٠٠٠ روية اي نحو نصف كمية تجارة سنة ١٩٢٠

اوطى من السابق . وقد بلغ الخفض فى الاسعار فى بعض الاحيان الى ما يقارب الخمسين بالمائة من معدل اسعار السنوات الماضية ^(١) . ان اهم العراق هي التمور والحبوب والصوف والجلود والمصايرن والقطن الخلم والحيوانات . واهم وارداته هي المنسوجات القطنية والسكر والمنسوجات الحريرية والزيت والشاي والاشباب والالات الميكانيكية والمنسوجات الصوفية .

تجارة الترانسيت مع ايران :

كانت تجارة ايران التي تمر بالعراق عن طريق بغداد والبصرة قبل الحرب العظمى تقدر بنحو خمسين بالمائة من مجموع تجارتها الخارجية . الا ان هذه التجارة اخذت فى التدهور بسرعة بعد الحرب نظراً لمنافسة التجارة الروسية ورغبة الحكومة الايرانية فى بناء ميناء ايرانى على خليج البصرة ، ولاحتكار الحكومة الايرانية لتجارة ايران الخارجية . والسلطات العراقية ليست كثيرة الامل باعادة هذه التجارة . الا ان الامل تعلق احياناً لانعاش هذه التجارة على طريق الصحراء بين العراق وسورية وعلى مشروع خط حديد بغداد - حيفا لربط العراق بالبحر المتوسط ^(٢)

موازنة التجارة :

يظهر الجدول السابق بان تجارة العراق كانت دوماً غير راجحة . الا ان هذه النسبة غير الراجحة بين الصادرات والواردات اخذت تتناقص من

(١) راجع تقرير دائرة الكمارك والمكوس للسنة المالية ١٩٣١-١٩٣٢ ص ٧-٩

(٢) راجع تقرير الحكومة البريطانية الحاص عن تقدم العراق ص ٢٠١-٢١٣
وتصريح المستر برديون امام لجنة الانتدابات الدائمة فى الجلسة اربعة عشرة المنعقدة فى شهرى تميرين الاول والثانى سنة ١٩٢٨ ص ١٦٤

٥٧٦٥٠٠٠٠ روية في سنة ١٩٢٥ - ١٩٢٦ الى ١٧٠٠٠٠٠ روية في سنة ١٩٣١ - ١٩٣٢. ولا يرينا هذا الجدول إلا الصادرات والواردات المنظورة وهناك عدد من الصادرات والواردات غير المنظورة. فمن الواردات المنظورة في الحقبة الماضية مادفعته الحكومة العراقية للحكومة البريطانية لسد بعض الديون العمومية العثمانية ونفقات التمثيل الخارجي، ومصروفات الطلاب والحجاج والسواح في الاقطار الاجنبية. ومن الصادرات غير المنظورة نفقات القوة الجوية البريطانية في العراق، والربح من تجارة الترانسيت الايرانية ومصروفات الحجاج والسواح الاجانب ومصروفات ممثلي الدول الاجنبية في العراق والاعانات ونفقات المدارس الاجنبية، ومصروفات البعثات الأثرية، ومصروفات الشركات الاجنبية في العراق وما تأخذها الحكومة العراقية من شركات النفط. والمظنون ان هذه الصادرات غير المنظورة تقلل الى حد بعيد العجز الحاصل من زيادة الواردات على الصادرات بل قد تسده جميعه في بعض السنين (١)

امياء التجارة العراقية :

يتبين للقاري من بحثنا السابق ان حالة التجارة العراقية الداخلية والخواجية الى ما قبل الازمة الاقتصادية الحالية لم تكن حسنة. فان انحطاط تجارة الترانسيت مع ايران وقطع الصلات التجارية شيئاً فشيئاً مع تركيا وسوريا كل ذلك قد اثر تأثيراً بيناً على التجار العراقيين وحفظ مستوى المعيشة في العراق. وادى ذلك في المدن الى زيادة الواردات الكمية

(١) راجع تقرير الحكومة البريطانية الخاص عن تقدم العراق ص ٢١٤-٢١٥

والمصنوعات الامر الذي يدعوننا الى التساؤل فيما اذا كان الفطر لم يصرف اكثر مما يتحمل . ون تدهور تجارة الترانسيت مع ايران فقط امر يدعو الى التفكير في وضع اسس جديدة للتجارة العراقية وتوجيه حياة العراق الاقتصادية الى نواحي اخرى مثمرة . ويوجد في عرفنا ثلاث نواحي هامة لذلك :

(اولاً) التقدم الصناعي : ان تشجيع الصناعة يساعد على سد حاجات السكان الهامة ويقلل من كمية الواردات الاجنبية . وقد وضعت الحكومة العراقية نصب اعينها هذه السياسة وسارت عليها لتشجيع المصنوعات الوطنية . فسنت في سنتي ١٩٢٩ و ١٩٣١ قوانين لاعفاء المصانع الى خمس سنوات من ضرائب الدخل والاملاك ومن الرسوم الكمركية على الآلات الميكانيكية وما يستعمل من اللوازم والمواد في المصانع . ووضعت مؤخراً رسوم كمركية ثقيلة لحماية صناعات التبغ والحزير والمشروبات الروحية . وقد اقامت الحكومة في سنة ١٩٣٢ معرضاً صناعياً زراعياً لعرض المنتوجات العراقية (١) .

(ثانياً) التقدم الزراعي : والتقدم الزراعي ناحية اخرى في انعاش الحياة الاقتصادية العراقية . ولا يتم هذا التقدم الا باعداد اراضي زراعية قابلة للري وباسكان العشائر الرحالة وبتحسين طرق الزراعة وبادخال انواع جديدة من الحاصلات والاعتناء بطرق عرض الحاصلات في الاسواق . وسنعود الى موضوع الصنائع الزراعية بعد قليل .

(ثالثاً) اصلاح طرق المواصلات : ان اصلاح طرق المواصلات من اهم

(١) راجع تقرير الحكومة البريطانية الخاص عن تقدم العراق ص ٢١٥

حاجات القطر في الوقت الحاضر . فالعراق صعب الاتصال بالاقطار الخارجية وعلى الاخص بالاسواق الاوروبية والاميركية . وتراوح المسافة بينه وبين البحر المتوسط من ٦٠٠ الى ٧٥٠ ميلا وهذه المسافة معظمها صحراء جافة . اما السفن التجارية التي تحمل صادرات العراق من البصرة فمعظمها مضطرة ان تذهب الى الهند اولاً ثم تدور حول شبه جزيرة العرب الى البحر المتوسط قبل ان تذهب الى اورز با واميركا . فاشد ماتعانية التجارة العراقية اذ هو بعد المسافة بين العراق واسواق العالمية وغلاء اسعار النقل . فاذا اتصل العراق بشعر على البحر المتوسط فستقل هذه المسافة باكثر من ثلاثة آلاف من الاميال ^(١) . ومن هنا تظهر اهمية اتصال العراق بمواني البحر المتوسط واهمية تحسين طريق السيارات بين سورية والعراق ، ومد خط حديد حيفا - بغداد وضرورة اكمال سكة حديد بغداد بمد الخطوط الحديدية من بغداد الى الموصل وحلب ونصيبين . وقد مد خط حديدي بين بغداد والحدود الايرانية وفتح طريق للسيارات يصل الى الحدود الايرانية ماراً براوندوز لتسهيل الصلات التجارية بين العراق وايران . على ان مشكلة المواصلات في العراق لا تنحصر في صعوبة اتصال العراق بالخارج فقط ، فان صعوبة المواصلات في الداخل هي بنفسها مشكلة هامة . ولا ريب ان نهري دجلة والفرات وتوابعهما هما من اكبر مسهلات المواصلات في الداخل ومع ان السفن

(١) راجع Holt, Major A.L., 'Some Journeys in the Syrian Desert'

Journal of the Central Asian Society, Vol. 10, Part,3, 1923, PP. 18-1846,

اقرأ ايضاً ملاحظات الجنرال لوبك على هذه المحاضرة في نفس هذا الممدوح ١٨٦

التجارية تمخرنهر دجلة بين بغداد والبصرة ومع ان القوارب ذات المحركات قد شاع استعمالها وعلى الاخص في الخمس عشرة سنة الاخيرة الا ان كثيراً من الحاصلات المحلية لاتزال تنقل على الطريقة القديمة بالكلك والقفة والمهيلة .

ومعظم السكك الحديدية في العراق نشئت اثناء الحرب العظمى او بعدها وقد بلغ طول خطوطها ٩٢٩٫٢٧ ميلا في سنة ١٩٣١ . ويبتدي الخط الرئيسي من البصرة ويسير مع الفرات الى الخلة ومن ثم يعرج الى بغداد . ومن بغداد تتفرع شعبة اخرى الى الشمال تسير محاذية لدجلة وتنتهي في بيحي الواقعة في منتصف المسافة بين الموصل و بغداد . وتتفرع من بغداد شعبة تبتديء من الضفة الشرقية وتسير الى خانقين قرب الحدود الايرانية ، ويتفرع من هذا الخط فرع يبتديء في قره غان ويسير الى كركوك على بعد ٢٠٠ ميل عن بغداد . وبلغ طول الطرق العراقية حتى سنة ١٩٣١ مقدار ٤٥٠٠ ميل . إلا ان ١٧٠ ميلا منها فقط كانت معبدة والاخرى غير معبدة ولا تصلح للعواصلات اذا ما سقطت الامطار عليها بغزارة او اذا ما طغى عليها الفيضان . والسهول العراقية المنبسطة تصلح لاسير السيارات فيها في اغلب الاماكن إلا حيث تقطعها الانهر والترع فهي تحتاج إذذاك الى تشييد الجسور . فشكالة الطرق في الجنوب ليست في كثير من الاحيان إلا مشكالة بناء الجسور . وقد اقامت الحكومة العراقية حتى سنة ١٩٣١ نحو ٨٩ جسراً يبلغ عرض الواحد منها خمسين قدماً او اكثر و ٢٠٠ جسر حديدي يبلغ عرض الواحد منها خمسة وعشرون قدماً او اكثر . هذا عدا عن مئات من

جسور الاسمنت والقناطر التي اقامتها الحكومة في مختلف أنحاء العراق^(١).
لا شك ان طرق المواصلات في العراق قد تقدمت تقدماً محسوساً على
ما كانت عليه قبل الحرب . على ان مجال العمل والاصلاح لا يزال واسعاً
والحاجة ماسة لوصول اطراف العراق المترامية بعضها ببعض وذلك بتشديد
القناطر والجسور على مئات الانهر والترع ، وبتوفير اسباب الراحة للمسافرين
وبإكمال السكك الحديدية ، وبتخفيض اجور نقل البضائع ، وبتعبيد طرق
السيارات الكثيرة .

٥ - الصناعة

الصناعات الفردية :

ان اكثر صناعات العراق هي من النوع المسمى بالصناعات الفردية ويراؤها
الافراد في بيوتهم او في حوانيتهم الصغيرة . وقد زهت هذه الصناعات في
مدينتي بغداد والموصل في العصور الماضية ولكنها اخذت بالانحطاط في اواخر
القرن التاسع عشر لتحول طريق التجارة بفتح قناة السويس ولمزاحة
المصنوعات الغربية لها^(٢) . ومن الانواع التي لا تزال حية من هذه
الصناعات الى الآن هي صناعة النسيج والتطريز وعمل السجاد والديباغة

(١) راجع AI-Askari, Jafar Pasha, "Five Years' Progress in Iraq",
Journal of the Central Asian Society, Vol. 14, Part 1, 1927.
PP. 62-64.

وراجع أيضاً تقرير الحكومة البريطانية الخاص عن تقدم العراق من ١٣٩١-١٤١١

(٢) راجع عن هذه الصناعات في مدينة الموصل
Cuiet, Vital, La Turquie d'Asie, Vol. 2, P. 824.

والحدادة والصبغة والنجارة وعمل الاحذية والفخار والاجر وصناعة الاواني
النحاسية .

انحطاط الصنائع القديمة :

ان صناعة النسيج كانت اكثر انتشاراً من غيرها ولكنها تضائلت
اكثر من غيرها لمنافسة المنسوجات الاجنبية لها وقد كان كل العراقيين تقريباً
يلبسون منذ عهد ليس ببعيد المنسوجات الوطنية ، وكانت الاسواق
(القيصريات) مملوءة بالمنسوجات القطنية والصوفية المصنوعة في المعامل
المحلية . إلا ان هذه الاسواق خالية الآن من تلك المصنوعات ومملوءة
بلمنسوجات الصوفية والقطنية الاجنبية . وقد ازداد انحطاط صناعة النسيج
بعد الحرب وترك العمال هذه الصناعة ليمحشوا عن مورد آخر للرزق . على انه
لا تزال في بغداد والموصل مئات من الانوال اليدوية باقية حتى الآن .
ولا تزال صناعة نسج العبي شائعة في بعض المدن او المراكز التي هي اسواق
للعشائر كما انه تنسج في نفس هذه المراكز انواع غير متقنة من السجاد .
اما صناعة الانسجة الحريرية فهي في طريق الاضمحلال .

وقد اخذت صناعة الاحذية بالتقهقر ايضاً امام مزاحمة الاحذية الاجنبية
واخذت الاحذية ذات التفصيل الاجنبي تحمل محل الاحذية والاختلاف
والنعال المحلية . الا ان جانباً من الاحذية الحديثة لا يزال يصنع باليد في
البلاد . وكانت صناعة الاحذية في السابق تعتمد على الجلود المدبوغة محلياً
إلا ان معظم اعتمادها الآن اصبح على الجلود المستوردة من الخارج . ذلك ان

صناعة الدباغة الوطنية غير متقنة ومتأخرة وهي في بعض الاحيان متلفة للجلود نفسها .

الصناعات الفنية :

من بين الصناعات الوطنية ذات القيمة الفنية اثنتان تستحقان الذكر . الاولى صياغة الفضة عند الصابئة ، وهذه قد انحطت ويزاولها اصحابها بصورة تقليدية ولكنها من الصناعات الوطنية الصميمة وفيها قابلية للنمو والتقدم . والثانية صناعة الآجر المطلي على الطراز العربي ويحترفها نفر قليل من الناس (اكثرهم من الايرانيين) وتستعمل في الغالب لزخرفة ابواب الجوامع والمنائر والقباب . وهذه الصناعة النفيسة قديمة وذات قيمة فنية كبيرة إلا انها آخذة في الاضمحلال . وهذا امر مؤسف وعلى الاخص في بلاد لم تترك فيها نكبات الدهر شيئاً مهماً من الآثار الفنية .

صناعات القري :

ان المصنوعات القروية التي تستحق الذكر هي مصنوعات القش والاعصان والقصب وسعف النخل وتعمل بصورة متقنة . وهذه الصناعات تجدها في كل أنحاء القطر حيث توجد المواد الاولية اللازمة لها . ففي الشمال تصنع السلال والمرابح والاطباق والصناديق من القش بأشكال جذابة . وتعمل السلال من اعصان الشجر في اكثر المناطق الجبلية في الشمال وفي لواء ديالى . وتصنع الحصران والسالل والاطباق من القصب في وسط العراق وجنوبه . ويستعمل سعف النخل ايضاً في عمل الكرامبي والاقفاص وأسرة النوم . ومع ان هذه المصنوعات تعمل بصورة بسيطة إلا انه يوجد فيها شيء من الفن وفي الامكان

تحسينها وتنويعها . ومن مصنوعات القرى ايضاً عمل السجاد الرخيص الثمن ،
وتجد ذلك في بعض القرى والمدن الصغيرة وعند بعض القبائل مثل بني لام .
وهذه المصنوعات من السجاد تسد بعض الحاجات المحلية . اما السجاد
الابراني فيصنع في بعض الاماكن بكميات محدودة وهو أقل جودة من
المصنوع منه في ايران . وفي صناعة السجاد قيمة فنية وفائدة اقتصادية وفي
الامكان تشجيعها وعلى الاخص في الجبال الشمالية حيث يقضي الفلاح الشتاء
الفارس بدون عمل . وفي المدن نوع من التطريز الحرير (السرمة) او الخيوط
المعاداة على العبي وبعض انواع الالبسة العربية الاخرى . وتجد من هذا
التطريز نوعاً ادى في القرى والاربايف .

المشكلة الصناعية :

ان المشكلة الصناعية التي يحاها العراق في الوقت الحاضر هي ايجاد
الطرق للاحتفاظ ببعض صناعاته المفيدة واعادة تنظيم الاخرى على اسس فنية
حديثة تتمكن من مقاومة التدهور العظيم في الانتاج الصناعي المحلي ومن
تقليل الاعتماد على المصنوعات الاجنبية . اما الصناعات الفردية اليدوية
الحالية ففي الامكان تشجيعها وادخال الاصلاح عليها إلا ان اعادة تنظيم
صناعة النسيج والحرير والجلود والديباغة وغيرها امر صعب جداً والارجح
انه غير ممكن دون استعمال الآلات الميكانيكية الحديثة . وتقف في سبيل
ذلك عقبتان : (اولاً) ضرورة استيراد الآلات الميكانيكية اللازمة من
الخارج (وثانياً) المخاطرة برأسمال كبير لانشاء المعامل . فقليل من التجار
الذين يمتلكون رأسمالا كافياً يقدمون على المغامرة برأسمالهم على مشاريع

لا يكون نجاحها مكفولاً. هذا وان حركة التجديد في الصناعات حديثة العهد ،
ولا توجد خبرة كافية تشجع الرجال على الاقدام على استثمار اموالهم .
والعراقيون يخشون ايضاً عواقب الاستعانة برؤوس الاموال الاجنبية
لاستثمارها في العراق .

ظهور الصناعات الحديثة :

ومع هذا فان الاقدام على انشاء بعض المصانع الحديثة قد بدأ فعلاً
والحكومة العراقية تعمل جهودها لتشجيعها . وقد اسس منذ بضعة سنوات
معمل للنسيج يشتغل بالآلات الميكانيكية وقد صادف نجاحاً باهراً وهو
أخذ بالتوسع بخطوات سريعة . ومعامل السيكاير التي تأسست ايضاً حديثاً
في بغداد نافست السيكاير الاجنبية وتغلبت عليها . وتأسست معامل
للطابوق في بغداد بعد الحرب وهي تقوم بصنعه باتقان وهذا الطابوق اجود
بكثير من الطابوق الذي كان يصنع في بغداد في الاعصر الاخيرة . وتأسس ايضاً
معمل لدبغ الجلود وصنع الاحذية منذ مدة قريبة لم يلاق نجاحاً كبيراً . وتستعمل
الآن مكائن لنسج الجوارب في بغداد والموصل . وقد وضع حديثاً مشروع
تأسيس معمل للسمنت ولكنه لم يخرج بعد الى حيز العمل . وفي المدن
معامل كثيرة لاصلاح الآلات الميكانيكية التي دخلت العراق بعد الحرب
كالسيارات والمضخات وغير ذلك من الآلات الميكانيكية . وتأسست
حديثاً (وعلى الاخص في بغداد) حوانيت نجارة مجهزة بالآلات الميكانيكية
وقد نجحت في تحسين نوع المصنوعات النجارية . بيد ان جميع هذه الصناعات
لا تزال في طورها الاول من الحياة وليس بوسعنا ان نقول انها مهيمنة

بمنتوجاتها على الاسواق العراقية . ومع هذا فان الحكومة تسعى لتشجيع هذه الصناعات وانمائها . ولا شك ان اكتساب الخبرة الصناعية بمرور الزمن سيساعد على ظهور صناعات اخرى وطنية .

الصناعات الزراعية :

من الامور التي انتهت اليها الاوساط الرسمية وغير الرسمية في العراق هي امكان ادخال المصنوعات الزراعية . ومن هذه المصنوعات عمل السكر من التمر والبنجر والذرة الحلوة وعمل عصير الطماطم وتجفيف الفواكه والبقول واللحوم ووضعها في العلب ، وعمل المقوى من القصب والتش وكلاهما كثير الانتشار في العراق ، وعمل الصابون وعمل المشروبات المختلفة من العنب والتوم وغيرها من الحرير . وفي الامكان ان نضيف الى ذلك صناعة المنسوجات القطنية والصوفية ، وكلا القطن والصوف موجود في العراق وفي الامكان زيادة كمياته . ومع وجود هذه القابليات الزراعية في العراق فهو لا يزال يستورد كل ما يحتاج من السكر وكثيراً من الاخشاب والصابون والفحم وحتى بعض الفواكه والبقول . هذا عدا الكميات الكثيرة التي يستوردها من المصنوعات القطنية والحريرية والصوفية التي هي من اعظم الكميات المستوردة الى العراق من الخارج . ويشعر العراقيون الآن بان المصنوعات الوطنية يجب ان تشجع للتقليل من كميات هذه الواردات ولتصريف المواد الاولية في العراق كالقطن والصوف . ولا مبرر لكون كميات المنسوجات القطنية اكبر صنف من الاصناف المستوردة من الخارج . وكان العراق في السابق يعتمد على المنسوجات القطنية الوطنية المصنوعة من القطن الوطني .

وان انشاء معمل للمنسوجات القطنية سيوفر بلا شك كميات كبيرة من
الثروة للعراق .

مالة العمال :

تختلف حالة العمال في العراق عما هي في العالم الغربي نظراً للاحوال
الابتدائية البسيطة للاعمال الصناعية في هذه البلاد . ويتقاضى العامل
اليدوي معدل دينارين او دينارين ونصف في الشهر ، اما العامل الفني
فيتقاضى اكثر من ذلك بكثير وقد يبلغ راتبه الشهري اثني عشر دينار
او اكثر . وتدفع السكك الحديدية ومصالحة الميناء وشركات النفط في
العراق أعلى الرواتب للعمال^(١) . اما في الصناعة الفردية او البيتية والحرف
فان اجور العمال اقل من ذلك بكثير . فالخائف مثلاً ليس بوسع ان يستحصل
في اليوم الواحد اكثر من نحو الستين الى الخمسة وسبعين فلساً . واجور
النساء والاطفال من العمال اقل من ذلك . وصفوة القول ان اجور العمل في
العراق واطئة ومستوى معيشتهم واطئة ايضاً ومع ذلك فمستوى معيشة العمال
هو ارفع من مستوى معيشة الفلاحين .

٦ - مالة الدولة

بوسعنا ان نقول ان مالة الدولة العراقية في حالة جيدة في الوقت الحاضر .
ومع انه حدثت ازمتان في تاريخ الحكومة العراقية بحيث اضطرت الى اجراء
تخفيضات كبيرة في مصاريفها وان تدعو بعض الخبراء الاقتصاديين

(١) راجع تقرير الحكومة البريطانية الخاص عن تقدم العراق من ٢٤٦-٢٤٧

الاجازب ، فان مجموع الفضلات في ميزانيات الاثنتي عشرة سنة التي سبقت سنة ١٩٣٣ هو كبير جداً^(١) . وقد اصبح في امكان خزينة الدولة العراقية بعد تعديل امتياز شركة النفط العراقية ومنح امتياز شركة انماء النفط البريطانية ان تعتمد على ما تتقاضاه من هاتين الشركتين سنوياً من الرسوم التي لا تقل عن ٥٠٠٠٠٠٠٠ دينار ذهباً وقد تصل في بعض السنوات التي كثر فيها انتاج النفط الى ٨٠٠٠٠٠٠ دينار او اكثر . إلا ان الحكومة العراقية لم تدخل ما تستلمه من شركة النفط العراقية في الميزانية بل هي تحفظه الآن لينفق على المشاريع الرئيسية للقطر . وقد وضع مشروع خمس سنوات في سنة ١٩٣١ للقيام ببعض الاعمال العمرانية العامة كبناء الجسور وتعميد الطرق واقامة بعض البنايات ومد خطوط التلغون والقيام ببعض مشاريع الري ، وقد عدل هذا المشروع مرتين من ذلك الحين . وليس على العراق الآن دين اجنبي . اما الدين العثماني الذي وقع جزء منه على العراق (ويبلغ اكثر من ٩٠٠٠٠٠٠٠ ليرة تركية) بموجب معاهدة لوزان سنة ١٩٢٣ فقد سددهته الحكومة العراقية . وقد تم ذلك في سنة ١٩٢٧ بشراء اسهم وكوبونات الديون العثمانية باسعار رخيصة جداً (نظراً لسقوط قيمتها في السوق حينئذ عن قيمتها الاسمية) من الفضلة المالية التي كانت متجمعة في خزينة الدولة العراقية . وقد قدمت هذه الاوراق المالية الى مجلس الدين العثماني العام وسددت بذلك حصة العراق من الدين ما عدا ٣٨٣٠٠٠٠ ليرة . وقد دفع هذا المبلغ المتبقي بسبعة اقساط سنوية

(١) راجع تقرير الحكومة البريطانية الخاص عن تقدم العراق من ٩٢ . راجع ايضاً ميزانيات الدولة العراقية للسنوات ١٩٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤

مقدار كل منها ٦٣١٠٠٠ ليرة . وقد دفع القسط الاخير منها في ٢١ ايار سنة ١٩٣٤ (١) .

ولابد من ذكر مشكلتين هامتين لمالية الدولة العراقية الآن . الاولى مشكلة اعداد رأسمال الري و اعمال اخرى لتحسين حالة القطر الاقتصادية (٢) والثانية مشكلة اصلاح الضرائب التي اشرفنا اليها في بحثنا عن ملكية الاراضي والحالة الزراعية (٣) .

(١) راجع تقارير الحكومة البريطانية عن ادارة العراق للسنوات ١٩٢٧ من ٩١ ، و ١٩٢٨ ص ٦٧-٦٨ ، ١٩٢٩ ص ٦٧-٦٨ . راجع ايضا تصريح السر هنري دويس امام لجنة الانتدابات الدائمة ، الجلسة العاشرة ، المنعقدة في تشرين الثاني سنة ١٩٢٦ ص ٧١ ، وتصريح المستر بورديلون امام لجنة الانتدابات الدائمة في جلستها الثانية عشرة ، تشرين الاول سنة ١٩٢٧ ص ٣٤

(٢) لقد ذكرت بعض الصحف اللندنية خبر احتمال عقد قرض انكليزي لحكومة العراق اثناء زيارة المغفور له الملك فيصل لانكترا في صيف سنة ١٩٣٣ و اثناء حضور مندوب العراقي في المؤتمر الاقتصادي العالمي . ولكن لم يحدث شيء من ذلك . وكانت العملة المستعملة في العراق منذ ابتداء الاحتلال البريطاني العملة الهندية فاستبدلت في نيسان سنة ١٩٣٢ بالعملة العراقية .

(٣) للاطلاع على نظام الضرائب الحالي في العراق راجع تصريح المستر بورديلون امام لجنة الانتدابات الدائمة في جلستها الثانية عشرة ، تشرين الاول سنة ١٩٢٧ ، ص ١٨-١٩ . وتقرير الحكومة البريطانية عن ادارة العراق لسنة ١٩٣٦ ، ص ٧٧-٨٥ . وتقرير الحكومة البريطانية الخامس عن تقدم العراق من ١٠٤-١٢٣

الفصل الخامس

المشاكل الصحية

مشاكل الصحة في العراق مختلفة ومتعددة ، ومعظمها ذات اهمية عظيمة لاتصالها بحياة الشعب اتصالاً مباشراً ووثيقاً . لقد ارتقت الحالة الصحية في الخمس عشرة سنة الماضية ارتقاء محسوساً ومع ذلك فليس بوسعنا ان نقول ان احوال المعيشة في العراق هي صحية من حيث العموم او انه قد بذلت جهود واسعة النطاق وشاملة لازالة الاسباب الاساسية التي تخل بالصحة في البلاد اولنح انتشار عدد غير قليل من الامراض . ولذلك فان عدداً كبيراً من العراقيين مع ما فيهم من الصلابة الجسمية لا يزالون يعيشون عيشة وسخة وغير صحية نوعاً ما تتناهم الامراض المختلفة من كل الجهات .

ولا غرابة في هذه الحالة فان السواد الاعظم من الشعب لا يزال امياً (تسعون بالمائة تقريباً) يجهل ابسط قواعد الصحة وقد استولت عليه الاعتقادات الخرافية . ومناخ البلاد حار وقاري والصيد فيها طويل ، كما ان الارض في اواسط العراق وجنوبه واطئة ومنبسطة ورطبة ومعرضة للفيضان ولتكوين الاهوار . كل هذه الامور مما يبين لنا عظم المشاكل الصحية في العراق وسعتها تلك المشاكل التي سنسعى لتحليلها في هذا الفصل .

١ - تقدم الحالة الصحية حتى الآن (١)

ولا بد لنا قبل ان نشرح المشا كل الصحية المختلفة ان نشير الى تقدم الحالة الصحية منذ الاحتلال البريطاني حتى الآن وذلك لكي لانعطي صورة سيئة ومتشائمة للحالة الحاضرة .

لم يترك الاتراك حين انسحابهم من العراق من التنظيمات الصحية ما كان يمكن ان يعول عليه فلما بدأ البريطانيون باحتلالهم العراق واخذت جيوشهم تتقدم بالتدريج نحو الشمال اضطروا الى تأسيس هيئة صحية ملكية واستعانوا في ذلك بموظفين اداريين واطباء اخذوهم من بين ضباط الجيش وفعلا ذلك لا لحفظ المستوى الصحي بين السكان منعاً لتفشي الامراض من السكان الى الجيش فقط ، بل لانهم ادركوا ان للناسيسات الصحية تأثيراً سياسياً على الاهالي . فان الحكومة الجديدة كانت تسعى الى اكتساب رضا الاهلين في البلاد المختلفة ، ولا احسن من التنظيمات الصحية للدعاية للدولة المحتملة (٢) .

ولما تأسست الحكومة الوطنية في صيف سنة ١٩٢١ انتقلت هذه التشكيلات اليها واصبحت تحت ادارتها . ومع ان الموظفين البريطانيين في

(١) تجد في التقرير البريطاني الخاص عن تقدم العراق فصلا يشرح التقدم الصحي في الخمس عشرة سنة الاخيرة ، ص ٦٦ فما بعد

(٢) راجع كتاب المس بل Bell, Lady Florence, Letters of Gertrude

Bell, Vol. 2, P. 44.

دائرة الصحة الآن قد يكون اكثر من سائر دوائر الحكومة فان احدي النقاط المهمة في تقدم الاحوال الصحية في العراق هي ازدياد عدد الاطباء والموظفين الصحيين العراقيين . واتخذت عدة تدابير لتدريب موظفين صحيين عراقيين فأسست مدرسة الصيدلة سنة ١٩٢٢ وتخرج منها حتى سنة ١٩٣٠ تسعة وخمسون صيدلياً ، وكذلك دربت دائرة الصحة عدداً من الممرضات والقابلات والمضمدين والمفتشين الصحيين تدريباً عملياً فقط . وقد أسست كلية للطب سنة ١٩٢٧ ، واخيراً فتحت مدرسة للممرضات واخرى للموظفين الصحيين سنة ١٩٣٣ .

ومن نواحي التقدم المهمة ازدياد ثقة الاهلين بالمؤسسات الصحية ، يشهد بذلك ازدياد المراجعين بالمستوصفات من ٧١٤٤٦٢ سنة ١٩٢١ الى ٣٠٩٩٩٣٤ سنة ١٩٣٠ . وكان عدد المرضى الذين دخلوا المستشفيات ٨ ٢٠٠ سنة ١٩٢١ وقد نزل هذا العدد لاسباب مختلفة الى ١٣٦٣٢ سنة ١٩٢٣ ثم عاد فصعد بالتدريج الى ٢٠٢٢٤ سنة ١٩٣٠ . وما من يعرف مقدار الخرافات المنتشرة في البلاد وتخوف الناس من المستشفيات إلا ويقدر التقدم الذي حصل في هذه الناحية في العشر سنوات الاخيرة . وقد ازداد كذلك عدد المستوصفات والمستشفيات فأصبح عدد المستشفيات ٢٨ سنة ١٩٣٠ وعدد المستوصفات ٩٦ وتوزع في المستوصفات الادوية على المراجعين مجاناً ، كما ان بعض المستوصفات مجهزة بأسرة لقبول المرضى . وقد كلفت دائرة الصحة بعض الاوبئة والامراض السارية كفماحاً لم تشهد البلاد مثله من قبل . ونخص بالذكر من ذلك مكافحة الطاعون والهيفة

الذنان كانا يجتاحان البلاد فتفتك بالاهلين فتكاذريعا^(١). فقد اتخذت دائرة الصحة تدابير فعالة لمكافحة هذين المرضين وذلك بالسيطرة التامة على وسائل النقل وضبطها وبتأسيس محاجر صحية مؤقتة ومحلات للتطهير وبتطعيم عشرات ومئات الآلاف من السكان في المحلات الموبوءة. وهكذا تمكنت من السيطرة على هذين المرضين والتقليل من اضرارهما. وقد طعمت الحكومة ٨٤٢٩٦٥ شخصاً أو نحو ٢٨ بالمائة من السكان سنة ١٩٣١ حين تفشي مرض الهيضة في الجنوب (٢). وقد مرت عدة سنوات كانت الحكومة فيها تطعم من ٤٠٠٠٠ الى ٥٠٠٠٠ شخص في كل سنة. وامثال هذه التدابير هي ولا شك مدعاة فخر لدائرة الصحة وللشعب الذي اخذ يقدر فائدة التطعيم بعد ان كان معظم الناس يتخوفون منه.

ومن نواحي التقدم الاخرى التحسن الظاهر في الاحوال الصحية في المدن الكبرى وتوزيع المياه بالانابيب على البيوت في بعض المدن وتعميمه وهذا مما يساعد على تقليل بعض امراض القناة الهضمية كالزحار والهيضة. وقد سنت بعض القوانين والانظمة الصحية واسست محاجر صحية على

(١) لقد فتك الطاعون الذي انتاب بغداد سنة ١٩٣١ بسكانها فقد اودى بنحو ثلثهم ، وكان سكان بغداد يقدرون بنحو ١٥٠٠.٠٠٠ ، راجع كتاب :
Dr. F. Akrawi, Etudes Sur 1a Peste en Mesopotamie ص ٣٢-٤٠
ومن المؤكد ان داود باشا الذي الف جيشا وثار على السلطان في حينه اجبر على التسليم في الاخير لان الطاعون قتل الجانب الاعظم من جيشه .
(٢) قدم هذه الارقام في الجمعية الطبية (T. B. Hegg) الاختصاصي بالامراض السارية للحكومة العراقية

الحدود ، كما ان دائرة الصحة اخذت بصورة مبدئية بالاعتناء بالاطفال والامهات .

هذا ملخص ما يمكن ان يقال عن تقدم المؤسسات الصحية في العراق قبل البدء ببحث المشاكل الصحية .

٢ - مالية المؤسسات الصحية

ليست المشكلة المالية خاصة بدائرة الصحة بل هي عامة لجميع دوائر الحكومة تقريباً . وكانت ميزانية الصحة ٣٤٠١٠٠٠٠ روبية سنة ١٩٢١ او نحو ٥٩ بالمائة من الميزانية العامة ، وقد خفضت الى ١٩٣٥٠٠٠ سنة ١٩٢٤ . فاضطرت ادارة الصحة إذ ذاك الى الاستغناء عن عدد من موظفيها والى التقليل من الاسرة في المستشفيات الى درجة كادت ان تخل بنظام المؤسسات الصحية ^(١) . على ان الميزانية اخذت تزداد سنة بعد سنة حتى اصبحت ٢٧٥٥٠٠٠ روبية سنة ١٩٢٥ او نحو ١٧ بالمائة من الميزانية . ولم يكن هذا الازدياد متناسباً مع ازدياد الطلب على المؤسسات الصحية من قبل الاهلين .

ويختلف العراق عن غيره من البلدان بانعدام المؤسسات الصحية الخصوصية انعداماً يكاد يكون كلياً ، ولذلك اصبح من واجب مديرية الصحة ان تتحمل كل العبء الصحي في البلاد . وقد بذلت جهود في اوائل عهد الحكومة الوطنية لتحويل قسم من هذا العبء الى البلديات فلم تنجح

١) راجع التقرير البريطاني عن ادارة العراق للسنة ١٩٢٢-١٩٢٣ ص ٨٢-٨٤

تلك الجهود . وابتدأت دائرة الصحة تأخذ رسم ارباع آثام من كل مراجع في المستوصفات سنة ١٩٢٤ فانقطع ثلاثة ارباع المراجعين من جراء ذلك (١) .
فمن الواضح اذن ان قلة المال ستبقى الى امد غير قليل من العوامل المهمة في عرقلة سير التقدم الصحي . وما دامت الخصاصات المالية قليلة فسيبقى التقدم الصحي بطيئاً والقيام بالمشاريع الصحية الواسعة كتجفيف المستنقعات وازالة البلهارزيا وغيرها غير ممكن الى امد بعيد .

٣- قلة الموظفين الصحيين

من اهم المشاكل التي اعترضت دائرة الصحة من اول تأسيسها هي قلة الاطباء والصيدالة والمرضات والقابلات . وكانت خطة الدائرة الاولى ان تسد هذه الحاجة باستخدام البريطانيين والهنود ثم بدأت باستخدام الاطباء السوريين . وكان في خدمة الصحة سنة ١٩٢٥ ما عدا البريطانيين والهنود واحد وعشرون طبيباً عراقياً واثنا عشر طبيباً غير عراقي يدعوم التقرير الرسمي لتلك السنة بالاطباء المحليين .

اما من حيث الاطباء فان المشكلة لا تنحصر في قلة عددهم بل يدخل فيها ايضاً عدم رغبتهم في التوظف في المحلات البعيدة عن المدن الكبرى حيث لا تكون الحالة الاجتماعية راقية ووسائل الراحة والرفاه متوفرة . ولذلك نرى ان معظم الاطباء يتجمعون في بغداد والبصرة والموصل . ونرى ان الاطباء في الخارج قلائل حتى في بعض المدن كأربيل والسليمانية والنجف

(١) راجع تقرير مقيس الصحة العام لسنة ١٩٢٤ من ص ٣٩ «بالانكليزية»

والعمارة . ومن الطبيعي في مثل هذه الاحوال ان يعرض بعض الناس في بعض المحلات النائية مرضاً شديداً فلا يجدون طبيباً يداويهم حتى بعد خمسين ميلاً ، وهذه حالة سيئة يزيد في سوءها ان النقلات في البلاد ليست سهلة وعلى الاخص اذا فكرنا بكثرة الامراض التي تنتاب الناس . وقد قررت دائرة الصحة مرة ان « خمسة وعشرين بالمائة من السكان يشكون انواعاً من الامراض مزمنة وعسير الشفاء (١) » .

وقد نشر مدير الصحة العامة في تقريره السنوي المطبوع سنة ١٩٢٦ تقديراً لعدد الموظفين الصحيين الذين تحتاجهم دائرة الصحة العراقية لكي تسير سيراً منتظماً ولتسد حاجات البلاد . وقد بنى تقريره هذا على احصائيات لبعض البلاد التي تماثل العراق في احوالها مثل سوريا وتركيا وبلغاريا واليونان (٢) . وهو يقدّر ان العدد المطلوب من الموظفين الصحيين هو ٢٨٠٠ موظف منهم ١٢٧٠ طبيباً . على انه لم يكن في تلك السنة (١٩٢٥) من الموظفين الصحيين في العراق الا ٤٢٥ موظفاً منهم ١٤٩ طبيباً .

ونستد من جدول للاطباء نشرته دائرة الصحة سنة ١٩٢٩ انه كان في خدمة دائرة الصحة في ذلك الحين ٩٩ طبيباً وفي خدمة الجيش العراقي ٢٨ طبيباً . وكان هنالك ٦٢ طبيباً يشتغلون على حسابهم الخاص . وهكذا كان مجموع الاطباء الرسميين والخصوصيين في العراق ما خلا اطباء الجيش ١٦١ طبيباً منهم ١٠٦ منحصرين في الموصل وبنغداد والبصرة . وقد تصاعف

(١) التقرير السنوي لمديرية الصحة العامة لسنة ١٩٢٣-١٩٢٤، ١٩٢٤-١٩٢٥، ص ١٧

(٢) راجع التقرير المذكور اعلاه ص ١٨

عدد الاطباء العراقيين في خدمة مديرية الصحة بين سنة ١٩٢٠—١٩٢٥ ، على انه لا يزال عدد الاطباء في البلاد قليلاً جداً بالنسبة الى حاجة البلاد كما بينا اعلاه .

وكانت السلطات الصحية منذ الاحتلال البريطاني تطلب تأسيس كلية طبية في بغداد لسد هذه الحاجة ، على ان هذه الفكرة لاقت مقاومة عنيفة من جهات مختلفة طبية وحكومية ومن بعض المواطنين (١) . وكانت وجهة نظر المعارضين لفكرة عدم فتح الكلية الطبية ان البلاد لم تكن مستعدة لتحمل نفقات كلية مثل هذه وان معدات المستشفيات والمختبرات كانت غير كافية او معدومة ولم يكن الاطباء من حيث العدد والاختصاص والمقدرة كفايين للقيام باعباء الكلية وعلى الاخص بالنظر الى تراكم اشغالهم في المستشفيات . وكان رأيهم ان من الاوفق للحكومة ان ترسل طلاب الطب للدراسة في الخارج وقد تكون تكاليف الطلاب اقل من تكاليف فتح الكلية الطبية .

على ان دائرة الصحة بقيت على رأيها بوجوب فتح الكلية الطبية مستندة الى ان الحاجة الى اطباء في المراكز الصغيرة والقرى كبيرة جداً لا يسدها العدد القليل من الاطباء الدارسين في الخارج . كما ان من يدرس في الخارج من الاطباء قلما يرضى بالتوظيف في المحلات النائية . وقد فتحت الكلية الطبية في تشرين الاول من سنة ١٩٢٧ وقبل فيها ٢٢ طالباً حازوا شهادة

(١) ظهرت في جريدة العالم العربي في كانون الاول من سنة ١٩٢٤ وكانون الثاني من سنة ١٩٢٥ عدد من المقالات تطعن في فكرة تأسيس كلية طبية في بغداد اثارت مناقشة حادة في البلاد اذ ذاك

الدكتوراه في الطب في حزيران سنة ١٩٣٢ بعد دراسة خمس سنوات .
وقدم تم القرار اخيراً بزيادة مدة الدراسة الى ست سنوات .

والحاجة ماسة الى ممرضات وقابلات مدربات فان البلاد كانت خالية
من الممرضات قبل تأسيس الادارة الصحية الحاضرة بعد الحرب ولذلك
اضطرت الادارة الى استخدام ممرضات بريطانيات . وتدعي دوائر الصحة
بأنها قد دربت ٢٥٠ ممرضة الى سنة ١٩٣١^(١) . على ان هذه الممرضات
لسن من مستوى راق ومعظمهن اميات ولا توجد في العراق اليوم ممرضة
عراقية تحمل شهادة تمرير عالية . ومن العوامل التي تعرقل سير تمرير
الممرضات هي ان سواد الشعب لا ينظر الى التمريض كمهنة محترمة تتمنها
بنات العائلات ، على ان هذه العقلية بدأت بالزوال وقد اسست حديثاً
مدرسة للتمرير .

والحالة من حيث القابلات أسوأ منها من حيث الممرضات فان التقاليد
الاجتماعية القاضية بتحجيب النساء وتمنع دعوة الاطباء للاشراف على
حوادث الولادة في النساء . ولما كانت البلاد تكاد تكون خالية من الطبيبات
أصبح الاعتماد في مثل هذه الحالة على القابلات . على ان القابلات في العراق
معظمهن اميات لا يعرفن طرق التعقيم واجتناب العدوى من كثرة الاوساخ ،
وقتيحة ذلك ان الامهات والاطفال معاً كثيراً ما يبتلون بأمراض معدية
يعزى أصلها الى الوسائط الوسخة التي تستعملها القابلات . وقد تؤدي هذه
الامراض اما الى الموت كالحمل النفاسية او الى حصول عاهات في الامهات
والاولاد او الى اعتلال الصحة اعتلالاً مزمناً . وقد دربت مديرية الصحة

(١) راجع التقرير البريطاني الخاص عن تقدم العراق ص ٦٩

عدداً من القابلات في مستشفيات الموصل و بغداد و البصرة تدريجياً عملياً و بأساس نظري ضعيف جداً . و بلغ عدد القابلات اللواتي حصلن على الشهادات حتى سنة ١٩٣١ ، ٦٩ قابلة . و قد سجلت في دائرة الصحة ٣٦٩ قابلة و اعطيت لهن اجازات لممارسة مهنتهن . و قد تدعى بعض القابلات بين حين و آخر لسماع المحاضرات او لمشاهدة عملية التوليد .

٤ - قلة التسهيلات الصحية

وهذالك مشكل آخر متصل بالمشكلين السابقين و مسبب عنهما الى حد بعيد وهو قلة التسهيلات و المؤسسات الطبية في البلاد ، فقد أشرنا فيما سبق الى ان بعض الجهات محرومة من الاطباء و هذا يصدق على الأخص على بعض من الجهات التي تقطنها العشائر . على ان التشكيلات الصحية مع هذا قد انتشرت اكثر من ذي قبل . و يقوم مديرو صحة الالوية بدورات في الانحاء التي في عهدهم و لكن الدورات الآن أقل مما كانت عليه في السابق . و كانت دائرة الصحة قد اصست مستوصفاً سياراً بعهدة طبيب سنة ١٩٢٢ و لكنه حذف اثناء الاقصاد في ميزانية الصحة الذي جري في السنة التالية مع انه كان من المفيد جداً للبلاد ان تضاعف امثال هذه المستوصفات مرات متعددة (١) .

(١) لم يكن الاقصاد السبب الوحيد في الفناء المستوصف السيار بل كانت ايضا حياة الطبيب صعبة و كثرة ثقله منهكة له ، و قد اكده احد كبار موظفي الصحة للمؤلف ان المستوصف السيار اتى بفوائد جمة . و لا شك انه كلما يكثر عدد هذه المستوصفات كلما تقل المسافات التي يقطعها للطبيب وهكذا تصبح حياته اقل صعوبة . زد على ذلك ان مثل هذه المستوصفات مفيدة جداً لمكافحة الاوبئة كالطاعون و الهبضة و الجدري حين تفشيها . و قد اسس مستوصف سيار جديد في لواء العمارة سنة ١٩٣٤

وليست المستشفيات في معظم المحلات كافية لسد الحاجة ، ففي بغداد مستشفى بـ ٢٥٠ سريراً ولكنه يستعمل لسبعة آلاف مريض في السنة ، ويأتيه المرضى ليس من بغداد فقط بل من الالوية المجاورة ايضاً . وقد يضطر رؤساء المستشفى الى رفض عدد من المرضى او الى اخراج بعض منهم قبل ان يمين اوان خروجهم لافساح المجال للمرضى الجدد . ومثل هذه الحالة توجد في الموصل ايضاً . وقد ابتدأت الحكومة باتخاذ التدابير للملافاة هذه الحالة . ومثل ما يقال عن قلة المستشفيات يقال عن قلة تجهيزاتها ايضاً . فمستشفيات الموصل و بغداد والبصرة فقط تملك آلات لأشعة رنتجن وهناك عدد من المستشفيات غير قليل ليس فيه مختبرات بكتريولوجية .

وينقص العراق ايضاً عدد من المستشفيات والمؤسسات لبعض الامراض الخاصة . فليس في العراق الآن مستشفى للمجانين ما عدا قسم من المستشفى الملكي خصص لمراقبة بعض المصابين بالامراض العصبية . ومع انه كان في العراق ٤٦٧ مريضاً مصابين بالبرص ومسجلين بدائرة الصحة سنة ١٩٢٩ إلا انه لم تخصص بقعة او مستعمرة خاصة لعزل المصابين بهذا المرض من العدوى . وليس في العراق ايضاً مصح للمصابين بالسل بالرغم من تفشي هذا المرض . وكان هنالك مستشفى للنساء وآخر للأمراض الزهرية واكهنما ادجما بالمستشفيات العامة . و ليس هنالك إلا مستشفيان يعرفان بمستشفى الاعتزال في البصرة و بغداد تعالج فيها جميع الامراض السارية على انواعها . ولا بد من القول هنا ان الامراض الزهرية والسل من اكثر الامراض انتشاراً في العراق .

٥ - المهاجر الصحية والحج ونقل الموتى

ان تاسيس المهاجر الصحية من اهم التدابير التي يجب ان تتخذها البلاد لحماية حدودها من الامراض السارية الآتية من الخارج . وتتضح اهمية المهاجر الصحية ليس فقط لان العراق متصل ببعض البلاد التي هي منبع اصلي لبعض الامراض السارية بل لان العراق هو بنفسه ايضاً منبع اصلي لقسم من هذه الامراض وقد تنتشر منه الى البلاد المجاورة . فمن الحقائق التاريخية المقررة مثلاً ان عدداً من اوبئة الطاعون التي انتابت العراق في السابق انتقلت اليه من ايران ^(١) . وقد جاءت اوبئة الهيمضة سنة ١٩٢٣ ، ١٩٢٧ ، ١٩٣١ ، من ايران فكلفت العراق اكثر من الف نسمة كل مرة . وحدث سنة ١٩٢٦ وباء بمرض التيفوس ارجع اصله الى ايران ايضاً ^(٢) . والطاعون والحصبة والجدرى والتيفويد هي من الامراض التي تأصلت في العراق والتي تفنك بالاهالي كل سنة . فالعراق اذن لا يحتاج للمحافظة على نفسه من الامراض الواردة من الخارج فقط بل يجب ان يمنع الامراض الاصلية فيه او الامراض المنتقلة اليه من بلاد اخرى والباقية فيه من الانتقال الى البلاد المجاورة كتركيا وسوريا وايران والى بعض مواني البحر المتوسط ^(٣) .

ولاشك ان ترقى الوسائط النقلية مما يسهل انتقال الامراض ويحتم على

(١) راجع Dr. F. Akrawi, Etudes Sur la Peste en Mesopotamie P.32, 35

(٢) راجع تقرير مفتش الصحة العام الانكليزي سنة ١٩٢٥ و ١٩٢٦ ص ١٠

(٣) راجع التقرير البريطاني عن ادارة العراق لسنة ١٩٣٢-١٩٢٤ ص ٨٤-٨٥

الحكومة تشديد التدابير لمنع هذا الانتقال . ففتح طريق بين بغداد والشام حول قسماً مهماً من المسافرين بين الشرق والغرب الى طريق العراق هذا عدا عن طريق الحجاج الى العراق براً او بحراً . وقد مر بالعراق سنة ١٩٢٩ اكثر من الف حاج الى مكة من ايران والهند وافغانستان وموانى الخليج وعاد بنفس الطريق من مكة ٤٣٩١ حاجاً معظمهم كانوا قد ذهبوا الى الحجاز بطرق اخرى . وقد اصبحت بغداد ايضاً مركزاً جويماً مهماً فهناك ما عدا الطائرات الحربية الانكليزية ثلاثة خطوط للطيران تمر ببغداد وتصل الهند واستراليا والهند الصينية وجزر الهند الشرقية بلندن وباريس وامستردام وسائر المدن الاوربية ، وقد يزداد عدد هذه الخطوط الجوية . وصفوة القول ان العراق قد اخذ يستعيد مركزه كطريق دولي بين الشرق والغرب مما يخلق مشاكل في الحجر الصحي لابد للحكومة العراقية من الاهتمام بها .

ولا يجب ان ننسى ايضاً الحج الى الاماكن المقدسة العراقية كالنجف وكر بلاء والكاظمين وسامراء . ومن المشاكل الخاصة بالعراق نقل جثث الموتى من ايران او من انحاء العراق المختلفة لتدفن في الاماكن المقدسة وقد بلغ عدد هذه الجثث ١٦٣٠٢ سنة ١٩٢٥ و ٢١٤٣٤ سنة ١٩٢٦ منها ٤١٢٤ جثة اجنبية للسنة الاولى و ٥١٠٤ جثة اجنبية للسنة الثانية . وقد تصبح هذه الجثث بالطبع سبباً لانتشار بعض الامراض وعلى الاخص اذا كانت جديدة لاتزال في طور الانحلال فانها تكون اذذاك اكثر خطراً من

الجثث القديمة حيث يكون الانحلال فيها قد كمل^(١). وقد سنت الحكومة قانوناً لتنظيم نقل الجثث سنة ١٩٢٤ ولا يسمح لدفن اية جثة كانت دون رخصة من الموظف الصحي المسؤول.

وفي العراق ثلاثة محاجر في ميناء البصرة وفي خانقين وفي الرمادي . ولا شك ان الحاجة الى المحاجر ستزداد على الحدود العراقية التركية والعراقية السورية والعراقية الايرانية في الشمال ومع ذلك فستبقى الحدود الطويلة بين العراق وايران صعبة الضبط من الوجهة الصحية وذلك لتنقل القبائل واجتيازهم الحدود في نقاط متعددة في كل سنة .

٦ - الجهل والحرافات

سنتكلم مراراً في هذا الفصل عن جهل السواد الاعظم من الشعب للطرق التي تنتقل فيها الامراض وعدم فهمه لمعنى العدوى الحقيقي وسيتضح ذلك للقاريء من العادات القبيحة وغير الصحية الكثيرة التي سنذكرها فيما بعد . ومن عادات الناس ان يعزوا انتياب الامراض لهم لارادة الله ولعقابه اياهم على خطاياهم . وكثيرون منهم يرجعون الامراض الى الارواح الخبيثة والجان ولذلك اذا ما ارادوا الاستشفاء فهم في كثير من الاحيان لا يذهبون الى الطبيب اولا بل الى الشيوخ او المزارات والكنائس او الى الذين يدعون القدرة على استخراج الارواح . ومع ان هذه الامور اخذت

(١) راجع تقرير مدير صحة العاصمة

City of Baghdad, Annual Report of the Health Department for the year 1920, By T. B. Heggs P. 41.

تزول بالتدريج إلا انها لا تزال شائعة شيوعاً كبيراً في المدن والارياف معاً . ومن منافسي الاطباء ايضاً الذين يسبقونهم او يخلفونهم في عيادة المرضى الدجالون المدعون للطبابة والعارفون بالطب العربي القديم والعارفة عند العشائر . ومن المؤسف ان نضطر الى ذكر بعض القابلات والمضمدين الذين يتجاوزون حدود واجباتهم فيتعاطون الطبابة على البسطاء .

وقد يسوق الجهل بعض المرضى الى اهمال مرضهم رداً من الزمن قبل دعوة الطبيب وهكذا نرى الاطباء في كثير من الاحيان لا يدعون إلا بعد اشتداد المرض وقد لا يتمكنون حينئذ من شفاء المريض واجتناب وفاته . ومن العادات السيئة الشائعة كثرة تبديل الاطباء وكثرة سماع الوصفات من الجيران والعجائز وغيرهم كل ينصح المريض استناداً الى اختباره السابق . وفي مثل هذه الحالة يكون المجال واسعاً للسامرة الذين يستخدمهم بعض الاطباء ليشوا لهم الدعايات بين البسطاء ، فترى هؤلاء يمدحون الطبيب الواحد وينسبون اليه اعمالاً في الشفاء فائقة ويذمون الآخرين . وقد يدعو البعض الطبيب ولكنه لا ينهي المداواة عنده فان كثيرين من المرضى يبطلون تداويمهم حالما يبدأ مرضهم بالتحسن وهكذا يعرضون انفسهم الى الانتكاس فيصبح التداوي في مثل هذه الاحوال مخففاً للمرض لا شافياً له . ولا بد للقاري ان يقدر سوء عاقبة هذا الامر واهميته الكبيرة اذا ما عرف ان عدداً غير قليل من الامراض المهمة المنتشرة في العراق مثل الملاريا والبلهارزيا والزحار والسل والسفلس والتراخوما وغيرها تحتاج لشفائها الى مداواة طويلة .

وسنعود الى موضوع الخرافات حين البحث عن المشاكل الاجتماعية في الفصل التالي . ونكتفي هنا بالاشارة الى ان الخرافات اكثر ما تروج بين النساء . وفي البيوت التي يكون الرجال فيها متعلمين وذوي افكار حديثة والنساء جاهلات فان كثيراً من مجهودات الرجال في اصلاح الحياة البيئية تذهب سدى لجهل النساء كيفية تطبيقها او لمقاومة النساء لها مقاومة عنيفة^(١) . ويلعب الاستسلام ايضاً دوره في اهمال الامراض .

٧- العادات القبيحة غير الصحية

ينشأ في العراق اليوم جيل جديد من الشبان والشابات ممن دخلوا المدارس فتعلموا فيها شيئاً من النظافة وتقدير الحياة الصحية وعدد هؤلاء يزداد يوماً بعد يوم . ومع ان الكثيرين منهم قد لا يعرفون اتباع الشروط الصحية بحيث تصبح النظافة فيهم ملكة متأصلة إلا انهم يتعلمون على الاقل ان يظهروا بمظهر النظافة والترتيب .

على ان عدد هؤلاء لا يزال قليلاً بالنسبة لسواد الشعب ولا يزال معظم الشبان ينشأون اميين . وليس في امكاننا ان نقول انهم هم والجيل القديم قد تعلموا درس النظافة بعد . ان كثيراً ممن يتخرجون من المدارس يرفعون المستوى الصحي في عائلاتهم . ولكن الكثير منهم ايضاً في بيوت ملائى بالخرافات والعادات القبيحة وقد تؤثر هذه عليهم اقترابهم بعد حين قد نسوا

(١) تجد بحثاً جيداً عن الخرافات عند النساء في :

E. S. Stevens, By Tigris and Euphrates,

وذلك في الفصل الخاص بالنساء ص ٢٨٧-٢٩٩ ، وكذلك في ٢٦٦-٢٦٥

ما تعلموه بالمدارس ونزلوا الى مستوى المحيط الذي يعيشون فيه .
ومن الطبيعي ان تأخذ هذه العادات القبيحة ضحاياها من الارواح
البشرية وعلى الاخص بين الاطفال . وما من مشاهد للاطفال في الشوارع وهم
حفاة وايديهم ووجوههم وثيابهم وسخة الى اقصى حد وعيونهم وسخة ومريضة
وانوفهم جارية والذباب يغشي وجوههم إلا ويفهم سبب عدد الوفيات الهائل
بين الاطفال . ونجد عند معظم الاطفال في العراق الديدان المعوية وذلك نتيجة
البيئة الوسخة التي يعيشون فيها والعادات القبيحة التي يتعلمونها وهم في سن
الرضاعة . والعللة الاساسية في كل ذلك هو جهل اهمية النظافة والدور الذي
تلعبه الاوساخ في نقل الامراض ومعنى العدوى ووجود الجراثيم المرضية .

ان اختصاص المؤلف في الامور التربوية يحمله على الاعتقاد ان مجرد
تعليم القواعد الصحية وضرورة النظافة بصورة عامة لا يكفي بل يجب ان
تكفح المدارس العادات القبيحة المنتشرة بين السكان واحدة واحدة
واستبدالها بالعادات الصحية وهذا ما حمله على جمع جدول بمدد كبير من
العادات القبيحة غير الصحية المنتشرة في العراق . ولعل بذكرها هنا بعض
الفائدة لا للمربين فقط بل لجمهور القراء ايضاً :

- ١ — وضع الاصابع في الفم او الانف او العينين او الاذنين .
- ٢ — قضم الاظافر بالفم .
- ٣ — عدم غسل الايدي والوجه دائماً .
- ٤ — عدد الاستحمام بانتظام وقد تمر اشهر على بعض الناس بدون استحمام .
- ٥ — ابقاء الارجل وسخة وعفنة .

- ٦ — ابقاء الالبسة الوسخة على الجسم مدة طويلة . ومن الناس من لا يملك اكثر من بدلة واحدة او ثوب واحد فيبقى يلبسه دون ان يغسله اطول مدة ممكنة .
- ٧ — وجود القمل والبراغيث في الثياب بنتيجة وسخ الجسم ووسخ الثياب .
- ٨ — عدم غليان الثياب حين غسلها فتنقى بيضات القمل حية في الثياب .
- ٩ — عدم تنظيف الفم وعدم تقدير اهمية ابقاء الفم نظيفاً ولذلك تتضرر الاسنان ويكثر مرض تقيح اللثة (البيوزيا) .
- ١٠ — البصق والمخاط على الارض ايما كان حتى في البيت والغرف .
- ١١ — رمي الاوراق والقشور واقعب السيكرات وما اشبه ذلك على الارض .
- ١٢ — رمي الماء النظيف او القندر على الارض . وهذا يحدث عادة بعد الشرب اذا تبقي فضلة من الماء في القدح وكذلك ترش الارض في الصيف لترطيب الجو وتبريد المحل . على ان هذه العادة قد تؤدي الى توسيخ ارض البيت اما من تجمع التراب من الهواء او من الاساخ التي تعلق في الاحذية فيحلبها الماء المرشوش .
- ١٣ — عدم تنظيف البيوت بانتظام بحيث تراكم الاوساخ فيها .
- ١٤ — الكنس بالمكانس مما يثير غباراً كثيراً يدخل في رئتي الحاضرين .
- ١٥ — رمي اوساخ البيت في الشارع بدلا من انتظار مأموري البلدية .
- ١٦ — التبول والتغوط في الشوارع وسطوح البيوت ووراء الحيطان وسواحل الانهر والاقنية . وهذه عادة شائعة في كل البلاد . وترى كثيراً من البيوت لا مراحيض فيها . فقد وجدت بلدية الموصل مثلاً ان في

تلك البلدة نحو ٦٠٠ دار لا مراحيض فيها . ولا تنفرد الموصل بهذه الحالة فهي شائعة في معظم المدن والقرى العراقية . ومن القرى الصغيرة من لا تملك ولو مرحاضاً واحداً .

١٧— اعاشة الحيوانات من حمير وبقر وغير ذلك في نفس البيت لا بل في الغرفة التي تعيش العائلة فيها دون تنظيف المحلات التي تعيش هذه الحيوانات فيها .

(ان العادات ١١ الى ١٧ من اعظم مكثرات الذباب في العراق) .

١٨— المشي حافياً .

١٩— الجلوس او النوم على الارض .

٢٠— عدم لباس الاطفال البسة كافية وعلى الخصوص لحماية اعضائهم التناسلية من الاوساخ .

٢١— اهمال الاطفال والسماح لهم بالجلوس بين الاوساخ والالعاب فيها مما يوسخ ثيابهم ووجوههم وايديهم واجسامهم وهو من اهم مصادر امراض الجلدية وامراض العيون والديدان في الامعاء التي قلما يخلو منها طفل في العراق .

٢٢— العادة السرية وهذه تتأصل في الاطفال عادة قبل سن البلوغ بكثير بنتيجة الاوساخ وعدم انتظام عادات التفرغ ولوجود الديدان المعوية .

٢٣— شرب مياه غير معقمة من الانهر والاقنية والمستنقعات والآبار .

٢٤— غسل الثياب الوسخة على سواحل الانهر .

٢٥— اكل الخضرات والفواكه الوسخة او النية

- ٢٦- استعمال المعالق والشوكات والسكاكين واقذاح الشرب التي يستعملها الآخرون دون غسلها .
- ٢٧- شرب القهوة والشاي والماء في القهاوى في فناجين واقذاح يشرب منها الجميع .
- ٢٨- استعمال مناشف مشتركة في البيوت .
- ٢٩- الاكل بالايدي بدون غسلها .
- ٣٠- الاكل من صحن مشترك .
- ٣١- عدم انتظام عادات الطعام واوقاته : الاكل كل وقت وعلى الخصوص عادة ترضيع الاولاد كلما بكوا . وتسمح جميع الامهات لاولادهن بعد الفطام بالاكل متى شاؤا فيفتج من ذلك الاسهال وغيره من امراض الاطفال الهضمية . وتجد البطن المنتفخة عند معظم الاطفال بين سن الثالثة والخامسة . وتطعم معظم الامهات اولادهن اكلا لا يصلح الا للكبار وهذا يضر بصحتهم ضرراً بليغاً .
- ٣٢- اكل حبوب البطيخ والرقى والجوز والفسق واللوز الخ . في اي وقت كان وبكثرة وهذه كلها تقريباً عسرة الهضم .
- ٣٣- استعمال العلاجات الوسخة كالرماد للجروح والبول للعيون وما اشبهه .
- ٣٤- عدم فصل المريض عن بقية المرضى .
- ٣٥- عدم غسل اواني الاكل جيداً واعتبار مجرد تنظيفها بالماء كافياً .
- ٣٦- اهمال دعوة الطبيب للمريض او كثرة تبديل الطبيب للمريض الواحد .

٣٧- عدم تسبيح الاطفال قبل مرور اربعين يوماً على ولادتهم وأهمال تسبيح الاطفال عامة .

٣٨- السبح في الماء الزاكد والمستنقعات وهذا مما يسبب عدداً من الامراض اهمها البلهارزيا .

٣٩- التعجم .

٤٠- مسح الايدي الوسخة او المدهنة او الفم او الوجه بالثياب او بالاردان .

٤١- جمع افرازات البقر والحيوانات بالايدي من الشوارع .

٤٢- كثرة تقميل الاطفال .

٤٣- التدخين .

٤٤- السكر .

٤٥- استعمال امواس مشتركة وعدم تعقيمها من قبل الخلاقين .

٤٦- عدم تغطية الاكل او الفواكه والخضروات والسكريات ان كان في البيت وان كان في الدكاكين بحيث يتجمع عليها التراب او الذباب الخ .

٤٧- اطعام الطفل اكلًا تمضغه الام بفمها .

٤٨- تنظيف الآذان بالعيدان .

٤٩- مسح الفناجين كلها بمنديل واحد في القهاوي الى ان يصبح المنديل وسخاً جداً .

٥٠- تكسير الجوز والبندق وما اشبه بالاسنان .

٥١- استعمال المخدرات .

٥٢- عدم تنظيف المراحيض وحفظها بحالة وسخة جداً بحيث تصبح مصدراً للروائح النتنة ومجماً للذباب وعلى الاخص اذا كانت عديمة الابواب .

٥٣- لبس ثياب الآخريين .

٥٤- تغطية الرأس حين النوم وعلى الخصوص في الشتاء .

٥٥- استعمال الحفافات التي تتوسخ بسرعة ولا يمكن غسلها بسهولة وبسرعة فيتغطى الناس فيها مدة طويلة وهي وسخة .

٥٦- عدم تقليم الاظافر بانتظام .

٥٧- تقيط الاطفال .

٥٨- عدم التطعيم اما ضد الجدري او في اوقات الاوبئة .

٥٩- فصد الدم كعلاج للكبار والصغار وكذلك التشريط .

٦٠- التقاط بعض الماء كولات بعد سقوطها على الارض وتوسخها ثم اكلها .

٦١- الاشتغال في المطبخ وطبخ الطعام دون غسل الايدي .

٦٢- تحبئة الامراض السارية عن موظفي الصحة .

٦٣- عدم تنظيم حياة الاطفال من حيث اوقات الطعام والنوم والتفريغ

وغير ذلك . فمن الصعب افهام حتى الامهات المهذبات ان هذه قابلة للتنظيم .

٨- تنظيف الشوارع ونقل الاوساخ

يمكننا ان ندقق مشكلة تنظيف الشوارع ونقل الاوساخ والزباله من

البيوت بدرس الاحوال في المدن الكبرى مع ان المدن الصغيرة والقرى

بحاجة الى عناية لا تقل عن العناية في المدن الكبرى من حيث تنظيفها . ان البيئة الوسخة وغير الصحية من اعظم مسببات الامراض التي تنفث في السكان وعلى الاخص في الاطفال الذين لا ينفكون عن اللعب في الشوارع . والاساخ هي المصدر الاهم للذباب الذي يكثر وجوده في العراق ويكاد يكون صفة ملازمة للبيئة العراقية في المدن والارياف . وهذا ايضاً يعود الى جهل السواد الاعظم من الناس وعدم تقديرهم للنظافة والحيط النظيف . وسنتكلم هنا عن بغداد متخذين اياها مثلاً للبحث عن هذا الموضوع .

لقد اسست في بغداد بعد الحرب مديرية للصحة متصلة ببلديتها وكانت في هذه المديرية شعبة لتنظيف الشوارع ونقل الاساخ من المدينة وعين لهذه الشعبة عدد من المفتشين الصحيين والمعاونين والكناسين وسائقي عربات النقل وغيرهم . ووزعت في جميع ضواحي المدينة مئآت من الصناديق لترمي فيها الاساخ قبل ان يجمعها موظفو البلدية . ومثل هذا الترتيب جرى في مدينتي الموصل وبغداد وغيرها من المدن ، وتحسنت بذلك حالة المدن وتحسن منظرها وبذلت مساعي كبيرة لحفظ نظافة المدن . على ان هذه المساعي جابهت صعوبات جمة سنائي على ذكر بعضها هنا .

لقد ظهر بالاختبار ان فكرة توزيع الصناديق لحفظ الاساخ لم تكن عملية فان عدداً غير قليل من الناس كانوا يرمون اساخ بيوتهم في الشوارع بدلا من الصناديق وعند ابواب بيوت غيرهم عادة . واكثر ما يحدث ذلك بعد جمع الكناسين للزباله في الصباح ولذلك كانت تبقى الاساخ في الشوارع الي اليوم الثاني فتنتن وعلى الاخص في مدة الصيف . كما ان كثيراً من الناس كانوا رغم وجود صناديق الاساخ قريباً منهم يرمون الاساخ

خارجها . وهنالك بعض من الفقراء ممن يبحثون في الزبالة مفشيين عن قشور او حبوب او غير ذلك . وتنبت الكلاب التائمة في الشوارع بقية الاوساخ فلا تمضي مدة إلا ويكون جانب كبير من الزبالة التي في الصندوق منتشرة في الشارع حتى اضطر بعض السكان ان يطلبوا رفع صناديق الزبالة من قرب بيوتهم^(١) . وما يقال عن بغداد ينطبق ايضاً على المدن الاخرى .

واستعملت العجلات لنقل الاوساخ الى خارج المدينة . على ان بغداد وغيرها من المدن العراقية تكثُر فيها الطُرق الضيقة فاضطرت البلدية الى العودة لاستعمال الحير والبغال . وتستعمل الزبالة لاملأ الخنادق والحفر الناتجة عن انشاء السداد وهكذا ملئت عدد من الحفر التي كانت المياه تتجمع فيها وتتعضن وحولت اخيراً الى حدائق عامة او استعملت للبناء . وقد يباع الزبل احياناً كسماد للبساتين .

والشوارع في العراق ليست على العموم مرضية . واذا استثنينا بعض الشوارع الحديثة العريضة التي فتحت في المدن اثناء الحرب العامة او بعدها نجد ان معظم الشوارع هي طرق ضيقة (درايين) لا يزيد معدل عرضها على العشرة اقدام او الاثني عشر قدماً . وقد بلط عدد كبير من هذه الطرق الضيقة في بغداد والموصل والبصرة الا انه لا تزال البقية الباقية من الشوارع في هذه المدن ومعظم الشوارع في المدن الاخرى والقرى دون تبليط وهي مصدر للتراب والغبار والوحل في الشتاء . ويتجمع ماء المطر في بالوعات محفورة في وسط الطريق وقد تمتليء هذه البالوعات في المياه او تنسد افواها فتكون

(١) راجع تقرير مديرية صحة مدينة بغداد سنة ١٩٢٢ ص ٥٧ (بالانكليزية)

بركا في وسط الشارع قد تسد الطريق في بعض الاحيان فتجعل المرور فيه صعباً . ولا يمكن ان تظهر هذه الطرق مظهر النظافة مهما بلغت العناية بها اما اذا اهملت فلا تمضي مدة قصيرة حتى تصبح وسخة الى اقصى حد .

ومن اعظم مصادر الاوساخ العادة المتأصلة عند عدد كبير من السكان وهي عادة التبول والتغوط في الشوارع وعلى شواطئ الانهر وهذه عادة منتشرة في كل انحاء العراق والتغلب عليها من اصعب الامور . واليك مقاله مدير صحة خاتين سنة ١٩٢٠ عن هذا الامر : « لقد بنينا عدداً من المراحيض في البلدة ولكن الاهالي بالرغم من ذلك لا يزالون يتبعون عاداتهم القديمة اعني التبول في الشوارع والتغوط على سواحل الانهر وهكذا سوف لا يمكننا مكافحة الاوبئة التي قد تنفشى في البلدة كالهيفة وغيرها . ومحاربة هذه العادة من اصعب الامور رغم العقوبات الكثيرة التي تنزل بالفاعلين ولا يمكن التغلب عليها نهائياً الا عن طريق تهذيب الشعب (١) » .

ومن مصادر الاوساخ المهمة ايضاً اسطبلات البقر الموجودة في المدن والقرى مختلطة بالبيوت . وقد لا تعيش الحيوانات الداجنة كالخمر والخليل والبقرة في اسطبلات خاصة بل في نفس البيوت التي يسكنها الناس . ولكن سواء احفظت الحيوانات في الاسطبلات او في البيوت فالعناية بها سيئة فان روث الحيوانات يحفظ تحتها ولا ترفع وذلك ليكون فراشاً لها بدلا من القش وهكذا يصبح محل الحيوانات وسخاً جداً ومصدراً مهماً للذباب .

(١) راجع تقرير الدكتور دو (DOW) في التقرير السنوي لمديرية الصحة سنة ١٩٢٠ ص ٤٨

ولا توجد في العراق كله مجاري لتصريف المياه الوسخة فان مياه البيوت تنسرب الى بالوعات تكون في وسط البيت او في الشارع خارج البيت . وكذلك تفرغ المراحيض في خزان يكون عادة داخل البيت او في خارجه وهكذا تصبح رائحة كثير من البيوت نتنة وبخاصة وقت المطر في الشتاء وفي امنية الصيف . وعمل المجاري للمياه العفنة في المدن يكلف مبالغ طائلة بالنظر لطبيعة الارض المنبسطة وفققر البلديات . وقد بدأ الناس باستعمال احواض التعفن المعقمة في البيوت المبنية على الطراز الحديث .

٩ - المساكن

ان نوع البيوت التي يعيش فيها العراقيون يتوقف على نوع المحل الذي يسكنون فيه وطرز المعيشة التي يعيشونها . وفي امكاننا ان نميز اربعة انواع من المساكن وهي : البيوت والاكواخ وبيوت القصب والخيم .

(أ) البيوت في المرد :

ان النوع السائد من البيوت في بغداد والبصرة والموصل وفي المدن يتألف من حوش مركزي تحيط فيه غرف تفتح ابوابها وشبابيكها على الحوش وتبنى هذه البيوت في الشمال من الحجارة والصخور والجص . ويستعمل الرخام الازرق في الموصل . اما في الجنوب فلا حجارة هناك ولا رخام بل تبنى البيوت بالآجر ما خلا بعض البيوت التي تبنى باللبن وكثيراً ما تبنى البيوت في المدن من طابقين فيكون للطابق الثاني فيها رواق يكون كمشى يؤدي الى الغرف . والطابق الاول في بغداد هو على الاغلب سرداب يكون اوطأ من

الحوش ويستعمل للسكنى في الصيف لانه ابرد محل في البيت . فاذا ماجاء الشتاء انتقلت العائلة الى الطابق الثانى . وهذا هو الطرز المتعارف للبيوت في المدن الكبرى .

وتختلف البيوت بالطبع من حيث سعتها ومواد بنائها وتوفر وسائل الراحة فيها حسب اقتدار اصحابها المالي فبيوت المترفهين من الفلاحين والمثاجرين في القرى تتبع عادة نفس الطراز الشائع في المدن الكبرى الا انها عادة ذات طابق واحد ومبنية من اللبن وقد نجد في المدن الصغيرة والارياف بيوتاً من الآجر تعود الى احد الملاكين او الشيوخ او احد المتنفذين . والبيوت في العراق ملاصقة بعضها لبعض والطرق بينها ضيقة ومتعوجة والنوافذ تفتح عادة على الاحواش وقد تكون للبيوت نوافذ على الطرق او لا تكون وهكذا فان طرز البيوت يكون مطابقاً للتقاليد الاجتماعية السائدة في البلاد من حيث تجبج النساء . على ان ترتيب هذه البيوت ونوع بنائها امر معرض للنقد الشديد فهي في الصيف تدخلها الشمس المحرقة وحرارة الجو والغبار وفوق كل ذلك الذباب . ويدخلها المطر في الشتاء وهي باردة لانها مفتوحة فلا يمكن للانسان في الشتاء ان يفتقل من غرفة الى اخرى إلا بخروجه الى الهواء البارد وتعريض نفسه للبرد والركام . اصف الى ذلك ان باب المرحاض يفتح على حوش البيت . ولا يمكن ان يعتبر بيت مثل هذا صحيحاً وعلى الاخص اذا كان من بيوت الفقراء ذا حوش صغير وغير مبسط ومشيد بمواد غير جيدة . ولا توجد في البيوت عادة حمامات خصوصية إذ ان معظم الناس قد تعودوا الذهاب الى الحمامات العامة .

وتوجد بيوت واحياء الفقراء الحقيمة في كثير من المدن وتكون عادة صغيرة ومعتمة ووسخة ومكتظة بالسكان . ومن هذه الاحياء الحي المعروف بالجوبة في الموصل وبالتقرب من باب الشيخ وفي سطر الرصافة والكرخ في بغداد . والمحلة الواقعة بين العشار والبصرة وبعض المحلات في وسط النجف والاكوخ الحقيمة المبنية على السور في تلك المدينة . وتوجد مثل هذه الاحوال ايضاً في عدد من المدن كالكاظمة والعمارة وكر بلاء وار بيل .

وقد اخذ التحسن يبدو في بناء البيوت منذ الحرب فادخل استعمال الدعامات الحديدية (الشلمان) في البناء مما يعطي للابنية متانة وقوة . وكثير من الموظفين والمهندسين يبنون بيوتهم الآن على الطرز الغربي . ودخل استعمال السمنت وعلى الاخص لوضع اساسات البيوت وهذا امر هام جداً في مدينة كغداد قد تأصل فيها مرض الطاعون فان البيوت القديمة بأساساتها الضعيفة وسقوفها الخشبية ملجأ حسن للجرذان التي هي واسطة نقل الطاعون . وقد وجدت مديرية صحة بغداد ان ازدياد عدد الجرذان الموبوءة يعقبها ازدياد في حوادث الطاعون البشري ^(١) . ولذلك فهي تقترح ان تبني البيوت بأساسات قوية من السمنت وسقوف من الحديد والآجر حتى لا تصبح مأوى للجرذان ^(٢) .

(١) راجع تقرير مديرية صحة بغداد لسنة ١٩٢٢ ص ٢٠

(٢) راجع تقرير المديرية نفحاً لسنة ١٩٢٠ ص ٢٣

(ب) الكواخ:

والنوع الثاني من المساكن هو الكوخ الذي يبنيه الفلاحون عادة من الطين، وهو عبارة عن غرفة مستطيلة متوازية الاضلاع مسقفة بسقف من القش والطين. وقد يكون الكوخ في الشتاء مبنياً بالحجارة بلا جص بدلا من الطين. وتكون في حيطان الكوخ بعض الكوات الصغيرة للتهوئة. وتسكن في الكوخ العائلة بأجمعها وقد تسكن معها المواشي^(١). وقد تبنى في وسط الكوخ منصة عالية تنام عليها العائلة. وتوقد النار في الشتاء لتدفئته ويقفل الباب فيمطيء الكوخ بالدخان الذي لا منفذ له الا الكوات الصغيرة والسقف. ولذلك ترى الاكواخ مسودة من كثرة الدخان. وهناك بيوت من الطين اوسع من هذه الاكواخ، وهي توجد في القرى الكبرى وتكون مؤلفة من حوش فيه غرفتان او اكثر. وتكون في مثل هذه البيوت محلات خاصة للحيوانات. واحواش مثل هذه البيوت كثيرة الوسخ لقلة عناية الاهالي بمواشيهم وبنظافة بيوتهم.

(ج) الصرائف وبيوت القصب:

ونجدها عند الممدان في الاهوار وعند العشائر العربية نصف المتحضرة في اواسط العراق وجنوبه^(٢) ويمكن نقلها من محل الى آخر. اما بيوت

(١) تجد وصفاً للكوخ الكردي في كتاب: Hay, W.R., Two years in Kurdistan, PP. 45-49.

(٢) راجع وصف الصرائف وبيوت القصب في كتاب: E.S, Stevans. By Tigris and Euphrates, P. 250-260.

وكتاب: "Fulanain," Hajji Rikkan, Marsh Arab, P. 8-9.

القصب فهي مقببة تقف على حزم من القصب تشكل اقواساً وهذه الاقواس تكون بمثابة الهيكل العظمي وتستند عليها الحصران ، ويفتح باب البيت من احد رأسيه . واما الصريفة فلها اربعة جدران من القصب وسقف يشكل زاوية في اعلاه . وقد يكون كل من بيت القصب او الصريفة كبيراً جداً او صغيراً وتفرش قاع البيت بالحصران او السجاد الرخيص .

وقد تشاد بيوت القصب والصرائف في الاهوار فوق الماء على دعائم من الخشب تدق فوق قاع المهور فيكون اسفل هذه الاكواخ من القصب وقد لا يبعد عن سطح الماء اكثر من بضعة عقد فاذا ما ارتفع ماء المستنقع اضيفت حصران جديدة على ارض البيت . وكوخ القصب مثل كوخ الطين قد تسكن فيه العائلة ومواسمها .

(د) الخيم :

لا حاجة لوصف الخيم العربية فهي معروفة مستطيلة في شكلها ، الصغيرة منها ذات ثلاثة عواميد عادة ، الوسطي منها طويل والاثنان الآخران قصيران . وليس للخيمة العربية جدران بل تبقى اطرافها مفتوحة الا اذا استعملت حصران القصب وغيرها لسدها . وقد تكون الخيم العربية عظيمة تمتد الى العشرين او الثلاثين متراً .

ان الاكواخ وبيوت القصب والصرائف والخيم تبقى عادة وسخة جداً هي والارض المحيطة بها ولذلك فنسبة وفاة الاطفال كبيرة جداً فلا يعيش الا الطفل الذي يقوى على مقاومة الامراض . على ان الخيمة هي عادة انظف من اكواخ الطين او القصب لان العشائر التي تسكن في الخيم تقتلعها

حالما تتوسخ الارض التي نزلت فيها العشيرة وتنصبها في محل جديد نظيف .
وليس في هذه الانواع الثلاثة من البيوت مرحاض عادة .

١٠ - مياه الشرب

لكل من بغداد والموصل والبصرة والنجف والناصرية والرازي
واربيل وكر كوك وسامراء والسليمانية وكو يسنجق والعمارة وراوندوز وحلبجة
ومندلي والقورنة وكر بلاء والهندية نظام لاسالة مياه الشرب بالانابيب اليها .
و بغداد هي البلدة الوحيدة التي كان فيها نظام لاسالة الماء قبل الحرب ولكنه
بدل تبديلا كاملا في العشر سنوات الاخيرة . وهناك خطط لاسالة الماء الى
عدد من المدن الاخرى . ولا يزال عدد من المدن المهمة في العراق بلا
مشاريع للماء . اما بقية العراق فانه يعتمد على المصادر الآتية لمياه الشرب :

(أ) الانهر والترع والمستنقعات :

وهي المصدر الرئيسي لمياه الشرب في العراق . فن المشاهد المعتادة ان
ترى حملة المياه او النساء على شواطئ الانهر يملأون القرب والجرار فيأخذ
الاول الماء ليبيعه وتأخذه الثانية الى بيتها . ولا يرى الناس بأساً في شرب
مياه الانهر والترع ولو كانت معكرة بالطين او وسخة . وتجد الناس حتى
في المدن التي فيها مشاريع لاسالة الماء يأخذون الماء من النهر رأساً . ونهرا
دجلة والفرات يحملان عادة كميات كبيرة من المواد العضوية وعلى الاخص
وقت الفيضان . على ان المياه اكثر ما تكون موبوءة في فصلي الصيف
والخريف اذ تنزل المياه ويصبح سير النهر بطيئاً فيسبب شرب الماء بعض
الامراض المعدية كالزحار والتيفوئيد وغيرها . كما ان معظم الاهوار الجنوبية
ملاى بطفيلي البلهارزيا .

(ب) الآبار :

وتوجد هذه في المدن والقرى البعيدة عن الأنهر عادة و بين العشار الرحلة وقد توجد الآبار أيضاً في المدن القريبة من الأنهر . وقد تكون البئر في كثير من المدن والقرى قريبة من بالوعة البيت وهكذا تتسرب مياه البالوعة العفنة الى البئر . كما ان الارض في الآبار المكشوفة قد تكون وسخة فتتسرب منها الاوساخ الى البئر . والآبار عند العشار يكثر حوالها روث الجمال والاغنام وغيرها فاذا ما صب الماء على سطح الارض المحيطة بالبئر يجري اليها من جديد حاملا الاوساخ . وتظهر نتائج ذلك بتغير لون الماء عادة . اما فكرة جعل جدران الآبار او اغطيتها من السمنت فهي تكاد تكون غير معروفة عند الاهالي .

(ج) البنايع :

وتوجد عادة في الجبال وماؤها احسن ماء طبيعي موجود في العراق . ويشرب الماء عادة بعد حفظه في الجرار والوانى النحاسية او الخزفية و بذلك ترسب معظم المواد العضوية المعلقة فيه . والطريقة الشائعة في كل البلاد تقريباً وعلى الاخص في المدن هي حفظ الماء في الجبوب فيترشح منها الى جبوب صغرى تحتمها فيصبح صافياً الا انه لم يسلم من الجراثيم . ويمكننا ان نستنتج من كل هذا ان معظم سكان العراق ما خلا سكان الاماكن الجبلية والمدن التي فيها مشاريع اسالة المياه المعقمة^(١) يشربون

(١) ليست في كل مشاريع المياه في المدن وسائط لتعقيم الماء بصورة منتظمة بل هنالك كثير من المدن قد اكتفت بسحب المياه اليها دون تعقيمها .

مياهاً غير معقمة وقد تكون في كثير من الاحيان غير صحية ومصدراً خطراً
للامراض . والامر المهم في هذه القضية هو توليد شعور باهمية المياه الصافية
المعقمة واطار المياه غير المصفاة والمملوءة بالجراثيم ، وهذا الشعور مفقود
الآن لجهل العامة وعدم فهمهم لطرق انتشار الامراض عن طريق العدوى .

١١ - المأكولات

لعل خير ما نبدأ به في البحث عن هذا الموضوع هو ان نصف لكل
نوع من انواع المعيشة في العراق اكلة تكون اقرب نموذج للطعام
الشائع فيه .

ان الطعام الشائع بين البدوي يتألف من الخبز الفطير عادة يصحبه شيء
من التمر المستورد من المدن والارياف مع شيء من الحليب او اللبن . ويستعمل
السمن مع الخبز في كثير من الاحيان . اما اللحوم والخضروات فهي قليلة
الاستعمال عند البدو الا في احوال خاصة كايام الاعياد او حين زيارة ضيف
كبير للعشيرة اذ تذبج الغنم او الجمال فتطبخ بكاملها بالسمن وتطبخ معها
قدور كبيرة من الرز . على ان مثل هذه الفرص قد لاتأتي اكثر من ثلاث
او اربع مرات في السنة ينتهزها الاعراب فيقصدون بيت الشيخ ليطلعوا
من الجوزر المعد في تلك الاوقات . وطعام البدو قليل عادة وبسيط وهو صحي
في نفس الوقت .

اما طعام الفلاحين المعتاد وخاصة الفقراء منهم فهو قريب من طعام البدو
الا انه يضاف اليه عادة الرز وعليه الاعتماد في الطعام . وقد تضاف اليه
الخضروات ايضاً اذا كان الفلاح يزرعها في ارضه . واستعمال اللحم عند

الفلاحين قليل ايضاً . ومن عادة الفلاحين ان يأكلوا اكلة بسيطة في الصباح من الخبز واللبن او الحليب وقد يضاف اليها التمر او الخبز او الخيار او احدى الخضروات المناسبة اذا كانت موجودة في ذلك الفصل . ويبقى الفلاح عادة طيلة النهار دون ان يأكل اكلة اخرى الى المساء وهم كما يكتب في الفلاحون باكتين في اليوم الواحد . وكان معظم الفلاحين في السابق يأكلون الخبز المعمول من طحين الذرة او الشعير على ان خبز الخنطة اخذ يشيع بالتدريج بعد الحرب اذ كثر زراعة القمح في البلاد وخاصة في الجنوب .

اما في المدن فمن الصعب وصف اكلة نموذجية للطعام الشائع فيها وذلك لتنوع المأكولات واختلافها حسب طبقات الشعب واذا استثنينا الخبز فان الرز هو اكثر المأكولات شيوعاً ، ويكاد يطبخ كل يوم ومعظم الناس يعتبرون طعامهم ناقصاً ان لم يحتوي عليه . وتستعمل في الشمال انواع من محاصيل القمح كالبرغل و (الحبية) بالاضافة الى الرز . واللحم ايضاً كثير الاستعمال وخاصة في البيوت المرفهة وتكثر الخضروات في فصولها وتكون اذ ذاك رخيصة يتمكن معظم الناس من شرائها ولكنها قليلة وغالية في الشتاء فن الطاطم مثلاً قد تحتفى من السوق مدة تتراوح بين الشهرين والخمسة اشهر . وتكثر الفواكه في اواخر الربيع والصيف ولكنها اغلى من الخضروات عادة . وهناك الرقي والبطيخ والخيار والقثاء وهي تأتي بكثرة في الصيف فتصبح رخيصة يتمكن سواد الشعب من شرائها . اما الحليب فاستعماله في المدن اقل بكثير منه في الارياف والموجود منه قليل بالنسبة لعدد السكان

ولذلك فان معظم اطفال المدن محرومون منه اذا قابلناهم مع اطفال المدن الغربية الكبرى . وعدد الاطفال الذين لا يتناولون الغذاء الكافي في المدن كبير ، ومما لاشك فيه ان زيادة الحليب في المدن واعطائه للاطفال بكثرة يكون من اهم الوسائل لتقليل وفيات الاطفال . هذا ولا توجد عند عامة الشعب اية فكرة عن التركيب الكيماوي للاطعمة والمأكولات من نشائبات وخضروات ولحوميات ودهونات ووجوب الموازنة بين هذه الانواع في الطعام كما انه لا توجد عندهم اية فكرة عن الفيتامينات . ولذلك نرى ان الطعام وعلى الاخص في المدن كثيراً ما يكون متوازناً من حيث تركيبه فمما لاشك فيه ان الاطعمة في المدن يكثر فيها نشاء وتقل فيها الخضروات وخاصة في الشتاء .

ولا بد لنا من ان نقول كلمة عن مشكاة الحليب . ان انواع الحليب المستعملة في العراق هي حليب البقر والغنم والمعز والجاموس . ويستعمل حليب الجمال عند البدو . واكثر هذه الانواع استعمالاً هو حليب الغنم ويوجد بكيات وافرة في الربيع والصيف ويستعمل إما كحليب او كلبن . ويكثر استعمال حليب البقر في المدن والقرى الزراعية على ان كمياته في المدن ليست وافرة واسعارها غالية نوعاً ما فليس اذن في مقدرة عامة الناس استعماله في اوقات المرض اكثر مما في اوقات الصحة ، والغش في الحليب شائع ولذلك فمن الصعب الحصول على حليب طاهر نقي . زد على ذلك طرق الحلب الوسخة فان اسطبلات البقر تكون عادة مملأ بالروث ولا

واسطة فيها الجريان بول البقر ولذلك تكون اثناء البقر وسخة جداً (١) .
 ولما تغسل النساء اللواتي يحملن البقر ائدائها واذا ما غسلنها فانما يغسلنها
 بالماء البسيط وهذا لا يكفي للتعقيم . كما انهن لا يتبعن انفسهن عادة لغسل
 ايديهن وكل هذا مما يؤدي الى تلوث الحليب بالجراثيم بحيث يصبح
 خطراً على الصحة وخاصة على صحة الاطفال . وعادة غلي الحليب شائعة
 لحسن الحظ في العراق ولذلك يقل خطره ، على ان غلي الحليب يفتقه بعضاً
 من مضايه .

ومراقبة الحليب من قبل البلديات في المدن الكبرى قليلة بل قد تكون
 معدومة فقد كانت تقارير مديرية صحة بغداد مثلاً تحتوي على فقرة واحدة عن
 الحليب في كل سنة ولكن هذه ايضاً قد ابطلت منذ سنة ١٩٢٨ .
 وقد سنت الحكومة نظاماً للاغذية (٢) سنة ١٩٣٠ منعت فيه استيراد
 وبيع المأكولات غير النقية والمضرة وخولت السلطات الصحية صلاحية تفتيش
 الاطعمة واعدام غير الصالحة منها . على ان هذا النظام قلما يطبق خارج المدن
 الكبرى لعدم وجود التنظيمات والتشكيلات الكافية لتطبيقه كما ان الاحوال
 الاجتماعية والتهذيب العام لم يصل الى درجة تفهم فيها العامة فائدة هذا النظام
 وتعاون مع الحكومة لتطبيقه .

وللحكومة رقابة تامة على المسالخ في المدن الكبرى اذ تفحص جثث الحيوانات

(١) تجد وصفا للطرق غير الصحية لانتاج الحليب في تقرير مديرية صحة العاصمة
 لسنة ١٩٢٠ ص ٣٤ ولسنة ١٩٢٢ ص ٥٥ «بالانكليزية»

(٢) نظام الاغذية رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٠ نشر في الوقائع العراقية عدد ٨٩٦
 بتاريخ ١٥ ايلول ١٩٣٠

المدبوحة كلها . وتعد كميات غير قليلة من الماء كولات في المدن بعد ان يفحصها المفتشون الصحيون . اما طرق عرض الماء كولات للبيع في الدكاكين والاسواق فهي غير مرضية تماماً اذ تترك الفواكه والخضرات واللحوم والحلويات دون غطاء داخل الخزن ام خارجه فيتجمع الذباب عليها وتعرض للغبار والتراب والاساخ . ان هذه الحالة شائعة الى درجة عظيمة بحيث لا يمكن استئصالها عن طريق الانظمة والتفتيش . والطريقة الفعالة الوحيدة هي تهذيب عامة الشعب وحملهم على تقدير النظافة والدور الذي تلعبه الاساخ في نشر الامراض .

١٢ - احصاء الولادات والوفيات

ان احصاء الولادات والوفيات من خير الوسائل لقياس الاحوال الصحية في بلد من البلدان ، وان شئت فقل هو النبض الصحي للبلاد . ولو كانت هذه الاحصاءات مضبوطة في العراق لزودتنا بمعلومات قيمة عن الاحوال الصحية ولكنها مع الاسف كانت ولا تزال غير دقيقة ولا يعتمد عليها . وليس في الامكان الحصول على اية احصاءات للولادات والوفيات بين العشائر الذين يكوونون نصف سكان العراق تقريباً وتسجيل هذه الاحصاءات في القرى قد يكون احسن مما في العشائر بقليل ولكنه لا يعتمد عليه^(١) . ولم تنشر احصائيات من هذا القبيل الا للمدن الكبرى كالموصل

(١) تجد بحثاً عن هذا المشكل في تقرير الحكومة البريطانية عن العراق لسنة ١٩٢٧ ص ٨٠-٨١ وفي تقرير مقيس الصحة العام لسنة ١٩٢٣ و ١٩٢٤ ص ٨-٥ ولستني ١٩٢٥ و ١٩٢٦ ص ٦-٩

وبغداد والبصرة . واحصاء الوفيات في هذه المدن الثلاث هو الوحيد الذي يعتمد عليه اذ لا يسمح بدفن احد بدون اجازة للدفن من السلطة المختصة اما تسجيل الولادات فهو ناقص وغير منتظم ولذلك فاحصاءات الولادات هي دائماً اقل من الواقع .

والصعوبة الاساسية في هذا ناتجة عن عدم رغبة الاهالي في احصاء السكان ولذلك لا يزال العراق ليس فيه احصاء مضبوط للسكان ولا تتمدى كل الارقام عن كونها تخمينات وتقديرات . ولقد قدر سكان بغداد بـ ٢٥٠٠٠٠٠ وسكان الموصل بـ ٨٠٠٠٠٠ وسكان البصرة بـ ٥٠٠٠٠٠ ولا شك ان تقدير بغداد والبصرة هما اقل من الواقع بكثير وتقدير الموصل يكاد يكون قريباً من الواقع (١) . وبما ان احصاءات السكان هي غير مضبوطة فليس بالامكان الحصول على نسبة للولادات والوفيات .

ومع ان هذه الاحصاءات يجب ان ينظر اليها بخدر الا انها مفيدة اذا ما جمعناها على عدد من السنين وتجد في الجدول الآتي معدل الولادات والوفيات ومعدل نسبة الولادات والوفيات لعدد السكان لمدة سبع سنوات تمتد من سنة ١٩٢٣ الى سنة ١٩٢٩ :

(١) راجع تقرير الحكومة البريطانية عن ادارة العراق لسنة ١٩٢٧ ص ٨٠
 (٢) لقد جمعت هذه الاحصاءات من التقارير الرسمية المختلفة ووضعناها بجدول خاص الا اننا لم نر من المناسب نشره لطوله فاكتفينا باخذ معدل السبع سنوات لان المعدلات هي الاهم .

معدل احصاءات الولادات والوفيات لبغداد

والموصل والبصرة للسنوات ١٩٢٣ - ١٩٢٩

المعدل	البصرة	بغداد	الموصل	
لسبع سنوات	السكان	السكان	السكان	
	٥٠٦٠٠٠	٢٥٠٦٠٠٠	٨٠٦٠٠٠	
٨٦١٠٥	٨٤٣	٥٦٠١٩	٢٦٢٤٣	الولادات
				معدل الولادات بالالف
٢١٦٣٣	١٦٦٨٥	٢٠٦١٨	٢٨٦٠٣	من السكان
				الوفيات
٩٦٥٥٣	١٦٨٩٧	٦٠٠١٧	١٦٧٥٥	معدل الوفيات بالالف
				من السكان
٢٥٦٤١	٣٧٦٩٤	٢٤٦١٠	٢١٦٩٤	

ولنا على الاحصاءات المذكورة في هذا الجدول الملاحظات التالية :

- (١) بما ان تسجيل الوفيات اجباري فان احصاءات الوفيات صحيحة ويمكن الاعتماد عليها اكثر من احصاءات الولادات . واذا اردنا ان نختار رقما يمثل لنا نسبة الوفيات الى عدد السكان في المدن الثلاثة الكبرى فهو ٢٥٦٤١ لكل الف من السكان . وهذا الرقم المأخوذ من اسفل الحقل الاخير في الجدول يمثل معدل نسبة الوفيات في المدن الكبرى لمدة سبع سنوات . وهو على الارجح اقرب رقم للحقيقة . وليس في امكاننا ان نختار رقما مثله يمثل نسبة الولادات بالنظر لعدم ضبط تسجيل الولادات .
- (٢) ان نسبة الوفيات أعلى من نسبة الولادات ما عدا مدينة الموصل .

وليس معنى هذا ان سكان العراق في تناقص لان هذا التناقص ظاهري وسببه عدم ضبط تسجيل الولادات .

(٣) وكذلك لا يصح ان نستنتج ان نسبة الوفيات العالية في البصرة ناتجة عن ان الوفيات فيها اكثر عدداً مما في بغداد والموصل ، والارجح في اعتقادنا ان تقدير السكان في تلك المدينة هو اقل من الواقع وهو الذي يسبب هذا الارتفاع الظاهري في نسبة الوفيات (١) .

(٤) ان تدقيق احصاء الوفيات ببغداد يبين ان عددها قد ازداد تدريجياً منذ سنة ١٩٢٥ ويمكننا ان نؤول ذلك اما بقولنا ان الاحوال الصحية في بغداد سائرة الى الانحطاط او ان عدد السكان في ازدياد او ان تسجيل الوفيات في تحسن . اما الاول فهو غير مرجح لان تحسن الاحوال الصحية باد للعيان فلا بد لنا من الاعتماد على التأويلين الباقيين . وازدياد عدد سكان بغداد هو حقيقة ظاهرة ، وهذا الازدياد ليس ناتجاً عن زيادة الولادات على الوفيات فقط بل هو نتيجة الهجرة ايضاً فان بغداد وهي عاصمة العراق يقصدها عدد كبير من الناس من جميع انحاء البلاد .

(٥) لقد بلغت نسبة الولادات في الموصل ٣٤٦٥ بالالف سنة ١٩٢٨ و ٣٧ بالالف سنة ١٩٢٩ رغم النقص في تسجيل الولادات وهذه حقيقة مهمة تدلنا على الارجح ان نسبة الولادات في الموصل هي أعلى من هذه بعد ،

(١) لو فرضنا ان معدل نسبة الوفيات في العراق هو ٢٥ بالالف من السكان كما يظهر من الجدول نرى ان المعدل الظاهر لنسبة الوفيات في البصرة (نحو ٢٨ بالالف) معناه ان عدد سكان البصرة هو اكثر بكثير من ٥٠٠٠٠٠ نسمة الذي يقدر به وهو على الارجح بين السبعين والثمانين الفا .

فان قابلناها مع نسبة الوفيات (نحو ٢٢ بالالف) نستنتج ان لكل ٢٢ وفاة توجد في الموصل ٣٧ ولادة اي زيادة ١٥ بالالف من السكان في كل سنة ، فيكون مجموع زيادة السكان السنوي في الموصل ١٢٠٠ نسمة .

وهناك قرائن تدل على ان هذه الحالة تصدق على بغداد ايضاً فان مدير صحة بغداد يعتقد ان سكانها يزدادون نحو ٤٠٠٠ نسمة في كل سنة وقد اتى بأدلة على ان نسبة الازدياد هي نحو ١٠ بالالف من السكان في كل سنة (١) .

وليس هنالك ما يدعو الى الاعتقاد بان الحالة في البصرة تختلف عما هي في بغداد والموصل . فيمكننا ان نستنتج اذاً ان سكان المدن الثلاث هم في ازدياد . وليس بوسعنا ان نستنتج استنتاجاً عن الحالة في الارياف ، على انه لو افترضنا ان الاحوال في الارياف تشبه الاحوال في المدن وان نسبة الازدياد هي بين العشرة والخمسة عشرة بالالف فان سكان العراق يزدادون بين الثلاثين والخمسة والثلاثين الفاً كل سنة . على ان ليس هنالك ما يبرر افتراضنا مثل هذا الافتراض . وكلامنا هذا من قبيل التكهن .

هذا وان السلطات الصحية في البلاد تعتقد ان سكان العراق في ازدياد و يظهر هذا اكثر ما يمكن في المدن الكبرى (٢) .

(١) راجع مقالة للدكتور سامي شوكت : « الولادات والوفيات في العاصمة » وهي محاضرة القايت على الجمعية الطبية البغدادية في كانون الثاني سنة ١٩٢٧ وقد نشرت في جريدة العراق في ٣٠ كانون الثاني من تلك السنة .

(٢) راجع تقرير الحكومة البريطانية عن ادارة العراق لسنة ١٩٢٧ ص ٨١

١٣ - وفيات الاطفال

ويتصل ببحث الولادات والوفيات مشكلة وفيات الاطفال وهي مثلها
مقياس جيد للاحوال الصحية في البلاد. وليس هذا سبب اهميتها الوحيد فان
نسبة وفيات الاطفال الكبيرة وذهاب حياة عدد عظيم من اطفال العراق
كل سنة هدراً هو الامر المهم فان العراق بلاد تقاوم فيها هذا المشكل. ومن
الاهمية بمكان ان ندرسه اولاً من حيث نسبة الوفيات وعظمتها وثانياً من
حيث اسبابها. وطريقة حل المشكل كما سنرى لا تعود الى دائرة الصحة
فقط بل قبل كل شيء الى البيت والمدرسة.

وليس في الامكان الحصول على احصاءات نسبة وفيات الاطفال بكاملها
لنفس السبب الذي ذكرناه عند البحث عن احصاء الولادات والوفيات
فعلوماتنا اذن منحصرة في المدن الكبرى الثلاث ونسبة الوفيات بين
الاطفال (١) لهذه المدن ايضاً ليست مضبوطة ولا يعتمد عليها وذلك لعدم ضبط
احصاءات الولادات فهي دائماً أعلى من الحقيقة. وها نحن نبين في الجدول
معدل نسبة وفيات الاطفال في المدن الثلاث للسنوات السبع بين
١٩٢٣ - ١٩٢٩ :

(١) بحسب نسبة وفيات الاطفال لسنة من السنين بعدد الاطفال المتوفين تحت
سن الواحدة من العمر في الالف من الولادات في تلك السنة.

معدل نسبة وفيات الاطفال في الموصل وبغداد والبصرة

للسنوات ١٩٢٣-١٩٢٩

الموصل	بغداد	البصرة	المعدل العام
٢٦٢٤٣	٥٦٠١٩	٨٤٣	٨٦١٠٥
٦٣٦	١٦٧٨٠	٤٠٢	٢٦٨٢٩
٢٧٣	٣٥٥	٤٩٠	٣٤٧

لاشك ان هذه الارقام هي أعلى من الواقع للسبب المذكور سابقاً . ولا يصح للسبب نفسه ان نستنتج ان نسبة وفيات الاطفال أعلى ما تكون في البصرة وادنى ما تكون في الموصل فما ذلك إلا برهان بان تسجيل الولادات في البصرة هو غير مرض بتاتاَ وانه احسن في بغداد واحسن من الكل في الموصل . وبناء على ذلك فانه من الصعب جداً ان نعين رقماً تقريبياً يمثل وفيات الاطفال في المدن الثلاث واليك فقرة من مقال لطيب يرجح انه احد الاطباء الانكليز في بغداد حاول فيه ان يقدر معدل وفيات الاطفال في العراق (١) :

« ان وفيات الاطفال التي تعتبر احسن مقياس للاحوال الصحية في بلد من البلدان تتراوح في انكلترا من ٦٥ الى ٧٤ بالالف وهي في بغداد ٣١٩ الى ٣٨٤ بالالف وفي البصرة تتراوح بين ٤٥٠ الى ٦٧٤ بالالف وفي

(١) راجع "Hygienic Need of Iraq," Baghdad Times, Oct. 21, 1930

الموصل ٢٢٩ و ٤٠٢ بالالف . ومعنى هذا انه يموت في انكلترا من كل ١٣ طفل واحد من سنة ولادتهم اما في العراق فيموت طفل واحد من ثلاثة اطفال في سنة ولادتهم . وليست الولادات مسجلة بأجمعها ولكننا اذا قدرنا ان نسبة الولادات في العراق تساوي نسبة الولادات في مصر اي نحو ٤٠ بالالف بدلا من ٢٢٥ بالالف كما هي في العراق حسب التسجيل الحاضر نستنتج ان نسبة الولادات في العراق هي ضعف ما يظهر لنا احصاء الولادات المسجلة . وهذا يخفض نسبة الوفيات الى نصف ما يدل عليه الجدول اي نحو ١٥٠ وفاة لكل الف ولادة وهو ضعف نسبة الوفيات في انكلترا .

ولدينا لحسن الحظ مقياس آخر مضبوط لمعرفة قياس وفيات الاطفال وهو نسبة وفيات الاطفال الى مجموع الوفيات في المدن الكبرى . وبما ان تسجيل الوفيات مضبوط فالنسب تكون بطبيعة الحال مضبوطة ايضا . وها نحن نبين في الجدول التالي نسب وفيات الاطفال الى مجموع الوفيات . والارقام التي في الجدول هي معدل الارقام لعدد من السنين تتراوح بين الواحد والسبعة .

نسبة وفيات الاطفال في المدن الثلاث الكبرى

الى مجموع الوفيات

نسبة الوفيات دون سن الواحدة	نسبة الوفيات بين السنة الواحدة والخامسة	نسبة الوفيات دون السنة الخامسة	
٢٩٦٢٢	٢٣٦٧٦	٥٢٦٤٩	بغداد
٢١٦٠٦	١٨٦٧٥	٣٨٦١٠	البصرة
٣٦٦٧٧	١٢٦٥٧	٤٨٦٣٧	الموصل
٢٩٦٠٢	١٨٦٣٦	٤٧٦٣٨	معدل النسب للمدن الثلاث

واهم استنتاج يمكننا ان نستنتجه من هذا الجدول هو ان نصف الوفيات في المدن الثلاث الكبرى هي بين الاطفال الذين عمرهم اقل من خمس سنوات وخاصة في بغداد والموصل ، وهذه حقيقة مرعبة تدل على عظم سوء الحالة الصحية . وهي تبين لنا كيف تذهب حياة اطفال العراق هدرًا ولا يقل عن ذلك فظاعة ان نحو ثلث الوفيات في العراق هي بين الاطفال الذين لا يزيد عمرهم عن السنة الواحدة .

والجدول يرينا ان نسبة وفيات الاطفال اعلى ما تكون في الموصل (٣٦٨٣٧) وتعقبها بغداد (٢٩٢٢٢) ثم البصرة (٢١٠٥٥) . فاذا قابلنا بين هذه المدن من حيث وفيات الاطفال تحت سن الخامسة وجدنا ان النسبة اعلى ما تكون في بغداد (٥٢٤٩) وتعقبها الموصل (٤٨٣٧) وهي في البصرة اقل من الجميع ايضاً (٣٨١٠) . وهذا عكس ما رأيناه في الجدول السابق اذ كانت وفيات الاطفال في السنة الاولى من العمر بالنسبة الى الولادات اعلى في البصرة منها في بقية المدن ، وهذا يؤكد لنا ما قلناه سابقاً ان النسبة العالية للوفيات في البصرة قد تكون ظاهرة لا حقيقية وذلك لسوء حالة تسجيل الولادات فيها .

اما وقد حققنا في مقدار الوفيات بين الاطفال فلنبحث بعد الآن في اسبابها ولننظر في الامراض الشائعة بين الاطفال وقد تؤدي بحياتهم في كثير من الاحيان . وقد جعلنا في الجدول التالي احصاءات عن اهم اسباب الوفيات في بغداد بين الاطفال الذين عمرهم دون السنة الواحدة ، ووجهنا

السنة الاولى والخامسة ، كما اننا جمعنا فيه اسباب الوفيات دون السنة الواحدة
في المدن الكبرى الثلاث :

اسباب الوفيات بين الاطفال

سبب الوفاة	تحت السنة الواحدة		بين السنة الواحدة والخامسة	
	في بغداد	في بغداد	في بغداد	في المدن الكبرى الثلاث
	المجموع ١٩٢٨-١٩٢٠	المجموع ١٩٢٨-١٩٢٠	المجموع ١٩٢٨-١٩٢٠	المجموع ١٩٢٦-١٩٢٣
الهزال .	٥٦٦٥	١	١٩٩١٧	٣
الاسهال والالتهابات المعوية .	٣٦٣١٣	٢	٣٦٣٧١	١
الولادة قبل الاوان .	٢٦٢٣٤	٣	—	—
ذات الرئة والتهاب القصبات .	١٦٦١٢	٤	٣٦١٠٨	٢
الجدري .	٥٤٨	٥	٥٤٣	٥
الحصبة .	٢٨٣	٦	١٦١٥٠	٤
الملاريا والحيات .	٢٤٠	٧	٤٣١	٦
الزحار (الذرنطاريا) .	٥٩	٨	١٢٧	٩
السل .	٥١	٩	٢٩٩	٧
الطاعون .	—	—	١٧٠	٨
الامراض الاخرى .	٦٧٨	—	٢٦٧	—

يبين لنا هذا الجدول ان اهم اسباب وفيات الاطفال الذين لا يتجاوز
عمرهم السنة الواحدة هي الهزال والاسهال وما يماثله من الامراض المعوية
والولادة قبل الاوان وذات الرئة ، فاذا ما نشأ الاطفال اصبحوا معرضين الى
الجدري والحصبة والطاعون والسل ، وهذه ما تبينه لنا ارقام وفيات الاطفال
بين السنة الواحدة والخامسة من العمر في بغداد .

وليس بوسعنا ان نؤكد ان هذه الاسباب هي نفس الاسباب التي تعمل
على وفاة الاطفال في القرى وان كان ذلك مرجحاً . ويغلب على الظن ان
الملاريا تلعب دوراً في الفتك بالاطفال اكثر مما يظهر في هذا الجدول فان
المدن الكبرى تكاد تكون خالية من هذا المرض بعكس كثير من الجهات
خارج المدن الكبرى الموبوءة بهذا المرض ك بعض المناطق الجبلية والفرات
الاطراف والاسفل والوية ديالى والعمارة والديلم ، ولذلك نعتقد انه يصح القول
بان الملاريا تلعب دوراً مهماً في وفيات الاطفال في نصف العراق تقريباً .

ولقد كان في الامكان ان يكفل الاطفال من عدد من هذه الامراض لو لم
يكن الابوان وعلى الاخص الامهات جاهلين كل الجهل الطرق الصحيحة
للعناية بالاطفال . ان المرضين المهمين اللذين يفتكان بالعدد الاكبر من
الاطفال (وهما الهزال والاسهال) هما مسيبان في الغالب عن الاوساخ وعدم
العناية وسوء التغذية وكان في الامكان تجنبهما . على ان العناية بالاطفال بين
سواد الشعب سيئة جداً فمن المعتاد ان نرى الاطفال الذين لا يتجاوزون
السنة الواحدة من العمر مستلقين او جالسين او زاحفين على الارض ووجوههم

وايديهم وذيابهم وسخة الى اقصى حد . وقد تكون الارض قدرة فاذا ما ترك
الطفل لنفسه اخذ يلتقط الاشياء فيضعها في فيه . وقد اشرنا قبل الآن الى
عادة الاكثار من ارضاعهن وعلى الاخص كلما سمعن يبيكون وما اكثر
الامهات اللواتي يطعنن الاطفال الاطعمة الثقيلة . وكم من ام تجلس الى الطعام
فتضع طفلها في حضنها وتطعمه بنفس الملعقة التي تأكل هي بها ومن نفس
الطعام . ان الام العراقية عادة ترضع ولدها من ثديها ولا تعتمد على حليب
البقر او غيره كما تفعل كثير من النساء الغربيات ، وفي هذا فائدة عظيمة كان
يجب ان تظهر نتايجها في صحة الاطفال . على ان الامر عكس ذلك فان
الوسخ وسوء التغذية يجتمعان فيسيبان امراضاً كثيرة في القناة الهضمية ينتهي
عدد كبير منها بوفاة الاطفال .

واذا ما فطم الاطفال واصبحوا قادرين على المشي تراهم يلعبون في الشوارع
الوسخة وفي البيوت فتزداد امكانية العدوى فيهم وذلك لاتساع نطاق
حركتهم واتصالهم بعدد اكبر من الناس او الاطفال . وتجد الامهات اللواتي
يعتنين بالولادهن عناية خاصة صعوبة في منعهم من اللعب مع اولاد وسخين .
ولا تسأل عما يأكله الاطفال بعد سنتهم الاولى فانهم احرار بأن يأكلون
ما يشاؤون وبالقادير التي يريدونها . والامهات اللواتي يحددن مقدار الاكل
لاولادهن فلا يسمحن لهم في تجاوزه ويمنعن عنهم بعض الاطعمة الثقيلة من
قليلات جداً ، ومعظمهن يعتقدن انه كلما ازداد الطعام كلما كان ذلك
خيراً لهم .

ولا شك ان المناخ من الاسباب المهمة لوفيات الاطفال . والمناخ في العراق بين شهري ايلول وحزيران في الشمال وتشرين ثاني وايار في الجنوب معتدل وجميل إلا انه حار جداً في الصيف ، صعب على الكبار فضلاً عن الاطفال . وهناك عادة شائعة بين الناس وهي لف الاولاد بالاقطة فوق ثيابهم المعتادة ثم ربطهم في المهود كأن الحرارة القتالة غير كافية لهؤلاء الاطفال المساكين فيجب ان يخنقوا باقطعتهم . ولاعجب بعد هذا ان يكون الهزال من اهم الاسباب لوفاة الاطفال .

ولعل خير ما ننهي به هذا البحث ان ننقل للقاري ما قاله مدير صحة مدينة البصرة في احد تقاريره عن الوفيات بين الاطفال : « اذ استثنينا الولادة قبل الاوان امكننا ان نعزو اسباب نسبة الوفيات العالية بين الاطفال الى البيئة الوسخة وغير الصحية التي يتربى فيها الاولاد والى طبيعة المناخ في القسم الاعظم من السنة بحيث لو وجد هذان السببان في اي بلد آخر مهما كانت تشكيلاته الصحية جيدة لسبب نسبة من الوفيات عالية . ويلعب القمر دوراً بالطبع في زيادة الوفيات ولكن الجهل هو السبب الاساسي . ان هذه المشكلة عند الاغنياء وانباء الطبقات الوسطى قليلة الاهمية وليكنها مهمة جداً عند ابناء الطبقات الفقيرة الذين يكونون معظم السكان وهم يعيشون في بيوت القصب بين اشجار النخل والمياه الارضية على عمق عقد معدودة عن سطح ارض اكوأخهم او في بيوت من الطين رديئة البناء ومهدمة واولادهم لا يدخلون المدارس ابداً . وهؤلاء قوم قلما يتمكن الانسان من اقناعهم لاستعمال المراحيض وهم يشربون في كل وقت مياه الانهر

التي يطوف فيها الغائط ، انهم يربون اولادهم في نفس الاحوال وعلى نفس الطريقة التي تربوا هم بها ومن اصعب الامور ان نحملهم على تغيير اساليب معيشتهم^(١) .

١٤ - مكافحة الامراض الشائعة

بقي علينا ان نبحث في مشكلة الصحة العظمى في العراق وهي مكافحة الامراض الشائعة . ولو اردنا ان نبين مشكلة الصحة العامة في العراق باختصار لقلنا : انها مشكلة تحسين الاحوال الصحية ، وايجاد التسهيلات اللازمة وزيادة مناعة وفعالية اجسام العراقيين بحيث تزول بعض الامراض من البلاد وتقل اضرار الامراض الاخرى وبذلك تخفض نسبة الوفيات وعلى الاخص بين الاطفال ويطول معدل حياة المواطن العراقي ويقل عذابه من الامراض .

وقد بحث المؤلف عن الامراض التي يكثر انتشارها في العراق اكثر من غيرها فجمع خمسة انواع من الاحصاءات وهي :

(اولا) اسباب الوفيات بين الاطفال الذين لم يتجاوزوا السنة الاولى من العمر في المدن الكبرى الثلاث وقد ذكرت هذه الامراض في الجدول الذي وضعناه في قسم وفيات الاطفال من هذا الفصل (صفحة ٢٠٠) .

(١) T. J. Hallinan, Annual Report of the Health Department Basra, for the year 1921, P. 10.

(ثانياً) اسباب الوفيات في مدينة بغداد ، وليست لدينا مع الاسف احصاءات عن الوفيات لكل العراق .

(ثالثاً) الامراض السائدة بين المرضى الذين يدخلون المستشفيات في كل العراق .

(رابعاً) الامراض السائدة .

(خامساً) اهم الامراض السارية . وقد جمعت هذه الانواع الخمسة من الاحصاءات في التقارير الصحية لدائرة الصحة لمدة سبع سنوات . واخذت المعدلات لكثرة توارد هذه الامراض ورتبت حسب اهميتها ولا نرى حاجة لذكر هذه الاحصاءات هنا فهي مفصلة ومعقدة اكثر من اللازم ولذلك فقد اكتفينا بذكر الامراض كما تظهر اهميتها في كل واحد من انواع الاحصاءات المذكورة . ونعتقد ان هذا الجدول يبين جميع الامراض المهمة في العراق (١) .

(١) ما خلا مرض الانكوستوما الذي (اكتشف) في العراق بعد سنة ١٩٢٦ وكذلك الزكام الاعتيادي والانفلونزا التي قلما تراجع المستشفيات والمستوصفات لاجلها . وكلا هذين المرضين لا يظهران بطبيعة الحال في الجداول الاحصائية .

خلاصة عن اهم الامراض الشائعة في العراق

الامراض المنتشرة بين المرضى في المستشفيات العامة في كل القطر	اسباب الوفيات في بغداد بصورة عامة	١-باب وفيات الاطفال دون سن الواحدة من العمر في المدن الكبرى الثلاث
١- الملاريا	١- الهزال	١- الهزال
٢- الجروح والرضوض	٢- الاسهال والاختلاطات	٢- الاسهال والاختلاطات
٣- التعفن البسيط	المعوية	المعوية.
٤- الامراض البولية	٣- السل	٣- الولادة قبل الاوان
التناسلية	٤- ذات الرئة	٤- ذات الرئة والتهاب
٥- السفلس	٥- الربو	القصبات
٦- الزحار	٦- التهاب القصبات	٥- الملاريا والحميات
٧- السل	٧- الملاريا والحميات	٦- الحصبة
٨- التراخوما	٨- الولادة قبل الاوان	٧- الجدري
٩- التهاب القصبات	٩- الحصبة	٨- السل
١٠- امراض العيون	١٠- الطاعون	٩- الطاعون
الاجرى	١١- الكوليرا (الهيضة)	١٠- الزحار
١١- السيلان		
١٢- الاسهال		
١٣- الولادة		
١٤- سوء الهضم		
١٥- ذات الرئة		
١٦- الامراض العصبية والعقلية		
١٧- البلهارزيا		
١٨- الطاعون		

الامراض السارية في كل القطر	الامراض عند المرضى المراجعين للمستوصفات في كل القطر
١ - الزحار	١ - الملاريا
٢ - السل	٢ - امراض العيون
٣ - الجدري	٣ - الامراض التي تتطلب عمليات جراحية بسيطة
٤ - الحصبة	٤ - الزحار والاسهال
٥ - السعال الديكي	٥ - السفلس
٦ - النكاف	٦ - السل
٧ - التيفوئيد والباراتيفوئيد	٧ - السيلان
٨ - الكوليرا (الهيضة)	٨ - تقيح اللثة
٩ - الطاعون	٩ - البلهارزيا
١٠ - الحمرة او النارالفارسية Erysipelas	١٠ - حبة بغداد
	١١ - القرحة اللينة

ولا بد لنا من بيان نقطتين مهمتين على هذا الجدول. الاولى ان احصاءات الوفيات لا يمكن ان تعتبر ممثلة لكل البلاد لأنها مأخوذة من احصاءات المدن الكبرى فقط. والثانية ان كثيرين من المرضى لا يراجعون المستشفيات ولا يعرف بهم الاطباء الرسميون. وليس هذا ناتجاً عن كثرة الاطباء الخصوصيين والمستشفيات الخصوصية لأن عدد هؤلاء قلائل بالنسبة

للأطباء الرسميين والمؤسسات الرسمية . والسبب الأساسي لعدم اطلاع الأطباء لعدد المرضى هو الجهل ، فان السواد الاعظم من الناس لا يرجعون الأطباء عن مرض ما إلا بعد ان يشتد عليهم ويؤذيهم نوعاً ما . وهذا هو السبب مثلاً في ظهور حبة بغداد في آخر قائمة الامراض بين المراجعين في المستوصفات فانه لما كانت الحبة تزول عادة بعد مدة سنة من ظهورها او اقل وتترك اثرًا في محلها فان معظم السكان لا يرون ضرورة لعرضها على الأطباء . وقد يقال كذلك عن مرض البلهارزيا فان السكان في البقاع التي يكثر فيها هذا المرض من الجنوب ينظرون الى البول المصفر بسبب هذا المرض كشيء اعتيادي . ولا شك ان احصاءات مرضى التيفويد وباراتيفويد هي اقل من الحقيقة ، ونرجح ان سبب ذلك هو ان حوادث هذين المرضين الخفيفة لا تعرض عادة على الأطباء . والخلاصة ان الجدول يدلنا على الامراض المهمة في العراق . ومع ان ترتيبها في الجدول يدلنا على درجة اهميتها بصورة عامة إلا اننا لا يجب ان نتقيد بهذا الترتيب وذلك بسبب النقص الذي بيناه في الاحصاءات الطبية .

١٥ - وصف الامراض المهمة

لقد خصصنا هذا القسم لوصف خصائص الامراض المهمة كما تظهر في العراق وغايتنا من ذلك ان نزيد في إيضاح المشاكل الصحية في العراق ونبين ما يفعله سواد الشعب العراقي حين تفشي هذه الامراض بينه .

(١) الملاريا^(١) :

الملاريا من اكثر الامراض انتشاراً في العراق كما يظهر من الجدول التالي الذي يبين عدد المصابين بهذا المرض والذين تداوا في المستشفيات والمستوصفات العامة بين ١٩٢٣ سنة و ١٩٢٩ سنة :

٣٧,٥٥٢	سنة ١٩٢٣
٦٣,٩٣٩	« ١٩٢٤
٨٦,٦٨٨	« ١٩٢٥
١٧٥,٩٢٣	« ١٩٢٦
١٠٣,٤٨٠	« ١٩٢٧
٨٤,٧٨٧	« ١٩٢٨
١٥٥,٢٢٧	« ١٩٢٩

على ان هذه الاحصاءات ليست كاملة لأن عدداً كبيراً من السكان لا يراجعون المستشفيات والمستوصفات ولذلك فإن انتشار الملاريا اعظم مما يظهر في الجدول بكثير. وتقدر دائرة الصحة ان عدد العراقيين المصابين بهذا المرض يعادل خمس سكان العراق^(٢) ولا نعلم الاستناد الذي تستند عليه الدائرة في هذا التقرير.

وليس الملاريا المرض الذي يصاب فيه ا كبر عدد من العراقيين فقط

(١) راحم :

(1) T.B. Heggess, Note on Malaria in Iraq, Published in the report of the Inspector of General Health Services, for 1925-1926.

(2) S.R. Christophers and H.E. Shortt, Malaria in Mesopotamia.

(3) do., Anti-Malaria Operations in Basra, 1916-1919,

(4) do., Incidence of Malaria Among Troops in Mesopotamin, 1916-1919. No. 2, 3 And 4, Reprinted from the Indian Journal of Medical Research.

(٢) تقرير مفتش الصحة العام لسنتي ١٩٢٣ و ١٩٢٤ ص ٢٨ (بالانكليزية).

هي ايضاً اكثر الامراض انتشاراً في الوية العراق المختلفة كما يظهر ذلك من الجدول التالي الذي يبين اولا نسبة المصابين بالملاريا في كل لواء الى مجموع اصابات الملاريا في العراق ، وثانياً نسبة اصابات الملاريا في كل لواء الى مجموع الاصابات بكل الامراض في ذلك اللواء . وقد جمعنا هذه الاحصاءات من تقارير مديرية الصحة بين سنتي ١٩٢٣ و ١٩٢٦ .

جدول يبين انتشار الملاريا في العراق

النسبة المئوية لمرض الملاريا من مجموع بقية الامراض	النسبة المئوية لاصابات الملاريا	اللواء
٢٨ بالمائة	٢١٩٤ بالمائة	البصرة
« ٣٧	« ١٤٦٠	الديوانية
« ٦	« ١٠٦٠	بغداد
« ٢٢	« ٨٦٥	كركوك
« ٤٠	« ٧٦٥	المنتفك
« ٢١	« ٧٦٤	الموصل
« ٣٤	« ٦٦٨	كربلاء
« ١٩	« ٦٦٤	الحلة
« ١٦	« ٤٦٣	ديالى
« ١٧	« ٣٦٥	العمارة
« ١٧	« ٣٦٢	اربيل
« ١٠	« ٣٦٢	الدليم
« ١٠	« ٢٦٠	الكوت
« ١٩	« ١٦٦	السليمانية

وهذا الجدول يرينا ان عشرين بالمائة تقريباً من المرضى الذين يعالجون في المؤسسات الصحية الرسمية هم مصابون بالملايا ، كما انه يرينا ان الفرات الاوسط والادنى هو اكبر جهة موبوءة في العراق ويعقبه لواء البصرة فالالوية الشمالية في سفوح الجبال .
ومن الدلائل على انتشار الملايا هو احصاء الاطفال المصابين بتضخم الطحال ، وقد اجري بعض الاطباء بحثاً احصائياً في هذا الامر سنة ١٩١٨ وسنة ١٩١٩ فوجد ان نسبة المصابين من الاطفال تتراوح بين الصفر بالمائة في مدينتي بغداد والموصل والمائة بالمائة في بعض جهات لوأي الموصل وكركوك وهي أعلى ما تكون في الشمال ومتوسطة في الجنوب وادنى ما تكون في اواسط العراق .

واكثر انواع الملايا انتشاراً هي الملايا الثلاثية الخفيفة . وتكثر الملايا الثلاثية الخبيثة في البصرة والالوية الشمالية ، كما ان الرباعية تكثر في الالوية الشمالية ايضاً . واهم محلات تفريخ البعوض في الشمال هي برك الماء والانهر والسواقي الصغيرة التي يكثر فيها نمو النباتات فيمنع جريان المياه السريع . اما في الجنوب فيتولد البعوض بكثرة في الاهوار والانهر غير المنظفة وفي الترع والاراضي الزراعية التي يكثر الفلاحون في اسقامها . وبما انه ليس في العراق نظام للمبازل مقابل لنظام الري فان مياه السقي تبقى الزائدة راكدة في المزارع فيتولد فيها البعوض^(١) .

(١) راجع عن محلات تولد البعوض مقال :

Christophers, Shortt, Malaria in Mesopotamia, P. 519-522.

ان القضاء على الملاريا من اهم المشاكل الصحية في العراق وما لم يحل هذا المشكل فسيدمى هذا المرض الويل يمتص دماء العراقيين صغارا وكبارا. وحل هذا المشكل يتطلب بحثا علميا دقيقا في الموضوع من جميع وجوهه . كما انه يتطلب صرف مبالغ طائلة وتعترضه عقبات كثيرة ، حتى ان واضعي التقارير الرسمية الصحية يعتقدون بان مشاريع مكافحة الملاريا وازالتها غير عملية (١) . فتجفيف مئات الترع والاقنية التي تتشعب من شط العرب في لواء البصرة وتتوغل في بساتين النخل معناه القضاء على وسائل المعيشة لآلاف السكان وحرمان العراق من حاصلات هي من اهم صادراته . وتجفيف المستنقعات امر صعب ويكلف مبالغ طائلة كما انه يتطلب تبديل طرز المعيشة لعدد غير قليل من السكان . وعادة الفلاحين للاكثار من السقي لا تكافح إلا بتعليمهم على الطرق الاقتصادية في استعمال مياه الري وانه من الضروري ايجاد مبالز مراقبة لوسائل الري بالسيح لتصرف مياه السقي الزائدة ، وبذلك يقل تراكم الاملاح بالاراضي وامكان تولد البعوض فيها ايضا . اما مديرية الصحة فانها تحصر جهودها في الوقت الحاضر في مداواة الملاريا لا في السعي لازالتها ، وهي تصرف في كل سنة بين ١٥٠٠٠ و ٢٠٠٠٠ بلونا من الكينا بكلفة لا تقل عن ١٥٠٠٠٠ دينار . وهذه التدابير بالطبع هي لتخفيف وطأة المرض لا لازالتها ، إذ ان الحالات التي تولد الملاريا لا تزال باقية ولا شيء يمنع المريض الذي يشفى اليوم بسبب المعالجة من ان

(١) راجع التقرير السنوي للحكومة البريطانية عن ادارة العراق للسنة ١٩٢٨

ينقل البعوض اليه المرض من جديد . زد على ذلك ان معظم المصابين بالملاريا لا يكملون معالجتهم بل يتركونها حالما رأوا تحسناً في صحتهم فيعاودهم المرض من جديد ، وهكذا تذهب المعالجة سدى في كثير من الاحيان . وازاء هذه الحقيقة لا نعلم كيف نعلل العبارة التالية الواردة في تقرير الحكومة البريطانية عن ادارة العراق للسنة ١٩٢٨ : « ان مستشاري الحكومة الصحيين يعتقدون بعد درس الموضوع دراسة فامة انه خير للحكومة ان تصرف ما يتيسر لديها من المبالغ لتوزيع العقاقير على السكان بصورة عامة من ان تصرفها على مشاريع المبازل التي تكلف مبالغ طائلة ولا تزيل الملاريا إلا من بقاع قليلة ^(١) » .

(٢) التراخوما :

ان مرض التراخوما اكثر انتشاراً في العراق من الملاريا ، وقد قدر طبيب اختصاصي بامراض العيون سنة ١٩٢٦ ان ٦٥ بالمائة تقريباً من سكان العراق مصابون بمرض في العين من انواع مختلفة ^(٢) . وكان قد قدر قبل ذلك هذه النسبة بثمانين بالمائة . وقد ظهر من فحص عيون طلاب المدارس في بغداد سنة ١٩٢٠ ان ٧٧٥٣ بالمائة منهم مصابون بالتراخوما ، وكانت النسبة العليا في احدى المدارس ٩٦٦٤ بالمائة والنسبة السفلى في مدرسة اخرى ٥١٦١ بالمائة ^(٣) .

واليك احصاءات المرضى المصابين بالتراخوما الذين راجعوا المستوصفات

بين سنتي ١٩٢٢—١٩٢٦ :

(١) تقرير الحكومة البريطانية عن ادارة العراق للسنة ١٩٢٨ ص ٦١

(٢) تقرير مفتش الصحة العامة سنة ١٩٢٥—١٩٢٦ ص ٩٣

(٣) التقرير السنوي لمديرية صحة مدينة بغداد سنة ١٩٢٠ ص ١١—١٢

عدد المراجعين	عدد الاصابات الجديدة	السنة
٨٩٠٢٣٣	٦٠٨٥٧	١٩٢٢
١٥٧٠٩٢٨	٩٠٧٢١	١٩٢٣
١٨٨٠٦٢٣	١٦٠٨٣٨	١٩٢٤
٢٣٥٠٦٤٩	٢٨٠٠١٥	١٩٢٥
١٨١٠٧٤٥	٢٠٠٢٢٣	١٩٢٦

ولا شك ان عدد المراجعين قد زاد منذ سنة ١٩٢٦ حتى الآن زيادة كبيرة ، إلا انه ليس لدينا لسوء الحظ احصاءات حديثة إذ ان مديرية الصحة العامة قد توقفت عن اصدار التقارير السنوية منذ سنة ١٩٢٦ . هذا مع العلم ان معظم الناس لا يراجعون المستشفيات والمستوصفات إلا حين اشتداد المرض عليهم ، ولذلك فان هذه الاحصاءات لا تعطى فكرة صحيحة عن التراخوما الموجودة في البلاد . كما ان اهمال معالجة المرض يؤدي الى اشتداده وجعله مزمناً ، والى فقد البصر في العين الواحدة او كلتا العينين .

ان انتشار التراخوما بكثرة في العراق هو نتيجة محتمة لتكاثر الاوساخ والعادات القبيحة كوضع الايدي في العينين واستعمال المناديل المشتركة وغير ذلك . و يبتدي المرض في اغلب الاحيان عند الاطفال الصغار وذلك لكثرة لعبهم بالاوساخ واختلاطهم بالمصايين بالتراخوما . وقد انتهت وزارة المعارف اخيراً الى ضرورة مكافحة التراخوما في المدارس واتخذت بعض التدابير في المدن الكبرى اي في الموصل و بغداد والبصرة . ولا يصح الحكم بعد على نتائج هذه الجهود . والمشكلة الحقيقية هي اولا معالجة عيون الاطفال

بحيث يمكن توقيف ازدياد المرض ومنعه من ان يصبح مزمناً وثانياً غرس العادات الصحية في الاولاد واعطائهم ووالديهم المعلومات الكافية التي تساعد على منع العدوى في الاطفال والراشدين . وكلا هذين الامرين تربيوي كما يصرح بذلك رجال الصحة انفسهم (١) .

(٣) حبة بغداد او الاخت :

حبة بغداد بثرة تظهر على الاغلب في الاقسام المكشوفة من الجسم ، وهي تنتاب كل العراقيين تقريباً . وهي بحد ذاتها خفيفة لا خطر فيها إلا ان اهميتها ناتجة عن سعة انتشارها وعن انها تترك بعد شفائها اثرًا او جرح يشوه المحل الذي تظهر فيه . وهي تظهر على الاكثر في الوجه فتشوهه وخاصة اوجه النساء .

ان سبب المرض جرثومة تعرف باللشمانيا وتنتقل الى الانسان بواسطة النقرس الذي يهجم على اقسام الجسم المكشوفة وخاصة الوجه . وقد عاج احد اطباء الموصل سنة ١٩٢٢ سبعة وثمانين كان ثمان واربعون منها على الوجه وخمسة وعشرون على الايدي واربعة عشر على الساق او القسم الأعلى من الارجل (٢) . وتشفى الحبة عادة بمدة تتراوح بين الثمانية والخمسة عشر شهراً ، ولكنها قد تدوم مدة اطول من هذه اذا انتابتها الاختلاطات فينتج عنها حينئذ تخريب للانسجة ، وهذا ما يعلل لنا وجود النكبات على عدد كبير من العراقيين .

(١) راجع التقرير السنوي لمديرية صحة بغداد سنة ١٩٢١ ص ٣٧

(٢) راجع التقرير السنوي لمديرية الصحة العامة سنة ١٩٢٢ ص ٨٥-٨٧

والحبة اصيلة في العراق ولا تنحصر في الانسان فقط بل تفشي الى الكلاب ايضاً ، ولذلك فان الكلاب قد يصبحون مصدراً ينتشر منه المرض . ومع انه قد يصاب الانسان بعدة حبات إلا ان المعتاد ان تظهر في الانسان حبة واحدة فقط . فاذا ما شفيت حصلت عند الانسان مناعة ضد المرض في المستقبل .

ان معظم اصابات حبة بغداد لا تصل الى الاطباء ، إذ ان السواد الاعظم من الناس يهملها الى ان تشفى من نفسها ولا يعرضها للطبيب إلا اذا ساءت حالتها ، وهذا هو السبب لعدم ظهورها بين الامراض المهمة في احصاءات الصحة في العراق (١) .

(٤) الطاعون :

ان اهمية الطاعون ناتجة عن سعة انتشاره وكونه مرضاً قاتلاً في آن واحد . وكان ينتقل الى العراق في السابق من ايران فيذهب بحياة عدد كبير من الناس حتى انه يقال ان الطاعون فتك بثلي سكان مدينة بغداد سنة ١٩٣١ (٢) . وقد اصبح الطاعون بعد ذلك اصيلاً في العراق ، فأخذ يظهر في كل سنة تقريباً . إلا انه الآن اخف وطأة مما كان عليه في السابق . اما النوع الشائع منه فهو الطاعون الدملي ، إلا انه حدثت بين العشائر النازلة بالقرب من بغداد اصابات بالطاعون الرئوي سنة ١٩٢٠ . وتتخذ دائرة

(١) راجع عن حبة بغداد كتاب الدكتور ادوارد بصمجي باللغة الافرنسية :

Contribution a l'etude de la Leishmaniose Cutanee. Le Bguton d' Orient en Iraq, Paris, Libraire M, Lac, 1930.

(٢) راجع كتاب الدكتور فتح الله عتر اوي الآنف الذكر الفصل الثاني .

الصحة تدابير فعالة لمكافحة هذا الوباء واحسن هذه التدابير هو التطعيم ،
فقد طعم ١٢٦٥٥٨ في بغداد سنة ١٩١٩ وهذا ثلث السكان تقريباً . وطعم
٩٥٦٠٠٠ سنة ١٩٢٤ و ٥٩٦٠٠٠ سنة ١٩٢٦ .

ان اهم مركز للطاعون هو مدينة بغداد حيث تظهر اكثر اصابات
الطاعون عادة . وتعقب بغداد مدينة الحلة وبعقوبة ثم لواء الديلم . ولم تحدث
اصابة بالطاعون في البصرة منذ سنة ١٩٢٥ ، كما انه لم تحصل اصابة
بالطاعون في الشمال منذ سنة ١٩٣١ ما عدا اصابة واحدة في كركوك يرجح
انه وردت اليها من الخارج .

وسبب الطاعون جرثومة ينقلها البرغوث الى الجرذ والانسان فيصبح
الجرذان احد مصادر الطاعون المهمة الذي ينقله من سنة الى اخرى .
ويظهر الطاعون عادة في الربيع ، موسم تفريخ البراغيث . وتسبق ظهور
الطاعون عادة بعض اصابات في الخريف والشتاء . ثم يزيد عدد الاصابات
بسرعة في الربيع عندما يصبح الطقس ملائماً . ويظهر ان درجة الحرارة
الملائمة لانتشار الطاعون تتراوح بين ٩٥ - ١٠٠ فهرنهايت . فاذا ما
تجاوزت الحرارة المائة وازداد عدد الاشخاص المطعمين خفت وطأة المرض
ويزول في تموز عادة^(١) . ومن التدابير التي تتخذها مديرية الصحة لمكافحة
الجرذان ، اذ يصطاد منها عدد كبير في كل سنة وتفحص للتأكد عما اذا
كانت مصابة بالطاعون . وليس اصطياد الجرذان بقصد القضاء عليها فان
هذا يكاد يكون مستحيلا لكثرة تولده ، ولكنه بقصد اكتشاف مصادر

(١) راجع التقرير السنوي لمديرية صحة بغداد سنة ١٩٢٠ ص ٢٦

المرض وهكذا يسعى موظفو الصحة الى قطع دابر الوباء قبل حدوثه . على ان هذه الطريقة لم تؤد الى النتائج المطلوبة اذ ان اكتشاف المرض في الجرذان متأخر وقت انتشار الوباء او بعده .

ولما كانت الجرذان هي مصدر الطاعون فمن الواضح ان خير طريقة لمكافحةه هو القضاء على الجرذان ، على ان هذا يكاد يكون مستحيلا كما اسلفنا . ولعل الطاعون اكبر قوة تفتك بالجرذان ولكنه مع ذلك لم يخفف من عددها . وعليه فلا بد من التدرع الى وسائل اخرى كجعل المدن غير صالحة لسكنى الجرذان وتقليل احتكاك الانسان بهذه الحيوانات والبراغيث معاً .

«وخير طريقة للتخلص من الجرذان هي جعل محيط المدينة اقل صلاحاً لمعيشة الجرذان من الريف وما دام الطعام في المدن وافراً فستبقى مصدراً للخطر فيها ، فمن الواجب حماية سوق الجبوب ومخازنها واتلاف فضلات الطعام وكل ما يمكن ان يصبح طعاماً للجرذان ، كما انه من الواجب تبليط الاحواش في البيوت وبناء البيوت في الآجر وازالة الابنية الخربة ونقل اوساخ المدينة الى محل بعيد عنها . فاذا تمت كل هذه الاشياء اضطرت الجرذان الى المهجرة خارج المدينة . ومثل هذه الامور لا يمكن ان تحدث إلا بالتدرج ما خلا اعداد طريقة جيدة للتخلص من اوساخ المدينة ومحافظة مخازن الاطعمة فانهما قابلان للتطبيق حالاً»^(١).

ان بيوت بغداد القديمة باجرها السيء وجصها المتناثر وسقوفها الخشبية

(١) التقرير السنوي لمديرية صحة مدينة بغداد سنة ١٩٢٢ ص ١٣ ١٤

وبالوعاتها التي تتوسط فناء الدار خبير ملاحج للجرذان . وما لم يتبدل طرز البناء (وهو الآن في طور التبدل) ويبدأ الاهلون باشاء ابنية فنية فسوف لا يمكن طرد الجرذان من المدينة .

وهناك عادات منتشرة بين السكان تساعد على انتشار البراغيث وبذلك تسهل انتقال الطاعون كالعادات الوسخة وقلة الاستحمام وقلة تغيير الثياب والمعيشة بين الاوساخ . زد على ذلك ان عدداً كبيراً من الناس يمضون حفاة طيلة السنة واغلب الاهالي ينامون على الارض ، وبذلك يسهل انتقال البراغيث اليهم . ومما لاشك فيه ان رفع مستوى المعيشة وتلقين العادات الجيدة هي من افضل الوسائل لمكافحة الطاعون الذي اخذت اهميته تقل في العراق نظراً للجهود الكبيرة التي بذلت لمكافحته .

(٥) الهیضة :

مرض آخر من الامراض المعدية الذي يعد من الاوبئة القتالة وعلائمه القيء والاسهال الشديدان ، واصفرار شديد في الوجه والجسم ، وغور في العينين وينتهي المرض عادة بالموت . وسببه جراثيم تدخل القناة الهضمية بواسطة الماء او الخضرات والفواكه وغيرها من المأكولات . والهیضة دخيلة في العراق لا اصيلة .

وقد انتشر هذا المرض ثلاث مرات في العراق بعد الحرب وذلك في صيف سني ١٩٢٣ ، ١٩٢٧ ، ١٩٣١ . وقد دخل العراق في المرتين الاوليتين من عبادان وفي المرة الاخيرة من موأى خليج البصرة . وتوفي في كل مرة ما يزيد على الالف نسمة .

اما في سنة ١٩٢٣ فقد انتقل المرض الى بغداد بعد اسبوع من تاريخ ظهوره في البصرة . وفي سنة ١٩٢٧ اتخذت دائرة الصحة تدابير شديدة لمنع مجيء المرض الى بغداد فنجحت بذلك ولم تحدث في بغداد إلا سبع اصابات من مجموع ١٤٧٩ اصابة لكل العراق . وكذلك نجحت تدابيرها سنة ١٩٣١ فلم تظهر اية اصابة لا في بغداد ولا في لوأي الحلة وكر بلاء الواقعين على الطريق بين بغداد والبصرة .

وافاعل طريقة لمكافحة الهیضة هي التطعيم ، فقد طعمت دائرة الصحة اكثر من ٣٠٠ الف نسمة سنة ١٩٢٣ ، و ٦٠٠ الف نسمة سنة ١٩٢٧ كما انها اجرت ٨٤٢٦٩٦٥ تطعياً سنة ١٩٣١ . والتطعيم يجري عادة لا في المحلات الموبوءة فقط بل في كل المحلات التي يمكن ان تنتشر اليها الهیضة و بذلك تتكون في الاهلين مناعة فيصبحون اقل عرضة للمرض وحينئذ ينتشر هذا الوباء بين الافراد القلائل يهربون من التطعيم فيصبحون مصدراً ينتشر منه الوباء في سائر انحاء القطر . ومن الوسائل التي تتخذ ايضاً لمكافحة انتشار الهیضة منع السفر بالدرجة الثالثة في القطار بين البصرة و بغداد و تفتيش الطرق تفتيشاً شديداً وعدم السماح بالمرور الا لمن يبرز وثائق تبين انه قد طعم مرتين وان آخر تطعيم كان قبل خمسة ايام على الاقل .

وتصنع دائرة الصحة الطعمة في مختبراتها في بغداد ، وقد صنع مثلاً الف طعمة سنة ١٩٩٣ و ٧٧٠ الفاً سنة ١٩٢٧ وكميات كبيرة جداً سنة ١٩٣١ . وكان عدد المصابين ١٦٤٠ شخصاً سنة ١٩٢٣ توفي منهم ١١٠٠ ، وفي

سنة ١٩٢٧ حدثت ١٤٧٩ اصابة^(١) وبلغ عدد الاصابات ٢٤٦٣ سنة ١٩٣١ توفي منها ١٥٤٩^(٢). على ان هذه الارقام هي اقل من الاصابات الحقيقية، وذلك لان الوباء كان ينتشر في كل مرة الى الاهوار الواقعة في شمال البصرة حيث لا توجد تاسيسات صحية وحيث لا يمكن اخذ الاحصاءات.

وفي البلاد عادات تساعد على انتشار الهيمضة منها العادة الشائعة لشرب مياه الانهر والقنوات والمستنقعات والبرك، ومنها اكل المخضرات الوسخة وغير المطبوخة، ومنها التغوط على سواحل الانهر وتلوث المياه بالجراثيم.

(٦) البلهارزيا:

لا يشغل مرض البلهارزيا مكانة مهمة بين احصاءات المستشفيات والمستوصفات، ولكن مديرية الصحة تقدر ان ٨٠ بالمائة من سكان العراق في الجنوب مصابون به^(٣). وسبب هذا المرض طفيلي يدخل جسم الخلزون فيبقى فيه مدة ثم يخرج فيعيش في المياه الراكدة داخل قشرة لا ترى بالعين المجردة، فاذا ما لامس الطفيلي جلد الانسان ترك القشرة واخترق الجلد ودخل الشرايين. ثم ينتقل من الدم الى المثانة ويسبب جروحاً فيها فتسيل الدماء وتسبب البول الدموي.

وقد اجري الدكتور هول بحثاً بين طلاب المدارس في البصرة فوجد ان من ٣٣٧ طالباً الذين امتحنوا سنة ١٩٢١-١٩٢٢ وجد ان ١٧٩ او ٥٣

(١) راجع تقرير الحكومة البريطانية عن ادارة العراق لسنة ١٩٢٣-١٩٢٤

مر، ٨٥-٨٨ ولسنة ١٩٢٧ ص ٨٥-٨٦

(٢) اعطيت هذه الاحصاءات في الجمعية الطبية في محاضرة للدكتور هيكس.

(٣) راجع تقرير الحكومة البريطانية عن ادارة العراق لسنة ١٩٢٩ ص ٦٢

بالمائة مصابون بالبلهارزيا ، ومن ٤٠٤ طلاب فحصوا سنة ١٩٢١-١٩٢٢ ،
 وجد ان ١٦٢ او ٤٠ بالمائة مصابون بالمرض نفسه . وتختلف نسبة المصابين
 بالمرض في الجنوب بين موقع وآخر ، فقد تكون ٣٠ بالمائة في الموقع الواحد
 و ١٠٠ بالمائة في الموقع الآخر . « وهناك بعض اقسام لواء الديوانية تعود
 الناس فيها البول الدموي فان وجد شخص غير مصاب بالمرض اعتبر ذلك
 امراً غير طبيعي » . والجانب الاكبر من اهالي الجنوب لا يعتبرون
 البلهارزيا مرضاً مهماً بل هو في عرفهم مجرد امر مزعج . وهذا هو احد
 الاسباب لعدم ظهور هذا المرض في احصاءات دائرة الصحة ، وعلى عدم
 اهتمام الناس به وسعيهم لمعالجته معالجة حاسمة .

ان خير وسيلة لمكافحة البلهارزيا هي قتل الحزون ، ومعنى هذا تجفيف
 بعض الاقنية مدة من الزمن الى ان يموت الحزون في تلك القناة . إلا ان
 هذه ليست طريقة عملية لانها تسبب ضياع الحاصلات لسنة كاملة في البقعة
 التي تسد القناة فيها .

(٧) الانكيوستوما :

الانكيوستوما احد الامراض الثلاثة التي تسبب مرض فقر الدم
 المنتشر بكثرة بين العراقيين . اما المرضان الآخران فهما الملاريا والبلهارزيا .
 ولم تكن السلطات الصحية قبل سنة ١٩٢٦ شاعرة بكثرة انتشار مرض
 الانكيوستوما في العراق ، ولكن الاحصاء في تلك السنة للمرضى
 الداخلين في المستشفى الملكي برهن على ان المرض واسع الانتشار في العراق
 فقد وجد ان من ٢٢٥٣ مريضاً دخل المستشفى الملكي كان مصاباً منهم ٨٣١

او ٣٦٩٩ بالمائة بالانكيوستوما ، وتعتقد السلطات الصحية ان هذه النسبة تمثل بوجه التقريب مقدار انتشار المرض بين السكان في العراق^(١) . ويظهر من توزيع المرضى الجغرافي بانه موجود في جميع انحاء القطر .

اما سبب الانكيوستوما فهو دودة رفيعة على شكل المغزل توجد عادة في الاراضي الرطبة والوسخة ، وتدخل الجسم بمد تقب الجلد وتنتقل بطريق الاوعية الدموية او اللمفاوية الى الرئتين ، ومنها تصعد الى القصبات فالحلق وتنزل في المري الى المعدة واخيراً تستقر في الامعاء الصغيرة . ان عادة سير معظم العراقيين حفاة وعلى الاخص في الارياف تسهل انتقال هذا المرض بينهم ، يشهد على ذلك ان معظم المصابين الذين فحصوا في المستشفى الملكي ببغداد كانوا من العمال في المزارع والمشتغلين بالطين وامثالهم .

(٨) السل :

يقع السل في المرتبة الثانية من الامراض المعدية ، ولا يفوقه في كثرة الاصابات إلا مرض الزحار ، وهو الثالث بين اصابات الامراض في مدينة بغداد ، والسادس بين اسباب الوفيات في المدن الكبرى حسب احصاءات سنتي ١٩٢٢ — ١٩٢٣ . وقد ازداد عدد المصابين بالسل بين سنتي ١٩٢١ — ١٩٢٢ من ١٧٨ مصاباً الى ١٩٧٦ . على ان هذا الازدياد هو ظاهري على الارجح ، وسببه زيادة الاتقان في تسجيل اصابات السل^(٢) .

(١) تقرير مدير الصحة العام سنة ١٩٢٦ ص ١١ — ١٢ والملحق الرابع من التقرير ص ٦٦ — ٦٧ .

(٢) راجع التقرير البريطاني عن ادارة العراق لسنة ١٩٢٣ — ١٩٢٤ ص ٩٢ وللسنة ١٩٢٥ ص ٥٣

لكن هذا العدد لا يمكن ان يكون هو العدد الحقيقي للمصابين بالسل ،
 فلا بد ان يكون عدد كبير من هؤلاء لا تعرف المؤسسات الصحية عنهم شيئاً .
 واحسن مثال لبيان الفرق بين عدد المصابين بالسل الحقيقي والعدد المسجل
 بدائرة الصحة يمكن ان نأخذه من مدينة بغداد ، فقد توفي بالسل في هذه
 المدينة ٦٨٨ شخصاً سنة ١٩٢٢ ولا بد ان عدد المصابين بالسل كان على
 الاقل ضعف ذلك او نحو ١٣٥٠ ، على ان عدد الاصابات المسجلة اذذاك
 كان ١١٣ فقط .

وا كبر المرا كز التي يكثر فيها السل في الوقت الحاضر على ما نعلم هي
 بغداد وكر بلاء والنجف . وتعتقد السلطات الصحية ان العدوى بالسل قما
 تأتي عن طريق الحليب لأن عدد البقرات المصابة بالسل قليل جداً . بل
 هو ينتقل على الاغلب في العراق عن طريق التنفس بوجه الآخري و بدخول
 الغبار الى الرئتين حاملاً جراثيم السل . اتنا نشك كل الشك في الزعم
 القائل بأن انتقال السل بواسطة الحليب قليل ، ولكننا لا نشك مطلقاً في
 ان التنفس المباشر هو من اهم طرق انتقاله فعادة البصق على الارض شائعة
 في العراق شيوعاً مريعاً ومعظم الناس لا يشعرون بما تجره هذه العادة من
 الويلات . ولما كان جو العراق مغبراً خلال ستة اشهر السنة على الاقل فان
 الجراثيم الموجودة في البصاق تنتقل بواسطة الغبار . زد على ذلك ان قلة الطعام
 وسوء التغذية عند الفقراء و فقر الدم الناتج من ذلك ومن امراض البلهارزيا
 والملاريا والانيكولستوما تضعف الاجسام وتجعلها معرضة لمرض السل .
 هذا ولا يوجد في العراق مصح خاص للمصابين بالسل ، بل يرسل
 المصابون الى مستشفى الاعتزال ، وهو مستشفى لعدد غير قليل من

الامراض المعدية . ولما كان السل من الامراض التي تنمو بكثرة فانه لا ينال من العناية ما يوقفه . ولذلك فان الاطباء لا يعرفون عن المرض عادة قبل ان يتقدم الى مدى بعيد فيصبح خطراً .

(٩) الامراض الزهريّة :

يبين الجدول التالي عدد المصابين بالامراض الزهريّة والمرجعين للمستشفيات والمستوصفات الصحية :

السنة	السفلس السيلان	القرحة اللينة	عدد المصابين	عدد الذين دخلوا المؤسسات الصحية	النسبة المئوية للمصابين
١٩٢٣	٤٦٧٠٥	٣٦٤٧٦	٨٦٦٨٧	٩٠٠٦٥٣٦	٠.٦٩٦ بالمائة
١٩٢٤	٥٦٣٣٣	٣٦٣٣١	٨٦٩٩٢	١٦٠٨٦٦٣٨٨	٠.٦٨٣ «
١٩٢٥	٦٦٥٦٤	٤٦٣١٣	١١٦٧٠٠	١٦٣١٥٦١٣٦	٠.٦٨٨ «
١٩٢٦	٦٦٩٣٩	٦٦٠٨٥	١٣٦٧٩٧	١٦٦٢٩٦٢٠١	٠.٦٨٤ «
١٩٢٩	١٤١٨٤	٨٦٦١٤	٢٤٦٠١٩	٢٦٥٩٠٦٢٦٢	٠.٦٩٣ «

ان هذه الاحصاءات مثل غيرها من الاحصاءات الصحية ناقصة جداً وذلك لان عدداً كبيراً من المصابين بالامراض الزهريّة لا يراجعون المؤسسات الصحية الحكومية ، ومنهم من لا يعلم انه مصاب . وان تشخيص مرض السفلس في معظم المستوصفات يكون بواسطة الظواهر الجلدية الخارجية ولذلك كثيراً ما يغفل الاطباء عن اصابات السفلس المعقدة التي لا دلائل خارجية لها (١) . ويمكننا فهم هذا الامر اذا علمنا ان هنالك عدداً من

(١) راجع مقالا عن الامراض الزهريّة وطرق مكافحتها للدكتور فتح الله عقراوي في جريدة العالم العربي السنة التاسعة ، الصادر في ٢٠-٢٣ نيسان - ١٩٣٢ .

المستوصفات لا طبيب فيها وان اطباء المستوصفات مثقلون بالشغل وخاصة في المدن الكبرى ، ومنهم من يعالج ٣٠٠ مريض اثناء ساعات الدوام الرسمية في يوم واحد . فلا يمكن ان يتاح له الوقت الكافي لفحص دقيق للمرض . ولا شك ايضاً ان كثيراً من المرضى يراجعون الاطباء الخصوصيين ولا تسجل اسمائهم في الاحصاءات الرسمية . وصفوة القول على حد ما جاء في التقارير الرسمية « ان عدد المصابين بالامراض الزهرية والذين يعالجون في المؤسسات الرسمية لا يمثلون إلا نسبة ضئيلة من مجموع المصابين بهذه الامراض في البلاد ^(١) » . ومن الادلة على كثرة انتشار الامراض الزهرية « العدد الكبير من النساء اللواتي تراجعن شعبة الامراض النسائية في المستشفيات لمراجعة امراض ناتجة عن عدوتهم للامراض الزهرية من ازواجهن ^(٢) » . ومن الادلة ايضاً كثرة الوفيات بين الاطفال بسبب الولادة قبل الاوان اذ السبب الاكبر لهذه الوفيات هو وجود الامراض الزهرية في الوالدين . وتجنرنا السلطات الصحية ان الامراض الزهرية هي اخف وطأة في ظواهرها مما هي في اوربا . وهذا يصح على السفلس خاصة ^(٣) .

ان بعض طرق المعيشة في العراق تساعد على انتشار السفلس خاصة كحلق اللحي عند حلاقين وسخين بامواس استعملت للغير دون تعقيم ، واستعمال المناديل المشتركة في الحمامات العامة وشرب الماء والقهوة بفناجين

(١) راجع تقرير مفتش الصحة العام لسنة ١٩٢٣-١٩٢٤ ص ٤٦

(٢) راجع التقرير المذكور اعلاه ص ٤٦

(٣) راجع التقرير المذكور اعلاه ص ٤٦ وكذلك تقرير مفتش الصحة العام

يستعملها الجميع . زد على ذلك ان عدداً من المرضى لا يكفلون معالجتهم فيعاودهم المرض بالطبع .

ان مشكل الامراض الزهرية متعلقاً تعلقاً وثيقاً ومشكل البغاء . والبغاء في العراق معترف به رسمياً ، وهناك مبالغ عامة في المدن الكبرى الثلاث فيها بغايا مسجلات . على ان هذا لا يمنع وجود بيوت البغاء السرية . وقضية الغاء البغاء لا تزال تحت الدرس من قبل السلطات الحكومية المختصة ، ويظهر ان الرأي السائد اليوم هو الغاء البغاء العلني في العراق ^(١) .

(١) راجع عن اسباب الاعتراف الرسمي بالبغاء العلني تقرير الحكومة البريطانية لسنة ١٩٢٣-١٩٢٤ ص ١٠١-١٠٢ ، لسنة ١٩٢٥ ص ٥٤ . اما عن البحث في سياسة الغاء البغاء فراجع مقالا للدكتور فتح الله عقراوي بعنوان «معضلة البغاء» في جريدة العالم العربي ، السنة التاسعة ، تاريخ ٧ ايار سنة ١٩٣٣ . وقد دافع الدكتور عقراوي عن عدم الغاء البغاء الرسمي في مقاله هذا ولكنه عاد فغير رأيه في هذا الموضوع بعد دراسة القضية بالتدقيق في اهم البلاد الاوربية . راجع مقالاته عن الطرق المستعملة لمكافحة البغاء في مختلف البلاد الاوربية في جريدة البلاد لشباط سنة ١٩٣٥ . راجع ايضا تقرير الدكتور علي غالب عن «مشروع الغاء البغاء» المنشور في جريدة الطريق ابتداء من ١٩ شباط سنة ١٩٣٥ .

الفصل السادس

المشاكل الاجتماعية

سنستعرض في هذا الفصل بعض المشاكل المهمة في الحياة الاجتماعية العراقية مبتدئين بأهمها وابعدها تأثيراً في المجتمع العراقي وهي قضية منزلة المرأة والاطفال والعائلة . ثم ننتقل الى الحياة عند العشائر فنلاحظ باختصار ما فيها من اوجه ، وما يعترض تحضير العشائر من معضلات ، ونعقب ذلك بوصف مختصر للحياة في المدن ومختلف الطرق التي يتلهم بها العراقيون ، ونهني الفصل ببحث عن الخرافات والاعتقادات الباطلة المستحوزة على عقول السواد الاعظم من العراقيين ونرفق ذلك بمجموعة من الخرافات تزيد على المئة .

١ - المرأة والطفل

والحياة العائلية

موضوع منزلة المرأة في المجتمع العراقي من اعظم المواضيع اهمية لان المرأة هي نصف المجتمع ولانها ركن كبير في كل بيت وعائلة ولها تأثيرها البالغ في الحياة الشخصية لكل فرد وفي تربية الناشئين . والموضوع فوق ذلك شديد التعقد وحساس يصعب على الكاتب فيه ان يعالجه دون ان يثير نعرات مختلفة وذلك لما يكتنفه من تقاليد وعادات وتشريع ديني ومدني ، ولانه لمس حياة الافراد والجماعات في صميمها . لذلك فقد اعرضنا على قدر الامكان

عن الدخول في المواضيع المختلف عليها والتي اثارت مناقشات حادة في الحسين سنة الاخيرة واكتفينا في الغالب على ذكر الحقائق والنقاط البارزة .

ويزيد في تعقد الموضوع اختلاف العادات والتقاليد بين البدو والحضر ، وبين العناصر العربية وغير العربية ، وبين الاديان المختلفة . ولذلك فمن الصعب جداً الخوض في الموضوع بصورة عامة فانه وان كانت الاسس في الغالب واحدة إلا ان الاختلافات في العادات كثيرة ايضاً . وقد حاولنا ان نأخذ هذه الاختلافات بنظر الاعتبار ونذكرها ايضاً ، على ان القارئ لا بد له ان يدرك ان معالجة جميع الاختلافات والشذوذ غير ممكن في فصل اجمالي مثل هذا .

ولا يمكننا ان نقول ان موضوع المرأة قد عولج معالجة دقيقة واساسية من قبل الباحثين والكتاب المحدثين في البلاد العربية معالجة تظهر النقاط المهمة فيه ومؤسسة على فلسفة اجتماعية عصرية . فقد اكتفى معظم الذين طرقتوا هذا الموضوع الحيوي بابحاث سطحية فيه لا تتعدى في غالب الاحيان موضوعي السفور والحجاب ، والتبرج والزينة عند النساء . وكلا الاثمين في نظرنا ثانوي بالنسبة للقضايا الاخرى المتعلقة بالمرأة مثل قضايا الزواج والطلاق ، وتعدد الزوجات ، والزواج الباكر ، وحقوق المرأة المدنية ، والعوامل الاقتصادية المؤثرة على منزلة المرأة ، ومقام المرأة في المجتمع وعلاقتها بالرجل ، وبالمرن الحرة وبالذولة وغير ذلك من القضايا الجوهرية والحيوية . ولا نذكر اننا قرأنا في اللغة العربية بحثاً او كتاباً حديثاً تعمق في درس

قضية المرأة من جميع نواحيها على قواعد واسس اجتماعية وعلمية وعصرية (١).
وما قضية المرأة إلا قضية معالجة منزلتها الواطئة في البلاد العربية والشرق
الاذنى ورفع مستواها وتهذيبها وتحررها ومن ثم وضعها في مقام يدعو الى
احترام المجتمع لها والى ازدياد احترامها لنفسها وثقتها بنفسها . وما الحجاب
إلا جزء من هذه القضية العامة يزول بصورة طبيعية بنتيجة ارتفاع منزلة المرأة .
وما التبرج والمبالغة في الزينة إلا ظواهر تقليد ناتج عن سوء فهم للمرأة
الغربية يزول بتهذيب ذوق المرأة العربية .

ان من يقابل بين حالة المرأة في العراق والمرأة في البلاد الغربية يجد بوناً
شاسعاً بين الحالتين ، فالمرأة في الغرب حرة لها منزلتها المحترمة ولها نصيبها
الكبير من الحياة الاجتماعية وهي تشاطر الرجل في كثير من اعماله وتكاد
تكون مساوية له عند بعض الامم . اما في العراق فالمرأة تكاد تكون
منعزلة عن الرجل انزاعاً تاماً ما خلا محيطها العائلي حتى يصح ان يقال الى
حد بعيد ان المجتمع العراقي منشطر الى شطرين وان شئت فقل انه منقسم الى
عالمين : عالم الرجل وعالم المرأة . اما الاول فواسع غير محدود يقوم اعضاؤه
بكافة شؤون الحياة ويتمتعون بها ، واما الثاني فمنحصر ضمن نطاق البيت
على الاغلب ولا يلعب اعضاؤه دوراً مهماً في الحياة العامة . ويبلغ هذا
الفصل بين الجنسين اشده في المدن إذ ان معظم النساء فيها محجبات

(١) لا يزال قاسم امين في رأينا احسن من عاليج قضايا المرأة في العالم العربي في
كتابه « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » بالرغم من مرور نحو الاربعين سنة
على ظهور الاول منهما . وهذه ظاهرة مؤسفة تدل على الجمود العقلي المستحوذ على
الباحثين عندنا وعلى قلة بضاعتهم العلمية والاجتماعية ، وربما على مقدار شجاعتهم ايضا .

ومنعزلات عن العالم الخارجي ، وهو اخف من ذلك بكثير في الارياق
وبين العشائر إذ ان النساء تشتغلن في الحقول مع الرجال وتظهرن غير
محجبات ما عدا نساء الشيوخ و بعض الوجوه .

الزواج :

الزواج في العراق ، كما في بقية العالم الاسلامي ، عقد بين الرجل والمرأة
قابل للمسوخ بالطلاق . فهو يتوقف إذن على رضا الطرفين المتعاقدين . على ان
التقاليد الشائعة تمنع العريس من مشاهدة احدهما للآخر قبل الزواج وإنما يقوم
بتمهيد الطريق للزواج اقرباء العريسين . واغلب ما يكون ذلك بان تذهب
النساء من بيت العريس الى بيت العروس لمشاهدتها فان راقت لمن ذهب
والد العريس او اكبر اقربائه من الذكور الى والد العروس او الى وليها
فيخطبها للشاب فان حصل الرضا جرى الاتفاق على مقدار المهر . ومن
الواجب اخذ رضا الفتاة ان كانت بالغة ، اي ان تجاوزت الخامسة عشرة
من عمرها ، على ان هذه القاعدة الحكيمة تهمل ولا تطبق في كثير من
الاحيان وتستعمل اساليب متعددة للتخلص منها . ومن العادة ان ينوب
عن العروس في اعطاء رضاها شخص ثالث وقت اجراء العقد . اما المهر
فان الغرض الاصيل منه حماية المرأة اذا مات زوجها او طلقت ، إلا انه
يساء استعمال هذه القاعدة في كثير من الاحيان اذ يسعى بعض الآباء الى
الحصول على فائدة مادية فيصرون على طلب مهر كبير ، فيكون عملهم هذا
بمثابة بيع ابنتهم كسلعة . وكثيراً ما تؤدي هذه المساومة على المهر الى عدم
الاتفاق فيفشل مشروع الزواج وكثيراً ما يضطر الرجل الى تأخير زواجه

لعدم حصوله على المال الكافي لدفع المهر . وقد أصبحت هذه القضية من القضايا الاجتماعية المهمة . وظهرت أخيراً حركة بين الطبقات المهذبة لتحديد مقادير المهر الفاحشة وخفضها الى مقادير ضئيلة واسمية . ويقسم المهر الى قسمين ، يدفع اولهما عند الزواج ويؤجل الثاني فلا يدفع إلا عند الطلاق ، فيكون رادعاً للطلاق . ومن العادات الشائعة ايضاً زواج اولاد العم ولكنها اكثر شيوعاً في العشائر مما في المدن ^(١) .

وتعدد الزوجات متبع في العراق فهو مباح في الاسلام بحكم الآية الثالثة من سورة النساء القائلة : « وإن ختم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان ختم ألا تعدلوا فواحدة ... » على ان هذه العادة اخذت ثقل في المدن وخاصة بين الطبقات المهذبة . اما في الارياف والعشائر فهي اكثر شيوعاً ولو كان الزواج القروي هو السائد . وقد تشجع الحاجة الاقتصادية بعضهم على التزوج بأكثر من امرأة واحدة إذ تساعد الزوج في الحقول . وليست لدينا مع الاسف احصاءات عن تعدد الزوجات في العراق .

والزواج الباكر شائع ، فقد يتزوج الذكور في سن الخامسة او السادسة عشرة من عمرهم . اما البنات فدون هذا العمر وعلى الاخص بين العشائر . إلا ان انتشار التعليم بين الرجال والنساء وارتفاع مستوى المعيشة يعملان

(١) ظهرت في عدد ١ حزيران سنة ١٩٣٣ من جريدة الاهالي مقالة بعنوان « بخصوص الاصلاح الاخلاقي - لماذا لا اتزوج » . وذكر الكاتب في جملة ما ذكره سببين هامين عن عدم الزواج وهما المهر وعدم رؤية الخطيبة . راجع ايضاً قاسم امين تحرير المرأة ، ص ١٤٠-١٥١ .

على ارتفاع سن الزواج في المدن بالتدريج . وعند الشيعة شكل من الزواج الموقت يعرف بالمتعة وهو عقد الزواج لمدة معينة ينتهي بانتهائها .

الطلاق :

يمكن حل عقد الزواج بالطلاق . ومع ان طرق الطلاق متعددة فان الطريقة الاعتيادية هي ان يطلق الرجل زوجته ثلاثاً دون مراجعة الحاكم . اما المرأة فليس لها حق الطلاق إلا في بعض الاحوال الخاصة وذلك بمراجعة الحاكم الشرعية . ولكن يندر للمرأة ان تفعل ذلك في العراق . ويجب ان نلاحظ هنا ان الاسلام مع سماحه بالطلاق يعتبره امرأً مستهجنًا عملاً بالحديث المأثور : « انقض الحلال عند الله الطلاق » . وفي القرآن شروط وقواعد ثقيلة للطلاق^(١) ، وفيه تنبيه للمؤمنين بان ينصحوا الزوجين ويتوسطوا للاصلاح بينهما . ويعطى الرجل مهلة ثلاثة اشهر لاسترجاع زوجته بعد الطلاق . وفي الدين الاسلامي احكام دقيقة في كيفية معاملة المرأة الحامل المطلقة قبل الولادة وبعدها . ويبقى الولد بعد الطلاق عند امه عادة حتى السابعة من عمره فتتقاضى الام نفقة من زوجها السابق لاعاشته ، وللاب حق اخذ الولد بعد السابعة .

الزواج عند غير المسلمين :

لقد تخلق غير المسلمين من اهل البلاد وهم قليلو العدد باخلاق الاكثرية المسلمة واقتبسوا كثيراً من عاداتهم ، ومن هذه عادات كثيرة متعلقة بمركز

(١) راجع سورة البقرة ، الآيات ٢٢٢-٢٣٧ ، وسورة النساء الآيات

٣٤-٣٥ و ١٢٩ وسورة الطلاق الآيات ١-٧ .

المرأة والزواج . فكانت المرأة المسيحية مثلاً محجبة الى عهد قريب في بعض المدن وكان الشبان والشابات يخطبون ويزوجون دون ان يرى احدهما الآخر ، ولا يزال الاهل يلعبون دوراً كبيراً في تمهيد امور الزواج وعلى الاخص اهل العروس . على ان هذه التقاليد اخذت تزول بالتدريج وقلما يتزوج اثنان الآن دون ان يرى احدهما الآخر وقد يسبق الزواج في بغداد عشرة طويلة بين القتي والفتاة . والزواج عند غير المسلمين غير قابل للفسخ بالطلاق (١) . وتعدد الزوجات ممنوع .

وعند يهود بغداد عادات غير مستحبة في الزواج فعلى والد الفتاة دفع مبلغ من المال للزوج عن ابنته حين الزواج وهذا عبء ثقيل على الآباء خاصة إذا كان لاحدهم اكثر من ابنة واحدة ، فضلاً عن انه يجعل الزواج صفقة مالية لا تنتهي إلا بعد مساومة بين الجانبين . وكلما كان الوالد اغنى كلما كان المبلغ اعظم . وهناك سماسة للزواج مهمتهم ان يعرفوا الشبان بينات لاقتات لهم ويأخذون اجرتهم من والدي الفتاة . إلا ان هذه العادة غير موجودة بين العائلات اليهودية الراقية (٢) .

الحجاب :

الحجاب ابرز مظاهر الفصل بين الرجال والنساء . وهو نقاب تضعه المرأة على وجهها فتخفيه عن الانظار . وعباءة او (ازار) تغطي بها ثيابها من قمة

(١) لقد اخذت احدى الطوائف المسيحية بعد الحرب تسمح بالطلاق في حالة ثبوت الزنا على المرأة وذلك بقرار من رئيس الطائفة .

(٢) للاطلاع على هذه العادات راجع : Stevens, E.S., By Tigris and

رأسها الى أخص قدميها . وليس الحجاب كما يعتقد الكثيرون من الغربيين
وبعض من الشرقيين من الاشياء التي ادخلها الدين الاسلامي في المجتمع
العربي والشرقي فقد سبق وجود الحجاب الاسلام بقرون عديدة . ولم تكن
النساء في اوائل عهد الاسلام محجبات ويغلب على الظن ان الحجاب دخل
الى المجتمع الاسلامي من الامم المغلوبة حين الفتح وبعده . ويظهر ان معظم
علماء الدين الآن متفقون على ان الاسلام يسمح للمرأة باظهار وجهها
ويديها (١) .

والحجاب منتشر اليوم بين المسلمات في المدن وعند نساء الاشراف
والشيوخ في الارياف . وكانت النساء المسيحيات واليهوديات في الموصل
محجبات الى زمن قريب ولا تزال بعض النساء اليهوديات يخرجن محجبات
في بغداد .

ولقد بدأت الثورة على الحجاب في مصر في اواخر القرن التاسع عشر
اذ كتب قاسم امين الذي تلمى دروسه في اوربا كتابه « تحرير المرأة »
وخصص الفصل الثاني منه لموضوع الحجاب (٢) . وكان لهذا الكتاب دوي
عظيم وقوبل بزوجة من المقالات والكتيب بين محبذ وناقذ . اما انصار
السفور فقد ادعوا ان الحجاب ليس من الاسلام في شيء وانه يحط من قدر
المرأة ويجعل امر تهذيبها صعباً فضلاً عن انه لا يمنع سقوط المرأة . وانه
يحدد تجارب المرأة ويجعلها غير لائقة لتربية اولادها ويحرمها من الاشتراك

(١) راجع كتاب الشيخ مصطفى الغلايبي « نقد كتاب السفور والحجاب » ص ٤٤ .

(٢) قاسم امين : تحرير المرأة ، الفصل الثاني « حجاب المرأة » ، الطبعة الجديدة

في امور الحياة الاعتيادية . واما دعاة الحجاب فقد زعموا ان الاسلام يفرض الحجاب وانه لازم لصيانة عفاف المرأة ، وانه لا يحول دون تعليم المرأة ، وان انصار السفور انما يقلدون الغرب تقليداً اعشى ويسعون الى افساد اخلاق النساء .

واستمر الجدل سنوات عدة وكان له صدى في سوريا والعراق ثم هدأ قبيل الحرب العامة وبعدها . بيد ان كتاباً عن هذا الموضوع ظهر سنة ١٩٢٨ بقلم آنسة سورية بعث الحركة من جديد رغم ظهوره متأخراً عن تاريخ ذلك الجدل (١) . وقد كاد الحجاب يزول في مصر ، اما في سوريا فهو لا يزال منتشراً في كثير من المدن . واما في العراق فلا تزال المرأة المسلمة وبعض النساء اليهوديات محجبات ولم يقدم على رفع الحجاب إلا النزر اليسير من نساء العراق . والمرأة في القرى تخرج سافرة على الاغلب كما ذكرنا سابقاً .

المرأة في العشائر :

تختلف منزلة المرأة عند العشائر عن منزلتها في المدن في بعض نقاط مهمة ولذلك فهي تستوجب معالجة خاصة هنا . لقد اشرنا فيما سبق الى العرف المتبع بأحقية ابن العم بزواج ابنة عمه ، وهو عرف شائع بين العشائر يكاد يكون له حكم القانون . وهو شائع بين بعض سكان المدن ايضاً وخاصة من كان منهم منحدرًا من العشائر . على ان هذه العادة ليس لها من القوة في المدن ما لها عند العشائر . ويبلغ من قوة هذه العادة عند العشائر انه لا يحق لغريب ان يتزوج من فتاة مالم يرضى

١ نظيرة زين الدين : السفور والحجاب ، بيروت سنة ١٩٢٨ .

بذلك ابن عمها وكثيراً ما يمتنع ابن العم عن التنازل عن حقوقه إلا إذا اعطي تعويضاً اما بالمال او بالجمال او بما يشبه ذلك. وقد يمتنع ابن العم عن التنازل عن حقوقه بتاتاً فينهى القتي او يتهدد والد الفتاة بالقتل اذا هو زوجها من غيره .

ومن العادات الشائعة عند العشائر اعطاء الفتيات بالفصل. والفصل هو تعويض تدفعه عائلة القاتل او عشيرته الى عائلة القتيل وقد يكون مالاً او فتيات يزوجن من بعض الرجال من اقرباء القتيل او مالاً وفتيات معاً . واذا اتفق انه لم يوجد في عائلة القاتل فتاة قد بلغت سن الزواج تعين فتاة صغيرة فتؤخذ بعد بلوغها . ومثل هذا التدبير له حسنة التقريب بين عائلة القاتل والقتيل وحسم نزاع بينهما قد يؤدي الى الزيادة في اراقة الدماء طلباً للثأر (١) .. إلا انه صعب جداً على الفتاة إذ انها في معظم الاحيان تعامل باحتقار وقسوة إلا اذا تمكنت من اكتساب حب زوجها وافراد عائلته الآخرين .

وقد يصادف المحب معارضة من اهل الفتاة فيختطفها سراً ويتزوجها اذا كانت الفتاة راغبة بذلك إلا ان هذا الخطف يعرض الاثنين الى خطر القتل اذا ما قبض عليهما ، اما اذا نجحا فالتجأ الى قبيلة اخرى فانهما يصبحان في حماها تبعاً لعادة الضيافة المشهورة عند العرب منذ القدم . ثم تجري بعد ذلك المفاوضات مع قبيلة الفتاة لحسم المسألة وذلك بان يدفع الزوج ديداً من الجمال وقدرًا من المال تعويضاً لاهل الفتاة او لابن عمها

(١) راجع Mann, J.S., An Administrator in the Making, PP 220-221.

صاحب الحق بها . وعادة الاختطاف هذه تمكن الشاب الجريء من تزوج الفتاة التي يهاها رغم الاخطار والعقبات التي تحول دون ذلك كالمهر او كمعارضة ابن العم .

ويحرص العرب حرصاً شديداً على شرف المرأة وعفافها ويعتبرون المرأة الساقطة عاراً على جميع افراد العائلة . ومن واجب والدها او اخوتها او اقرب الرجال اليها محو هذا العار بقتالها والا فلا يتمكنون من رفع رؤوسهم بين رجال العشيرة . ورب اشاعة باطلة حول امرأة قد تؤذي احياناً الى قتلها (١) وقد وقعت فعلا حوادث عديدة من هذا القبيل بين العشائر وحتى في المدن كالموصل وبغداد . وكانت مثل هذه الجرائم كثيراً ما تحدث في الماضي فتهمل ولا يجري عنها اي تحقيق ، اما الآن فالحكومة تقبض على المجرمين وتحيلهم على المحاكم . إلا ان المحاكم تتساهل على الاكثر في فرض العقوبات في مثل هذه الجنايات لأنها تعتبرها دفاعاً عن الشرف فلا تصدر عقوبات صارمة عليها . والارجح ان جرائم مثل هذه لا تزال تحدث عند العشائر فيخفي كثير منها فلا تطلع عليه الحكومة .

وتختلف حياة المرأة في الريف وعند العشائر عما هي في المدن . فللرأة في الارياف سافرة عادة وتشتغل كثيراً . فهي تعني بأولادها وتدبر المنزل وتخبز الخبز وتحضر الطعام وتجلب المياه من النهر في الجرار او القراب الثقيلة وتشتغل في الحقل مع زوجها وترعى الماشية وكثيراً ما تقطع المسافات الشاسعة تحمل الحليب او البيض او غير ذلك لبيعها في المدن . اما الفقيرات منهن

(١) راجع Stevens, E. S., By Tigris and Euphrates, PP. 275-278

فتجتمعن الحطب والشوك وتحملتها في حزم على ظهورهن او ظهور الحميز
وتبعنها في المدن .

والحب البريء معروف بين العشائر البدوية واقل شيوعاً عند العشائر
نصف المتحضرة . اما الاختلاط الحر بين الجنسين فمحظور . وتمتع المرأة
عند بعض العشائر الكردية في شمال العراق بحرية اكثر من المرأة العربية .
وكثيراً ما تشاهد النساء ترقصن مع الرجال في الاعراس والاعياد ، ولذلك
فالزواج المبني على الحب ليس نادراً بينهم ^(١) .

أثر هذه الحالة في العائلة :

ان الاحوال التي وصفناها ترينا بوضوح الفرق العظيم بين العائلة
العراقية والعائلة الغربية . فالعائلة العراقية من النوع الابوي الذي
يسيطر فيه الوالد على افراد عائلته سيطرة تامة . فالاب هو سيد البيت
وحاكمه يخضع له جميع اولاده وتخضع له امرأته . ولذا كور ما عدا
الاب الاسبقية على الاناث والسيطرة عليهن إذ ان النساء تعتبر انزل
درجة من الرجال وفي معظم البيوت يتناول الرجال الطعام لوحدهم وتقوم
النساء بخدمتهم ثم تأكل النساء لوحدهن . ان الشعور برابطة الدم بين افراد
العائلة الواحدة قوي ومثل ذلك الغيرة على مصلحة ابناء العائلة والشعور
بالمسؤولية عن شرف المرأة (العرض) . على انه يجب ان نلاحظ بجانب
ذلك ان الصلة العاطفية بين افراد العائلة ، تلك الصلة التي هي مزيج من
الحب والصداقة المتبادلين بين الاب واولاده وزوجته والتي تلخص عند

(١) راجع Soane, E. B., To Mesopotamia and Kurdistan in

Disguise, PP. 237-299.

راجع ايضاً : Hay, W, R., Two Years in Kurdistan, PP. 24-43.

الغربيين بكلمة البيت (Home) او الحياة البيئية (Home life) هي اضعف عندنا مما هي في بلاد الغرب . فان الرجال يقضون معظم اوقاتهم خارج البيت ، في العمل اثناء النهار ، وفي المقاهي في اوقات الفراغ . وفي مثل هذه الحالة لا تكون سوية البيت في الغالب أعلى من محل يجد الرجل فيه منامه وطعامه وتربى له فيه اولاده . وما الزوجة اذذاك إلا متولية لشؤون الدار لا ترتفع منزلتها في بعض الاحيان عن منزلة الخادم .

اسر هذه الحالة في الحياة الاجتماعية :

ان ما ذكرناه عن المرأة حتى الآن لا يترك شكاً عند القاري بضعة منزلتها . فالمرأة العراقية مقيدة بقيود اجتماعية وتقليدية ثقيلة ومنعزلة عن العالم . وعزلتها هي سبب جهلها وقلة خبرتها وتغلب الخرافات على عقليتها . فاصبحت المرأة وهي نصف المجتمع عبئاً ثقيلاً على النصف الآخر وهو يجد ذاته ليس كثير القوة بل لا تزال اكثر ثقله ضعيفة وجاهلة . وفي هذه الحالة خطر كبير على البلاد العراقية إذ انها تضعف الامة وتشل حركتها وعملها . ولعل خير دليل على ذلك نسبة وفيات الاطفال العظيمة في العراق وهي ليست إلا وليدة جهل الابوين وعلى الاخص الامهات تربية الاطفال والعناية بهم . فقد سبق لنا ان بينا في الفصل السابق ان الوفيات بين الاولاد الذين هم دون سن الواحدة من العمر تتراوح في العراق بين ٢٠٠ و ٣٠٠ في الالف وهي أعلى من ذلك في بعض الجهات . وان العراق يدفع ثمن جهل نسائه غالباً و بأرواح اطفاله .

الاسلام ورفع مستوى المرأة :

مما لا شك فيه ان حالة المرأة تدعو الى الاصلاح السريع فان منزلتها اليوم هي اوطأ بكثير من المنزلة التي منحها لها الاسلام وكثير من العادات الضارة المتبعة بشأن المرأة اليوم ليست من الاسلام في شيء ولكنها دخيلة على المجتمع كأن تزف البنت في بعض الاحيان الى رجل دون ان يؤخذ رضاها ، وكأن تجبر البنت على زواج ابن عمها ، وكأن يساء استعمال المهر فتباع البنات من أجل الدرهم كالمسحوق ، او كأن تعطى البنات بالفصل بين العشائر وغير ذلك . ومن اهم طرق الاصلاح محاولة رفع منزلة المرأة الى المستوى العالي الذي شرعه لها الاسلام واعطاؤها بصورة عملية الحقوق التي اعطاها لها . فاذا اضيف الى ذلك بعض التشريع الحديث الذي تقتضيه حاجات العصر مما لا يتعارض مع تعاليم الاسلام تصبح سوية المرأة في العراق لا تقل في شيء عن سوية المرأة الغربية .

لقد منح الاسلام المرأة بعض الحقوق التي تتمتع بها المرأة في بعض انحاء الولايات المتحدة الاميركية اليوم^(١) . وهانحن نذكر بعض هذه الحقوق حتى لا يسند اليها الغلو فيما نقول .

ساوى الاسلام شرعاً بين الرجل والمرأة في بعض الامور فأعطى للمرأة حق التملك والتصرف بأموالها ومستقلة عن اموال زوجها واملاكه .

(١) راجع Crabites, P., " Things Mahomet did for Women,"

Asia, Vol. 24, January, 1927 PP. 44-45.

وكتب هذا المقال رجل اميركي قضي عدة سنوات كقاضي في محاكم مصر المختلطة وقد درس بشيء من التدقيق منزلة المرأة في الشريعة الاسلامية .

وقد منحها حق الاستيراث من والدها او احد اقربائها . وحصه المرأة في الارث عادة نصف حصه الذكر من اعضاء العائلة . وهي فوق ذلك تأخذ المهر من زوجها . والعادة ان يقسم المهر قسمين : قسم يدفع حين الزواج وقسم مؤجل يدفع في حالة الطلاق وهو نوع من الضمان . والزواج عقد مدني بين الطرفين ، وهذه حكمة بليغة إذ في الامكان وضع الشروط اللازمة في العقد لحفظ حقوق الزوجة ، كأن يبقى في العقد مثلا حق طلب الزوجة للطلاق إذا تزوج زوجها بزوجة ثانية . ومن حقوقها ايضاً ان يؤخذ رضاها قبل الزواج . وقد اشرنا سابقاً الى الشروط والقيود التي وضعها الاسلام على تعدد الزوجات والطلاق . وللام حق طلب النفقة من ولدها^(١) . أضف الى ذلك ان التقاليد المرعية تسمح للمرأة بالاحتفاظ باسمها بعد زواجها . والمهم في هذه الاحكام انها وضعت في القرن السابع بعد الميلاد في مجتمع بدوي في الجزيرة العربية حين كانت المرأة تعتبر احط درجة من البشر ، وكانت بعض القبائل تند بناتها خشية العار الذي قد يجلبنه على اهلين . ولو فسرت هذه الاحكام بصورة حرة اثناء الثلاثة عشر قرناً الماضية لكانت منزلة المرأة الاسلامية ارقى بكثير مما هي عليه اليوم . والواقع ان المرأة في صدر الاسلام قد شاركت الرجل في الحياة العامة . فقد خرجت النساء لمؤاساة الجرحى واعانتهم في غزوات النبي . واشتركت عائشة زوج النبي في واقعة الجمل . وذهب ابو حنيفة الى ان للمرأة حق تولي منصب القضاء كالرجال . واشتهرت كثيرات من

(١) راجع ذلك في المصدر اعلاه وفي كتاب Ameer Ali, The Legal Position of Women in Islam.

النساء بالفنون والآداب^(١). إلا ان التقاليد في الصحراء شديدة الرسوخ فحافظ العرب الذين نزحوا الى العراق وسوريا ومصر على كثير من تقاليدهم البدوية حتى اليوم. اضيف الى ذلك عزلة المرأة بدخول الحجاب الذي لم يعرفه العرب من قبل والذي اقتبسوه من بعض البلاد المغلوبة وكان في الاصل علامة فارقة بين الجنسين. وهكذا دخلت كثير من العادات التي لم تكن عند العرب من قبل.

المستقبل:

ان الاحوال الحاضرة تبعثنا على التفاؤل بمستقبل المرأة العراقية. فقد نالت المرأة في المدن شيئاً من الحرية رغم احتجاجها، وازداد عدد مدارس البنات في المدن الكبيرة اولاً. وها نحن نرى مدارس البنات تتغلغل في المدن الصغيرة والقرى بالتدرج مع ان ارسال البنات الى المدارس كان قبل عشرين سنة امراً لايجراً عليه إلا القلائل. ولعل انتشار التعليم بين الرجال اعظم عامل في تحرير المرأة. فان الرجل المهذب لا يرضى بوجود امرأة جاهلة في عائلته^(٢). وقد خفف الاحتكاك بالغرب واسفار بعض العراقيين نساء ورجالا الى الخارج من وطأة الروح الرجعية في قضية المرأة. اضيف الى ذلك تأثير ظهور النساء الغربيات في شوارع الموصل وبغداد والبصرة سفارات بثيابهن الاوربية وقد قلدتهن سريعاً المسيحيات واليهوديات بسرعة. اما

(١) راجع كتاب أمير علي المذكور اعلاه ص ٢١-٢٤

(٢) «حتى المحافظين اخذوا يسلمون لانفسهم (ولو أنهم لا يصرحون بذلك لغيرهم)

ان الرجل المهذب والمرأة الجاهلة لباساً افضل بكثير من زوجين جاهلين»، راجع التقرير البريطاني الخاص عن تقدم العراق ص ٢٢٥.

النساء المسلمات من الطبقات الراقية فقد اخذن بالرغم من الحجاب يلبسن
 الثياب الاوربية الحديثة على آخر طرز و بعضهن يقابلن الزائرين في بيوتهن .
 وقد تمكنت وزارة المعارف خلال السنوات الاربع او الخمس الاخيرة من
 ارسال البنات للدرس في الخارج على نفقة الحكومة . وهذا امر لم يسمع به
 من قبل وكان وقوعه قبل عشرين سنة يعتبر مستحيلا . هذا وان لما يجري
 في البلاد المجاورة من تقدم في منزلة المرأة صدى في العراق ايضا . فالغاء
 الحجاب في تركيا وادخال القوانين السويسرية التي تقضي بتساوي المرأة
 والرجل في الارث ، وفتح ابواب المدارس العالية والتوظيف امام المرأة ،
 ورفع المرأة المصرية الحجاب واشتراكها في الحركة القومية ومطالبتها بحقوقها
 واصلاح حالتها كمنع تعد الزوجات وتحديد سن الزواج من الامور التي لا يمكن
 ان تمر دون ان تؤثر على حالة المرأة العراقية ومنزلتها .

الاطفال :

يجابه معظم اطفال العراق منذ ولادتهم ظروفًا واحوالًا غير ملائمة
 لصحتهم ونموهم الطبيعي . فلا تنال المرأة الحامل قبل الولادة ما تحتاج اليه من
 العناية ولا تراعى شروط النظافة كثيراً حين الولادة . ويحيط بالطفل اثناء
 نموه جو مشبع بالخرافات والجهل . وقد ذكرنا آنفاً ان نسبة وفيات الاطفال
 في العراق عالية جداً .

ان حالة الاطفال بين الطبقة الغنية والوسطى في المدن من حيث الثياب
 والنظافة معتدلة . اما اولاد الطبقة الفقيرة واولاد ا كثرية العشائر وسكان
 القرى فيسيرون حفاة ويلعبون في الشوارع والاحوال ومنظرهم قذر ويؤلم .

ولا يزيد لباس اولاد القبائل عادة على القميص وهو عادة ممزق وقدر جداً .
وما اكثر الاطفال الذين تشاهددهم عراة في الارياض ايام الربيع والصيف
يلعبون بالتراب وعلى سواحل الانهر . وهذا بالطبع يساعد على رسوخ العادة
الوسخة القبيحة بينهم (١) .

ويقتبس الطفل العراقي كثيراً من العادات الاجتماعية الضارة من محيطه
كالسب والشم والتفوه بكلمات الفحش التي يلقنها لا من الشارع فقط بل في
بيته ايضاً . وعصابات اولاد الشوارع كثيرة ولكنها آخذة في الزوال لان
المدارس تعمل على اضمحلالها الآن . والعادة الشائعة بان لا يتكلم الصغار
بمحضور الكبار مالم يسألوا ، وينتظر منهم ان يحافظوا على الهدوء والرزانة ،
ونحن نرى نتيجة ذلك على وجوه الاطفال مظاهر رزانة مصطنعة وغير
مستحبة تقتل فيهم روح الاندفاع والنشاط .

وللاولاد ألعاب خاصة يلعبونها في الشوارع او الحقول كاللعب بالكرات
الرخامية وبالكعب وبنوى المشمش او غيره من الاثمار . اما البنات
فيلعبن « الطمة » . ومن الالعب ايضاً لعب الاختفاء ، والخطوتين وقفرة ،
وانواع من اللعب الركض والقفز الكرة ويمارس اولاد العشائر وكبارهم لعبة
الكرك وهي شبيهة بلعبة الهوكي الافرنجية (ضرب الكرة بالعصا) . والعباب
الاولاد هذه عديدة ودرسها ملذ ومفيد في الوقت نفسه (٢) .

(١) راجع Stevens, E.S., By the Tigris and Euphrates, P. 134.

Mann, J.S., An Administrator in the Making, PP. 250-251.

(٢) راجع كتاب الالعب الشعبية لعتيان العراق لعبد الستار القره غولي . مطبعة
دنكورد الحديثة بغداد ١٩٣٥ . وقد وصف فيه المؤلف ما يقرب من سبعين لعبة .

ولا يوجد في العراق قانون لتحديد العمل للاطفال او منعه ولا قانون للتعليم الالزامي . ولا يرسل الآباء الفقراء اولادهم عادة الى المدرسة بل يضعونهم في الحوانيت حين بلوغهم السنة الخامسة او السادسة من العمر ليتعلموا حرفة من الحرف ويتقاضوا اجوراً زهيدة يسلمونها لوالديهم واجور الاولاد تتراوح بين العشرة فلوس والثلاثين فلساً في اليوم ، ومحل العمل عادة قدر وساعات العمل طويلة^(١) . اما في الريف فالاولاد يساعدون آباءهم في الحقول .

٢ - الحياة عند العشائر

وصفنا في الفصل الاول بصورة اجمالية طرق المعيشة في العراق والمخنا فيه الى حياة العشائر ثم عدنا في الفصول التالية فتناولنا بعض وجوه حياة القبائل مثل الحالة الصحية وملكية الاراضي ومركز المرأة والعوامل السياسية في محلاتها المناسبة . اما الآن فغايتنا ان ندرس بعض المظاهر البارزة لحياة القبائل والمشاكل الناشئة عن الظروف العصرية التي تضطر العشائر الى التحضر^(٢) .

(١) تمنح بعض المصانع للولاد والنساء اجوراً اعلى من ذلك . راجع التقرير الخاص عن تقدم العراق ص ٢٤٦-٢٤٧ .

(٢) راجع عن العشائر (a) Musil Alois, The Manners and Customs

of the Rwala Bedouins; and The Middle Euphrates.

(b) Jamali, M.F., The New Iraq, Its Problems of Bedouin Education.

(c) Chiha, la Province de Bagdad

وفي اللغات الاجنبية مصادر كثيرة مهمة عن حياة العشائر . ومن المؤسف ان تكون المصادر العربية عن هذا الموضوع قليلة جداً والدراسة العلمية معدومة تقريباً .

هجرة العمائر:

يرجع تاريخ هجرة العمائر من الجزيرة العربية الى اقطار الهلال الخصيب الى عصور التاريخ الاولى . وكانت هجرة الاقوام السامية تحدث على شكل موجات بين فترة واخرى وتعرف عند الباحثين بالموجات السامية منها هجرة الاكديين والعموريين والآشوريين والكلدانيين والآراميين والبرانيين واخيراً الهجرة العربية . ومن هذه الموجات ما كان عنيفاً وصحبتة حركات حربية مهمة كالهجرة في القرن السابع للميلاد والهجرة العبرانية الى فلسطين . ومنها ما كان سطحياً تقريباً وذلك بطريقة التغلغل التدريجي كالهجرة الآرامية وهجرة القبائل العربية الى العراق خلال العصور الاخيرة . اما عوامل هذه الهجرة فتعددة ، اهمها ازدياد عدد السكان زيادة لا تتناسب مع وسائل المعيشة في الصحراء فتضطر القبائل الى النزوح شمالاً الى بادية الشام ومنها الى اراضي العراق وسوريا وفلسطين اخصبة . وكل القبائل البدوية والقبائل نصف المتحضرة وقسم كبير من سكان القرى والمدن في العراق يرجعون بأصلهم الى الجزيرة العربية (١) .

حياة القبائل ومساكنها:

يجب البدوي في الصحراء حياته الحرة المستقلة ويأنف من العمل اليدوي وينظر الى اخيه القروي والحضري المقيد بأرضه والذي يكد من

(١) هنالك بعض من علماء التاريخ القديم يعتقدون ان اصل الاقوام السامية ليس من شبه جزيرة العرب بل من الهلال الخصيب نفسه . على انهم طائفة ضئيلة إذ معظم العلماء يقرون ان هجرة الاقوام السامية كانت ولا تزال من جزيرة العرب .

اجل قوته نظرة ازدراء . وكانت القبائل العربية ولا تزال تنتقل من محل الى آخر طلباً للكلاً ضمن منطقة من الجزيرة تعتبر التجوال فيها حقاً من حقوقها . ولا وجود للملكية الفردية للارض عند القبائل . وثروة البدوي متنقلة تقتصر في الغالب على الضروريات كالخيام والافرشة والاثاث والاواني البيتية الخفيفة والابل وغير ذلك من الحيوانات . وهذا الامر على جانب عظيم من الاهمية فان التأثير الاكبر في تكوين عقلية البدوي وتقاليده . فحياة البدوي في الصحراء بسيطة وشبه اشتراكية لا يؤثر فيها الطمع وحب الكسب تأثيراً يذكر بل السخاء فيها محمود والبخل فيها مذموم . ومن كان هذا شكل معيشته ومحيطه غير مقيد بما يملكه من حطام الدنيا تولدت فيه روح الاستقلال والامانة الى درجة لا تجدها بين الجماعات المتحضرة .

وحياة البدوي صراع وتنازع على البقاء ، ذلك لان الطعام والمياه عزيزان في البادية والمناخ يتقلب بين القفر والقيض الشديدين فلا يعيش من البدو إلا من كان صحيح الجسم صالحاً للبقاء . والغزو من ضروريات حياة البادية وطريقة للعيش مشروعة ، إذ تنهب العشيرة الواحدة ماشية الاخرى . وهو يتطلب صفات الشجاعة والقوة والقيادة في الرجال لذلك كانت هذه من الصفات الممدوحة وكانت العصبية القبائلية من ضروريات الحياة . ولما كان الطعام والماء في البادية عزيزين والمسافات شاسعة كان من اهم صفات البداوة اكرام الضيف . وهذه العادة التي يتفاخر بها العرب ويتفنى بها شعراؤهم لا تقتصر على ايواء المسافرين الجائع والعطشان والمنهوك القوى بل تشمل حماية من يطلب دخالة القبيلة فان التقاليد تفرض على كل قبيلة حماية الدخيل عليها المستجير بها مهما كلفها الامر حتى الحرب .

الغزوة والحرب عند العشائر :

اغلب الغزوة عند البدو مناوشات ومناورات لا حرب منظمة . وطريقته عادة ان يخرج الغزاة متسترين تحت جناح الظلام ويرسلون من بينهم طلائع ليستكشفوا موقع الابل او الماشية او غيرها فاذا رأوا الفرصة مناسبة انقضوا على غنيمتهم فاستاقوها . اما اذا فشلت الغزوة وفاجأت القبيلة المغزوة الغزاة فالاغلب ان ينسحب هؤلاء دون قتال ويبقون يتربصون فرصة اخرى للغزوة . وتتوق العشائر اثناء الغزوة سفك الدماء ما استطاعت الى ذلك سبيلا (إلا عندما تكون القبائل في حرب عداوية) إذ ان سفك الدماء من الامور الخطيرة التي قد تؤدي الى الحروب وطلب الثأر . وشرف كل قبيلة يحتم عليها الاخذ بثأر كل من يقتل منها ما لم يتم الاتفاق على دية يفصل بهادم القتل بالمال والجمال وباعطاء امرأة من عائلة القاتل ليتزوجها احد افراد عائلة المقتول . اما اذا كان المقتول من عائلة احد الشيوخ فقد يصعب التوفيق بين الفريقين ولا بد من الثأر بالحرب . وفي حالة الحرب يرفع شيخ القبيلة علم قبيلته فوق خيمته فيجتمع رجال القبيلة من الجهات فيغنون اغاني الحرب ويهوسون ويطلقون العيارات النارية في الهواء استعداداً للقتال ، وتشترك النساء في ذلك بتهايل الحرب وصيحاتها ويلتحق بعضهن بالمحاربين في ميدان القتال فيشجعن الرجال .

إلا ان الغزوات والحروب بين القبائل اخذت تزول بعد الحرب العامة نظراً لسيطرة الحكومات على العشائر ، وهي تكاد تختفي تماماً في العراق (١) .

(١) راجع التقرير البريطاني الخاص عن تقدم العراق ص ٢٣٦ .

نظام العشائر :

نظام العشائر ابتدائي بسيط ، فالشيخ رئيس العشيرة الذي يتولى مركزه وراثته. ولكنه لا بد أن تكون له صفات الزعامة كالشجاعة، الدهاء وغيرها ليمكن من المحافظة على مركزه وإلا انتزعه منه احد اقربائه الا كثر جدارة منه .
 وإذا كانت العشيرة كبيرة فهي تنقسم عادة الى انفاذ يترأس كلاً منها شيخ هو دون الشيخ الا كبر سطوة وخاضع له الولاء والطاعة . وتجمع رابطة الدم افراد العشيرة الواحدة ، وهم يرجعون نسبهم الى احدى القبائل العربية القديمة او الى قحطان او عدنان . وتمسك القبائل برابطة الدم شديد حتى اذا ما تزوجت امرأة برجل من قبيلة اخرى احتفظ اولادها بنسب امهم ودعوا رجال قبيلتها « بالخوال » .

وانتساب الافراد الذين لا عشيرة لهم او العشائر الصغيرة الضعيفة الى عشيرة معروفة قوية شائع عند البدو . وقد تتحد عدة عشائر احياناً فتؤلف حلفاً بينها كما فعلت عشائر المنتفك التي تحالفت في القرن السادس عشر واستمر هذا الحلف حتى الآن . وينظر الشيوخ في قضايا عشائرهم وهم يقيمون العدل حسب تقاليد العشيرة وقوانينها غير المكتوبة . وتحال المنازعات والخصومات الدموية الى الخبراء « العارفة » الذين اشتهروا بنزاهتهم .

وسائل العيش :

يعتمد العربي في معيشه على الاكثر على الابل فيشرب لبنها ويأكل لحمها وينسج ثيابه من وبرها ، وهي خير وسيلة للتنقل في الصحراء إذ وهبتها الطبيعة بعض الصفات التي تلائم الصحراء كتحمل الجوع والعطش

مدة طويلة . وتنقلات العشائر تتبع مراعي الجبال ومواقع الآبار . وتؤجر البعض منها ابلها لحمل البضائع التجارية ، إلا ان السيارة وغيرها من وسائل النقل الميكانيكية قد اخذت مكان الابل بسرعة ، حتى ان اهميتها تقل يوماً بعد يوم . وترحل العشائر نحو المدن في بعض المواسم لشراء الحاجيات وبيع حاصلاتها ، واهم ما تشتريه المنسوجات القطنية والتمر والقهوة والتبغ . وكانت العشائر سابقاً تتقاضى ضريبة « الخوة او الخاوة » من القوافل التجارية . ولا تزال بعض العشائر تتقاضاها في العراق حتى الآن رغم استتباب سطوة الحكومة .

مخضرم العشائر وأسبابه :

عندما تنتقل العشائر البدوية من قلب الصحراء الى جوار المناطق الحضرية يزداد احتكاكها بسكان هذه المناطق ، فيزيد اعتناؤها بتربية الخيول والاعنام . وكثيراً ما ترعى هذه القبائل قطعاناً كبيرة لبعض سكان المدن المجاورة . وتجد ذلك على الاخص بين قبائل شمر في سهول الجزيرة بين دجلة والفرات ، وعند عشائر بني لام النازلة على ضفتي دجلة السفلى بين الكوت والعمارة ، وغيرها من القبائل البدوية الصغيرة . وتمثل لنا هذه الحالة دور الانتقال من حياة البداوة الى الحضارة .

وعملية التحضر هذه عملية طبيعية ابتدأت منذ قرون عدة ولكنها كانت تختلف في السرعة من وقت لآخر ، فقد زادت اثناء ولاية مدحت باشا سنة ١٨٦٩ إذ ابتدع هذا الوالي النابه طريقة ايجار الاراضي الاميرية بالمراد فانغم هذه الفرصة كثير من شيوخ عشائر الفرات الجنوبي . على ان الدافع

الا كبر الى هذا التحضر حدث بعد الحرب بنتيجة امتداد سلطة الحكومة الى البادية باستخدام الطائرات لطاردة العشائر المحلة بالامن ولمنع الغزو والخلوة وهذا مما قلل من واردات هذه العشائر^(١). ومن العوامل التي تدفع العشائر ايضاً الى التحضر والاستقرار استخدام السيارة بدل الجمل في المواصلات وفتح الترع والجداول واستعمال المضخات التي نشطت الزراعة ، وأخيراً اشتراك العشائر في الحكومة والحياة السياسية . وقد ادى ازدياد توسع نفوذ الحكومة الى تقلص نفوذ الشيوخ ، كما ان الحكومة اصبحت تتدخل في شؤون العشائر اكثر من ذي قبل وكثيراً ما تستبدل الشيوخ الذين لا يرضخون لسلطتها بغيرهم . ولما كانت معظم الاراضي في العراق اميرية فان الحكومة كثيراً ما تحاول القضاء على نفوذ من لا يماشونها من الشيوخ بانتزاع الاراضي منه واعطائها الى بعض اقاربه المنافسين له او الى عشيرة اخرى^(٢).

أدوار التحضر :

اذا طفنا أنحاء العراق اليوم نشاهد جنباً الى جنب الادوار المختلفة التي تمر بها العشائر وخاصة في الجنوب في انتقالها من البداوة الى التحضر . فبينما نشاهد الخيام السوداء في جهة نجد على بضعة اميال منها قرب النهر اكواخاً من القصب او الطين تجللها ستوف من الخيام السوداء . وهذه تمثل لنا الخطوة الاولى من التحضر . ونشاهد في مكان آخر قرية من بيوت القصب

(١) لا تزال الحكومة العراقية تدفع رواتب شهرية لشيخي عنزة وثمر لمحافظةها على طرق المواصلات بين سوريا والعراق .

(٢) للتوسع في البحث عن اسباب تحضر العشائر راجع الفصل الثالث من كتاب: Jamali, M.F., The New Iraq, Its Problem of Bedouin Education

والصرائف بينها بيت كبير من القصب هو مضيف القبيلة . ولباحظ ان عادة التنقل لا تزال موجودة عند القبيلة في هذا الطور من اطوار تحضرها اذ في الامكان نقل الكواخ القصب بل القرية باجمعها من محل الى آخر . وقد نشاهد قرية ذات الكواخ من الطين مسقفة بالحطب المغطى بالطين والمستند على جذوع النخيل . وبين هذه الكواخ بيت الشيخ الكبير او قلعتة . وتمثل هذه البيوت الثابتة الخطوة الاخيرة من خطوات التحضر . على اننا قد نجد آثار عادة التنقل العربية حتى في هذا الدور إذ نصادف قرى من بيوت الطين قد هجرها اصحابها ونزلوا بما كن اخرى اصلح للزراعة والعمل .

ومن احسن الظواهر دلالة على تبدل العشائر التطور الحاصل في حياة الشيوخ . فن هؤلاء من لا يزالون يعيشون في بيوت الشعر او في بيوت من القصب او الطين او اللبن حسب الاطوار التي تعيش فيها عشيرتهم في الوقت الحاضر . وقد اخذ الاغنياء منهم يبنون لهم بيوتاً او قصوراً فخمة من الطابوق وفيها كافة وسائل الراحة المألوفة في المدن^(١) . ان عدد الشيوخ الذين

(١) نزل المؤلف واثان من كبار موظفي وزارة المعارف اثناء دورة تفتيشية ضيوفا على شيخ معروف من شيوخ العشائر فاستقبلوا في ردهة من قصره المبنى بالطابوق . وكانت الردهة مؤسدة بالكراسي والدواوين وارضها مفروشة بالسجاد . وقدم الشاي باكواب ذات حمالات فضية . اما الطعام فلم يقدم على الطريقة البدوية كالمتاد بل على مائدة ضمنت انواعا متعددة من الطعام في صحون من الصيني ولم يؤكل الطعام بالايدي بل بالملاعق والسكاكين والشوكات ، وكان الرقاد في الليل على اسرة من الحديد بدلا من الارض . ويشتغل القسم الاعظم من رجال هذه العشيرة بالزراعة اما الباقيون فرعاة يسكنون الحيام . ولرئيس احدى العشائر الكبيرة القريبة من بغداد قصر كبير فخم يقل مثله في بغداد وهو مؤث احسن الاثاث ومجهز بالكهرباء والتلفون والراديو والماء الجاري .

أخذوا يعيشون العيشة المدنية ويتخلقون بأخلاق أهل المدن (بما فيها من سكر وقمار وغير ذلك) قليل ولكنه في ازدياد ولا يزال معظم الشيوخ رغم احتكاكهم بالمدن يعيشون عيشة بسيطة مع عشائرتهم . وهناك بعض من الشيوخ الذين يحاولون أن يجمعوا بين هاتين العيشتين فهم يحيون في الحقيقة حياة مزدوجة ولعل من أحسن الدلائل الظاهرية على ذلك فتح بعض الشيوخ مضيفين مختلفين في منازل عشائرتهم أو لها لمن يزورهم من أهل المدن والافندية والموظفين وهو مؤثت تأيئاً عصريةاً على قدر معرفة الشيخ واقتداره المالى ، وثانيهما لرجال العشيرة وهو بسيط وله محل لعمل القهوة في وسطه ومفروش بالبسط أو الطنافس . ولعظم كبار الشيوخ بيوت أجروها أو عمروها في المدن الكبرى ومنهم من تزوج من نساء حضريات .

ولا يحتاج الباحث الى كثير من بعد النظر او من معرفة للتاريخ ليرى ان عدداً غير قليل من اولاد هؤلاء الشيوخ سيفضلون عيشة المدن على عيشة الريف وستجذبهم المدن بوسائل الراحة والترف واللهو الموجودة فيها فيدخلون في عداد طبقة الملاكين الغائبين عن املاكهم (Absentee Landlords) يساعدهم على ذلك قانون تسوية حقوق الاراضي الجديد الذي يسمح لهم بتملك الاراضي الاميرية بصفتهم الشخصية بعد ان يلتزمونها باسم العشيرة . وهكذا يعيد العراق تاريخ الاقطاع الاوربي .

مساكن المحضر :

تطراً على حياة العشائر اثناء عملية التحضر تغيرات عديدة فتخلق مشاكل خطيرة لا يحسن ان تهملها الحكومة الناهية او ان يتغاضى عنها

المربي المفكر. واول هذه التطورات تقييد حرية البدوي المطلقة التي لا تعرف سوى تقاليد القبيلة قيوداً لها. فيصبح ابن الصحراء الشجاع الحر مقيداً بزعه وحاصلاته مضطراً الى العناية بها. انه بحكم عيشته السابقة لا يجب العمل كثيراً ولكنه مضطر اليه لاعتماد رزقه عليه ، ولذلك فانه في الغالب لا يشتغل إلا بالمقدار الذي يعود عليه من الرزق البسيط^(١).

وهناك دلائل تدل على ان شيوخ القبائل آخذون بالتحول بالتدريج الى رؤساء اقطاعيين وافراد عشائريهم آخذون بالتحول الى فلاحين مربوطين بالارض. غير ان الاقطاع لا يمكن ان يصل من الشدة في العراق الى الدرجة التي كان عليها عند الامم الاوربية في القرون الوسطى. ذلك لان العشائر العربية لا تخضع للظلم بسهولة وان خضعت فلا يطول عليها البقاء على ذلك. ومما يساعد على تقييد البدوي بأرضه فيجعله عبداً لها وقوعه في الدين لقلّة معرفته بتدبير شؤونه الاقتصادية إذ تتغلب عادة السخاء والمباهاة العريبتين على الرغبة في الاقتصاد ، ولصغر حصته من الانتاج كما اسلفنا ، ولاحتيال الدائنين او السراكيل او الرؤساء عليه. وتحول الشيوخ الى رؤساء اقطاعيين وافراد العشائر الى فلاحين خاضعين لهم ومربوطين بالارض قد يكون له ، ان لم تتخذ التدابير لتلافيه ، نتائج اجتماعية وسياسية عظيمة وحرّات

(١) راجع التقرير البريطاني الخاص عن تقدم العراق ص ٢٣٩. ومن المؤلف ان لا يساعد نظام الاراضي الحاضر على تشجيع الفلاح على العمل إذ ان الفلاح مضطر الى دفع نحو نصف او ثلثي منتوجه الى الحكومة والشيخ. راجع بحث مشكلة الاراضي في الفصل الرابع من هذا الكتاب.

وقلاقل لا تبشر بالخير في المستقبل (١).

وتقدم البدوي في الحضارة يؤدي عادة الى انحطاط في مستواه الخلقي من حيث الامانة والصدق والصراحة ، وذلك لضعف التقاليد البدوية التي تقدر هذه الصفات فيقتبس ابن العشيرة عوضاً عنها الخداع والكذب والمواربة وعلى الاخص في علاقاته مع السلطات الحكومية . وما الخداع والكذب في مثل هذه الحالة إلا نتيجة طبيعية لرغبة ابن العشيرة للتخلص من الضغط الذي يشعر به ولحماية وسائل رزقه . زد على ذلك ان روح الكسب والطمع التي اخذت تعرف حديثاً عند الغربيين بـ «دافع الربح» تبدأ بلعب دور محسوس في تصرف البدوي المتحضر . ان دراسة التطورات العقلية والاخلاقية التي تطرأ على البدوي اثناء انتقاله من مزاولة الرعي في البداوة الى مزاولة الزراعة في التحضر وتأثير الاقتصاديات الحديثة والسلطة الحكومية عليه لمن الأبحاث التي يمكن ان يدرسها ويعالجها باحث اجتماعي وافيدها .

وتخلق حركة التحضر مشكلة صحية كبرى ايضاً . فالبدوي صحيح البدن قويه ، وحياته تنازع على البقاء وخاصة في الطفولة . وخيمته معرضة

(١) سنت الحكومة العراقية قانوناً في سنة ١٩٣٣ يقضي على الفلاح الذي يخرج من ارضه او يتركها من نفسه ان يدفع الى صاحب الارض كافة ديونه وان ياخذ وثيقة بذلك ولا يمكن استخدامه في دوائر الحكومة او عند اي شخص آخر إلا بعد التحقق بانه لا دين عليه ، واذا ما استخدم فيخصم دينه من اجوره . فنتيجة هذا القانون اذا ما طبق هي بالطبع ربط الفلاح بالارض وبصاحبها . راجع قانون حقوق وواجبات الزراع رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٣ المواد ١٣-١٦ ، الوقائع العراقية العدد ١٢٦٧ ، تموز سنة ١٩٣٣ .

لنور الشمس والهواء النقي وإذا ما أصبحت البقعة التي يخيم فيها وسخة حول خيمته تحول الى بقعة اخرى نظيفة . ومع انه يجهل الشروط الصحية وهو قليل الاستحمام فانه قلما يصاب بأمراض كالملاريا او البلهارزيا او السل او الطاعون او الهیضة . ولكن الحالة تنعكس بعد تحضره ، إذ تراكم الاوساخ داخل الكوخ الذي يسكنه وحوله ، ولا ينفذ اليه الهواء النقي ولا نور الشمس لخلوه من النوافذ . وتكون المياه خاصة قرب مزارع الرز مصدراً لانتشار الملاريا ، اما مياه الجداول والاقنية فتكون مأوى لجراثيم البلهارزيا . وان نظرة بسيطة الى حياة قبائل الفرات الاوسط تكفي لادراك الاضرار التي تلحقها البلهارزيا والملاريا والسل والجذري والانكاستوما بالسكان وفعالياتهم وفتكها الذريع بأرواحهم . فالمشكلة الصحية للعشائر المتحضرة او التي هي في دور التحضر وهي تكون الاكثرية الساحقة للطبقة المزارعة في العراق خطرة جداً وكل مشروع لاسكان العشائر الرحل يجب ان يأخذ بعين الاعتبار المشاكل الصحية التي تلتج عن التحضر ويتخذ الوسائل لمنعها (١) .

وتحتفظ القبائل بكثير من نظمها اثناء التحضر او بعده فتبقى بعض العادات عندهم كإكرام الضيف والاخذ بالثار وتزواج اولاد الاعمام وماشابه ذلك من التقاليد البدوية .

ولعل اهم سبب لحدوث التبدلات التي طرأت على حياة العشائر في العصر الحديث هو ازدياد نفوذ الحكومة منذ الحرب العظمى إذ اخذت العشائر

(١) راجع الفصل الخامس من هذا الكتاب ، والفصل الثالث من كتاب الدكتور محمد فاضل الجمالی الآنف الذكر .

تسهر بشدة وطأة سطوة الحكومة وتدخلها وقمعها للغزو والاضطرابات وجمعها الضرائب بانتظام بعد ان كانت معظم العشائر تمتنع عند دفعها سابقاً وتدخل الحكومة باعترافها بأحد الشيوخ وعدم اعترافها بالآخر وربما تبديلها شيخاً آخر . ومن المؤسف ان تكون هذه التدخلات سلبية . وما خلا قيام الحكومة بفتح ترعة هنا مدرسة هناك ومستوصف في محل آخر لم تعالج الحكومة مشكلة العشائر معالجة عامة اساسية ايجابية بعد . وهناك دلائل تدل على ان الحكومة اخذت تتنبه الى اهمية هذا الموضوع الخطير . وكيفما كانت الحال فان بسط الحكومة نفوذها على القبائل امر لم يسبق له مثيل في تاريخ العراق منذ سقوط الدولة العباسية ولا شك انه سيؤدي الى تغيير جوهرى في حياة العشائر ونظمها .

٣- الحياة في المدن

« ان التطورات التي طرأت على الحياة الاجتماعية في المدن خلال الاثني عشرة سنة الاخيرة تفوق التطورات التي حدثت في القرون الثلاثة السابقة . هذا ما يذكره تقرير الحكومة البريطانية الخاص عن تقدم العراق ^(١) . وقد حدثت اكثر هذه التطورات بنتيجة ازدياد احتكاك العراق بالغرب على اثر الاحتلال البريطاني وتسهيل طرق المواصلات وتوسيع نطاق الاتصال التجاري والثقافي ، وبرحلات كثير من العراقيين الى الخارج للدراسة او للسياحة .

وقد تناول هذا التطور الناحيتين المادية والمعنوية من الحياة . ففي

(١) راجع تقرير الحكومة البريطانية الخاص عن تقدم العراق ص ٢٤١ .

الناحية المادية نرى اثره باستعمال الزي الاوربي عند كثير من سكان المدن وفتح الطرق الواسعة المبلطة وغرس الاشجار على جانبيها وتأسيس مشاريع الكهرباء واسالة المياه الصحية وارتفاع مستوى المعيشة . اصف الى ذلك ازدياد استعمال الوسائل الكمالية بسرعة كالسيارة والادوات الكهربائية والاثاث العصرية واواني المائدة الصينية والفضية واستعمال المجوهرات والماس والكرامافون واخيراً الراديو . ويجب ان نذكر الى جانب ذلك تشييد الاوتيلات العصرية واقتباس الطراز الغربي الحديث في بناء البيوت .

اما التطورات الفكرية فتظهر بازدياد المدارس في المدن واقبال البنين والبنات عليها ، وبانتشار الجرائد والازدياد المطرد في عدد قرائها ، وكثرة ما يدخل العراق من الكتب والمجلات من الخارج وخاصة المصرية والسورية وبدرجة اقل الاوربية والاميركية . والاهم من ذلك كله تغير وجهة نظر الشباب وحتى بعض الشيب في الحياة إذ اصبحوا لا يطيقون صبراً على تحمل التقاليد القديمة والمحافظة على القديم . ويبدو هذا الاستياء بجلاء في الحياة العائلية حيث يصطدم البنون والبنات بالمحافظين من اهلمهم وخاصة بالنساء منهم . وقد قل الاهتمام بالامور الدينية وضعف نفوذ رجال الدين عما كان عليه قبل الحرب وذلك عند كل المذاهب والطوائف . على ان السكان لا يزالون متدينين قلبياً . والروح القومية في نمو مطرد وهي على الاكثر رد فعل للاستعمار الاوربي .

وليست في العراق طبقات اجتماعية تظهر الفروق بينها بجلاء على الشكل المعروف في اوربا منذ القديم ولا توجد فيه طبقة مهمة من الاشراف تعرف

بهذا الاسم . وتوجد في المدن بعض العائلات الغنية من الملاكين ولكن نفوذها أخذ بالزوال وتسبب الفروق الدينية شيئاً من التكتل بين أبناء الدين الواحد فالمسلمون واليهود والمسيحيون لا يتزوجون فيما بينهم . أما الدين الاسلامي فقد اجاز للرجل المسلم التزوج بغير المسلمة اذا كانت كتابية ولكنه لم يجز للمرأة المسلمة ان تتزوج من غير المسلم . ولا يتزوج الكاثوليك مع غير الكاثوليك من الطوائف المسيحية ولكن هذا أخذ في الزوال .

ان كثيراً من العادات وطرق المعيشة الغربية آخذة بالانتشار في المدن فمن ذلك تأسيس النوادي وانتشار الرقص بين اليهود والمسيحيين وبعض المسلمين ، والاقبال على السينما ومبادلة بطاقات المعاينة والتهاني في ايام الاعياد . وتهتم بعض العائلات المهذبة بتربية اولادها على الاساليب الغربية الراقية . إلا ان معظم الاقتباسات عن الغرب لم تتعد في الغالب التقليد السطحي للحياة الغربية . وليست كل الامور المقلدة مفيدة . فقد انتشر شرب المسكر حتى بين المسلمين الذين يحرم دينهم الخمر بصراحة . والاقبال على شرب البيرة والوسكي وغيرها من المشروبات الاجنبية قد فاق شرب العرق الوطني . اصف الى ذلك ازدياد البغاء بعد الحرب وهو معترف به رسمياً في العراق . وازداد ايضاً لعب القمار وعلى الاخص البوكر بين الموظفين والطبقات المهذبة والغنية .

٤ - قضاء اوقات الفراغ

(١) عند العشاء :

اهم محل يقضي فيه رجال العشاء اوقات فراغهم هو مجلس العشيبة

ويكون ذلك عادة في مضيف الشيخ ، فيقضون الوقت بشرب القهوة والتحدث عن شؤون العشيرة والمفاخرة بذكر اعمال ابطالها و بانتصاراتها و ايامها المشهورة . وقد يتخلل ذلك بعض النكات او قد يأخذ الحديث طوراً هزلياً . وكثيراً ما يجري البحث في المضيف عن بعض امور العشيرة الهامة فيبدي كل رجل رأيه عنها بحرية وللشيخ القول الفصل . وتحمس في المجلس ايضاً بعض المنازعات القائمة بين افراد العشيرة فتكون بذلك خير درس يتلقاه الجيل الناشئ عن عادات العشيرة وتقاليدها . ويلعب الملا — وهو رجل ديني ويكون عادة كاتب الشيخ بين العشائر نصف المتحضرة دوراً مهماً في هذه الاجتماعات والاحاديث وكثيراً ما يستشار في الامور الدينية وغير الدينية .

ويتقاطر رجال العشيرة في الاعياد من جميع الجهات لتقديم التهاني للشيخ فيأتون ممتطين خيولهم جماعات تمثل كل منها احدى اغخاذ العشيرة . ويشير منظر هذه الوفود الاعجاب في قلب من لا يعرف الشيء الكثير عن حياة العشائر وعاداتها ، إذ يأتي الفرسان مندفعين بسرعة على ظهور خيولهم ملوحين في الهواء بأيديهم او اسلحتهم ومطلقين بنادقهم في الهواء ومتغنين بمدح الشيخ . ويخرج من بيت الشيخ وفد من الخيالة لاستقبالهم ملوحين بأيديهم واسلحتهم ويشن الطرفان الغارات على خيولهم لابرار فروسيتهم ويقرب الجانبان بالتدريج من بيت الشيخ فتستقبلهم هلاهل النساء من البيوت فيترجلون للسلام على الشيخ الذي يحف لاستقبالهم والترحيب بهم عند باب المضيف وتقدم القهوة الى الوفود ومن ثم الطعام عند الظهر في صواني

كبيرة مملوءة بالارز فيجلس البدو حولها ويتناولون الطعام باليد اليمنى .
وتجلس الى الطعام اولاً ابرز شخصيات العشيرة ويعقبها من يليها في المنزلة ،
وهكذا حتى تفرغ الصواني . ومثل هذا الطعام لا يقدم إلا في ايام قليلة
معدودة اثناء السنة اي ايام الاعياد الكبيرة او عندما يحل على الشيخ ضيف
كبير وفي ما خلا ذلك فطعام افراد العشائر بسيط جداً .

ويرقص البدو ايام الاعياد رقصات حربية تعرف بالهوسات وينشدون
فيها اغاني ارتجالية بمدح الشيخ وابطال العشيرة ويذكرون فيها انتصاراتهم .
والعرب مولعون بالغناء سواء اكان ذلك وقت اجتماعهم في المضيف او في
اوقات راحتهم او مسيرهم ، واكثر هذه الاغاني غزلية . وهناك وسائل
اخرى للتسلية عند البدو كسباقات الركض بالخيول ولعبة الجريد ولعبة
اخرى هي اشبه بلعبة الهوكي الافرنجية وغير ذلك .

(٢) في المره :

ربما كانت المقاهي اهم الاماكن التي يرتادها الناس لقضاء اوقات الفراغ
في المدن والقرى ، ولذا فهي كثيرة العدد فيها ويندر ان نجد مدينة مهما
كانت صغيرة بدون مقهى . ويبكر بعض الناس للذهاب الى المقهى لتناول
كوب الشاي او فنجان من القهوة قبل البدء بالعمل اليومي . وقد تكون
المقاهي في وسط الاسواق فتصبح مركزاً يضرب فيه ارباب المصالح المواعيد
بعضهم لبعض فتجري المساومات والمعاملات بينهم اثناء شرب القهوة .
وتزدحم المقاهي بعد الظهر وفي المساء إذ يترك الرجال اشغالهم عند العصر
او دورهم بعد العشاء لتمضية بقية اوقاتهم في احد المقاهي القريبة . واشهر

الالعب في المقاهي الطاولة . وقد دخل لعب الورق ايضاً في السنوات الاخيرة
ولا يتأخر الناس عادة في الليل في المقاهي إلا في ليالي رمضان إذ يقضون
شطراً كبيراً من الليل فيها او في المجالس الخصوصية .

والاقبال على السينما عظيم حيث توجد دور لها . اما التمثيل فهو نادر إذ
لا توجد فرق تمثيلية وطنية تذكر . وقد تزور العراق فرق مصر التمثيلية من
حين لا آخر فتلاقي من الجمهور اقبالا عظيماً . و « التياترو » في العراق من
الملاهي التي تأنف الطبقات الراقية من الناس الذهب اليها ، وفيها ترقص
بعض النساء وتغنين على المسرح وفيها يتعاطى ايضاً المتفرجون انواع المسكرات .
ويجري الرقص الافرنجي في بعض الاوتيلات في كل ليلة مع راقصات
معظمهن اجنبيات وتفتح اثناء الرقص قناني المشروبات الاجنبية بكثرة
وتقيم بعض النوادي والاقبال من آن لا آخر حفلات راقصة . اما القمار
والمسكر فهما آخذان بالانتشار .

والمكتبات في العراق قليلة جداً ، فلا توجد مكتبات عامة إلا في بغداد
والموصل والبصرة والنجف . وهذه المكتبات صغيرة والاقبال عليها قليل .
ويهتم بعض الافراد في المدن بتأسيس مكتبات صغيرة خاصة بهم . وتلقى
احياناً المحاضرات في النوادي لفائدة الاعضاء او قد تشجع بعض النوادي
الالعب الرياضية إلا انه يصح ان يقال على العموم ان الحركة الرياضية
منحصرة في المدارس وهي ضعيفة في خارجها . والبلاد في حاجة ماسة الى
وسائل بريئة للتسلية في المدن .

٥ - المعتقدات الخرافية

من الطرق الفعالة لدرس الاحوال الاجتماعية لامة من الامم البحث في الخرافات الشائعة بين عامتها . وقد تمثل الخرافات لنا نظرة المعتقدين بها الى الحياة ، او قد تمثل محاولة ذوي العقول البسيطة حل بعض مشاكل الحياة التي تشكل عليهم او التخلص من اوضاع او مأزق قد يقعون فيه . ومن الخرافات ما هو محاولة تفسير المظاهر الطبيعية والاجتماعية التي يعصى على العقل البسيط حلها ، ومنها ما هو من نوع المخاوف والوسوس ، ومنها اخيراً ما قد وضع على ما يظهر لحل الناس على القيام بعمل من الاعمال . ومهما يكن اصل الخرافات فالحقيقة التي لا يشك فيها انها تؤثر على عقول الذين يتمسكون بها وعلى سلوكهم تأثيراً قد تكون له نتائج واضحة في بعض الاحيان كما سيتراءى للقاري بعد مطالعته الخرافات التي سنوردها .

ومن اهم غايات التربية المدرسية مكافحة الخرافات مكافحة عنيفة . ذلك ان مما ترعى اليه التربية بث التفكير العلمي ورفع المستوى الثقافي بين افراد الشعب . والاعتقاد بالخرافات هو نقيض التفكير العلمي ومن اكبر العثرات نحو التقدم ، هذا عدا عن انه مضر بالفرد والامة ضرراً بليغاً .

وقد جمع المؤلف طائفة من الخرافات المنتشرة في انحاء العراق بواسطة تلاميذه في صف دراسة احوال العراق في دار المعلمين سنة ١٩٣٢ - ١٩٣٣ فطلب من كل طالب ان يجمع ما يتسنى له جمعه في بلده من الخرافات الشائعة . وقدم سبعة عشر من الطلاب قوائم تحوي من الخمس والعشرين خرافة الى المائة والسبع خرافات جمعت من عشر مدن عراقية تبدأ بعقرة

في الشمال وتنتهي بالناصرية في الجنوب . وقد استخلص المؤلف من هذه المجموعات مجموعة واحدة هي هذه التي نقدمها الى القارئ وذلك بأن انتخب اهم الخرافات واكثرها شيوعاً وصنفها تحت مواضيع عامة .

وغني عن البيان ان من هذه الخرافات ما هو محلي يخص مدينة من المدن وفيها ما هو عام شائع في كل العراق كما ان بعضها مع تكرره في عدة مدن يختلف في بعض اجزائه بين مدينة واخرى . ولما كانت غايتنا مجرد جمع مجموعة صغيرة من الخرافات العراقية لاعطاء فكرة عامة عنها لم نشأ ان ندخل في هذه التفاصيل كما انها ليست من اختصاصنا ودرس الخرافات درساً علمياً مفصلاً قد يستغرق المجلدات لمن يريد التعمق . وفي ما يلي المجموعة التي اشرنا اليها :

اولاً - الصمّة والمرضى :

(١) المرض مقدر ومكتوب لا يمكن تجنبه . وقد يؤدي هذا الى امتناع المريض عن الذهاب الى الطبيب طلباً للشفاء .

(٢) اذا مرض شخص فذلك نأج من روح شريرة « جن » ولطرد هذه الروح تقوم عجوز برش محلول من الملح في الشارع في زوايا الطريق والبيوت ثم تسكب قليلاً من المحلول ايضاً في النهر واخيراً تعود الى الدار وتفرك جسم المريض بهذا المحلول . وفي حالة اشتداد المرض يجب ان تكرر هذه العملية كل يوم بعد الغروب .

(٣) اذا سقط شخص على الارض او مرض في مكان ما فيؤخذ قليل من تراب ذلك المحل ويمزج بالماء ويمسح به جسم المصاب .

(٤) اذا اصيب شخص بزكام عليه ان يشم بصلة ثم يلفها بمنديل جذاب او بقطعة من قماش ويرميها في الطريق ، فاذا التقط المنديل احد العابرين انتقل الزكام اليه فيتخلص منه المصاب الاول .

(٥) يربط بعض المرضى قليلاً من الملح في طرف رداءهم ثم يذهبون فيرمون الملح في النهر اما باكراً او في المساء فيشفون من مرضهم .

(٦) اذا اصيب طفل بخراج يؤتى به الى صائغ يقده على الخراج بالزناد يضع مرات فيشفيه بهذه الطريقة .

(٧) اذا مرض شخص يؤتى بسعفة فتشعل ثم تؤخذ الى النهر وترمي فيه فان لم تنظف قبل وصولها الماء يشفى المريض . وتشعل احياناً شمعة ثم تثبت على سعفة نخل وتوضع على سطح الماء في النهر فاذا عبرت جسر البلدة دون ان تنظف يشفى المريض .

(٨) اذا مرض شخص يربط خيط بين جدارين في ليلة الجمعة فاذا قطع احد الخيط شفى المريض .

(٩) يشفى المريض في بعض الاحيان باذابة قطعة من الرصاص في اناء من الماء موضوع فوق رأس المريض ثم يلتقى الماء في النهر .

(١٠) اذا اصيب شخص بألم او مرض في عينه يبصق فيها كل صباح حتى تشفى .

(١١) اذا تكررت وفيات الاطفال عند امرأة ما ، تأخذ الطفل منذ الصغر وتركبه على حمار ووجهه الى الوراء ثم تطوف به الشوارع فيميش الطفل .

(١٢) اذا كان المريض في حالة خطرة جداً يسقى ماء اذيب فيه تراب او روث بقره ممزوج بالسكر .

(١٣) يؤخذ المريض عند الملا او التس او الحاخام ليشفيه بالصلاة او بوضع يده على رأسه . ويسقى المريض احياناً ماء قد غسلت بها اوراق كتبت عليها بعض الآيات . وعادة اخذ المرضى الى رجال الدين شائعة كثيراً ، ولرجال الدين طرق كثيرة لشفاء المرضى .

(١٤) يعتقد اكثر الناس ان الامراض هي عقاب من الله للبشر على سيئاتهم ، وان المرض احد طرق التكفير عن الخطايا ، وكلما كان المرض شديداً كلما كان التكفير عن السيئات اعظم . واذا لم يصب شرير بمكروه قيل ان الله قد نسيه .

(١٥) يزور المرضى للشفاء المساجد والكنائس وقبور الاولياء والقديسين ويقبلون الاعتبار والاركان والستائر وغيرها . وقد يأخذون احياناً شيئاً من هذه العتبات من حجر او قطعة من الستائر تبركاً بها . وتؤخذ على الاكثر الاتربة لتمزج بالماء وتشرب .

(١٦) وقد تختص بعض المساجد والكنائس والقبور وحتى الاشجار بشفاء بعض الامراض دون غيرها . فمنها ما يختص بشفاء الجنون والآخر بشفاء الاطفال والآخر بشفاء بعض الحميات الخ .

(١٧) ان الارواح الجنية والشياطين هي المسببة للامراض العقلية ، ولذا فان المصابين بها يؤخذون الى احد الشيوخ فيضربون او يقيدون بالسلاسل لطرد هذه الارواح . وقد تسجل الكلمات التي يفوه بها المريض ثم تحرق الورقة المسجل فيها هذه الكلمات . وقد وقعت من هذا القبيل حادثة في بغداد

سنة ١٩٣٣ إذ أصيب احد طلاب المدرسة الثانوية بمرض عقلي فأخذته امه الى احد الشيوخ فسجنه وعذبه حتى مات . وقد احدثت هذه الحادثة ضجة في الجرائد وسبق الرجل الى المحاكم .

(١٨) يعلق في اعناق الاطفال لحراستهم من المرض او من اصابة العين بعض اوراق موضوعة في اكياس صغيرة وقد كتبت على الاوراق آيات او ادعية او كلمات سحرية لا معنى لها يعتقد واضعوها ان لها قابلية لمقاومة الامراض او الاخطار الطارئة . ويعلق احياناً خرزازرق في عنق الطفل او بشعره في أعلى جبهته او يربط حول معطفه كعلاج واق له .

(١٩) اذا استعصى احد المرضى يذهب بعض اقربائه الى دار رجل ذي زوجتين فيصيحون : « ياذا الزوجتين ماذا نطعم مريضنا ليشفى ؟ » فيجيبهم ناصحاً بذبج خروف او دجاجة او غير ذلك وقد يرسل احياناً بعض هذا الطعام الى الرجل . (رويت من عقرة والحلة) .

ثانياً - الارواح والسياطين :

لقد جمعنا في هذا القسم امثلة من الخرافات المنتشرة في العراق عن الجن والسياطين والارواح وغيرها التي لها منزلة مهمة في عقول العامة :

(١) تسكن الارواح عادة في الاماكن الخالية من البشر كالكهوف والسرديب والتلال والاشجار والآبار . ويعتقد العوام ان بعض البيوت مسكونة بأرواح خبيثة قد تفنك بمن يسكنها ولذلك فقد يصعب ايجار مثل هذه الدور .

(٢) تشبه الجن في شكلها الانسان ولكنها اصغر منه حجماً وتلبس في رأسها قبعة سحرية تخفيها عن الانظار .

- (٣) من الناس من يعتقد ان لبعض الاشخاص سيطرة على الجنان يأمرونها لتقضاء حاجاتهم وقد يشتهر في المدن والقرى بعلاقاته مع الجنان . ومن كانت له علاقة مثل هذه لا يجب ان يفشي سره لئلا تغتاله الجنان .
- (٤) وقد تعشق بعض الجنان بشراً فتلحق بالرجل الذي تعشقه حتى تزوجه ومن يرفض الزواج بالجنية العاشقة يعرض نفسه للانتقامها كما ان بعض ذكور الجنان يعشقون نساء من البشر فيتزوجونهن .
- (٥) قد يحفر بعض الناس باحثين عن كنوز مطمورة (وقد يكون لذلك نصيب من الصحة لكثرة ما في بطن الاراضي العراقية من كنوز مطمورة) فيعثرون على نقود قديمة . وكثيراً ما تحرس الارواح هذه الكنوز فيصبح الاستيلاء عليها صعباً ومن يحاول ذلك يعرض نفسه لخطر كبير .
- (٦) يعتقد بعض الناس ان الجن على ثلاثة انواع منها المسلم ومنها المسيحي ومنها اليهودي ويشتهر النوعان الاخيران بالاذى (من عقرة) .
- (٧) اذا وطئ شخص روحاً فقد تضربه على رأسه فيجن .
- (٨) توضع على افواه الاكياس المملأ بالحبوب قطعاً ثقيلة من الحديد لئلا تسرق منها الارواح .
- (٩) الصفيير في الليل او في النهار يجمع الشياطين ويطرد الملائكة .
- (١٠) من يخلق ليلاً فقد تجرحه الجن .
- (١١) الشائع عند الكثير وجوب لعنة الشيطان حين وقوع الخطأ .
- (١٢) يعتقد بعض الناس انه اذا نزلت قافلة قرب مقبرة فان ارواح الموتى تحرسها من الارواح الشريرة .

- (١٣) ان ضرب العصا على الارض ليلا يجلب الجن والشياطين .
- (١٤) اذا مات طفل وقت الولادة قيل ان الجن خنقه .
- (١٥) يجب دفن الميت بسرعة لئلا تدخل الارواح الخبيثة جسده .
- (١٦) يدعى بعض السحرة « فتاحو الفال » ان في مقدورهم التنبؤ عن المستقبل وذلك لاتصالهم بالارواح فيصدق بعض الناس تنبؤاتهم . ويحدث ذلك عادة بأن يجلس الساحر القرفصاء ويضع امامه وعاء به ماء ثم يغطي نفسه والوعاء معاً ثم يتلفظ الساحر ببعض عبارات غير مفهومة و بصوت غريب فيستحضر الارواح التي تجيبه بصوت اشبه بصوت الفيران . وهكذا يتمكن من التنبؤ . ويلجأ البعض الى هذه الطريقة لمعرفة مكان حاجة ضائعة او لمعرفة عدد مجهول وغير ذلك . وهناك طريقة اخرى لفتح الفال وذلك بقراءة الكف او بواسطة الخرز او النوى او الصدف او الحجارة الملونة ، وذلك بأن ترمى الحجارة على الارض فيقرأ الساحر الحظ من الوضع الذي تترتب به الحجارة .
- (١٧) يعتقد الكثيرون بالسحر وهو يمارس على الاكثر من قبل النساء . وللساحرة القدرة على ابعاد الزوج او الحبيب عن المرأة . وينهب الناس الى ان الرجل (او المرأة) مسحور اذا ما تمرض او عجز عن القيام بوظيفته كما يقتضي . ويقال احياناً ان الساحرة تمارس السحر بنسج شبكة تشابه شبكة خيوط العنكبوت .
- (١٨) من اخطر ضرب القطة السوداء لانها من جنس الجان وقد تسبب جنون المعتدي عليها .

ثالثاً - الاطفال والحمل :

ان الخرافات عن تربية الاطفال والحمل كثيرة تكاد لا تحصى فعندما لا تحمل المرأة تتوسل بجميع الطرق الخرافية للحصول على غايتها . وسنذكر فيما يلي اهم هذه الخرافات :

(١) ان اشهر الطرق للحصول على طفل ان تقصد المرأة احدى المساجد او المزارات او الكنائس وتطلب من الله او الولي او القديس ان يهبها طفلاً وتندرله الندور وتربط احياناً خرقة بالشباك . ولقد كان مدفع ابي خزامة الذي حول حديثاً من باب وزارة الدفاع مغطى دائماً بالخرق .

(٢) على المرأة ان تمر من تحت جبل اذا ارادت ان تحمل طفلاً .

(٣) اذا لم تحمل المرأة فعليها ان تطوف حول المدينة ثم تدخل احدى المقابر وتقفز فوق سبعة قبور . فان لم تثمر هذه التجربة عليها ان تركب قارباً وتمر تحت قناطر الجسر سبع مرات .

(٤) ولكي تحمل المرأة عليها ان تجمع ماء من سبع ابار ثم تسكب الماء على رأسها .

(٥) او ان تجمع خرقة من سبع حمامات وتغليها في الماء ثم تشربه .

(٦) او ان ترخي حزام عريس . وهناك خرافات اخرى تعمل بها النساء كي تحملن منها في غاية القنارة .

(٧) يذهب الكثير من الناس الى ان بعض الامور تمنع الحمل . فان حضر العرس امرأة حامل او ان احد اقربائها كان حاملاً فان العروس لا تحمل . وكذلك اذا اكلت المرأة لحم الحمل في غياب زوجها فلا تحمل (من النجف) .

ولسنا بحاجة الى ذكر الطرق والخرافات الاخرى التي تتبع للتغلب على هذه المصاعب .

(٨) اذا كانت المرأة عسرة في الولادة فعليها ان تأكل خبزاً محروقاً .
(٩) يوضع خنجر تحت رأس الطفل بعد ولادته لطرد الارواح الخبيثة عنه .

(١٠) يعطى للطفل قليل من العسل والزبد بعد الولادة لذاقته حلاوة الحياة ولابعاد سوء الحظ عنه .

(١١) لا يسبح الطفل في بعض الجهات حتى يبلغ عمره اربعين يوماً
او لا يغسل بالصابون حتى تسبحه القابلة بعد ثلاثة ايام من الولادة .

(١٢) يوضع مقدار من الحنطة احياناً تحت وسادة الطفل عند ولادته ثم توزع على الفقراء .

(١٣) يجب على الوالد الا يسبح يوم ولادة طفله الجديد .

(١٤) يجب الا يحدث خصام في البيت مدة الايام العشرة الاولى من ولادة الطفل . ولا يسمح للجار المتخاصم مع احد ان يرى الطفل اثلا يصاب الطفل بمكروه .

(١٥) لا يسمح للمرأة الثكلى حديثاً رؤية الطفل المولود . (قد تكون هذه طريقة غير مقصودة لمنع العدوى) .

(١٦) يجب الا يقترب سائح من الطفل المولود حديثاً لثلا يلقي عليه كل اتعابه .

(١٧) يجب الا يكون عدد الاولاد المطهرين معاً مزدوجاً بل عدداً مفرداً .
 (١٨) اذا تأخر الطفل في المشي يوضع في كفه ميزان ويعادل بالكفة
 الاخرى بأحذية قديمة .

(١٩) اذا لعب الطفل بالنار يبول في نومه ليلاً .
 (٢٠) اذا عثر الطفل في محل ما او خاف « فز » فيجب غسل المحل
 بالماء . وهناك طرق متعددة لمعالجة الخوف عند الاطفال .

(٢١) يدحرج الصبيان الصغار على فراش العرس قبل الزواج حتى يلد
 للعروسين مولوداً ذكراً .

(٢٢) الاعتناء الزائد بالاطفال يضعفهم . (قد يكون اعتناء الوالدين
 الجاهلين مضرًا للطفل) .

(٢٣) اذا لم يعيش لامرأة طفل يطاق بطفلها الجديد على الدور وتطلب
 له صدقة من الناس ليبقى في قيد الحياة .

(راجع ايضاً الخرافات عن الصحة والمرض)

رابعاً -- تعليل المظاهر الطبيعية والحيوانية :

ان ماسنورده من الخرافات في هذا القسم ليس في الحقيقة الا بقية من
 بقايا علم التنجيم القديم :

(١) الخسوف ناتج عن ابتلاع الحوت للقمر ، لذلك يصعد الناس الى
 السطوح ويضربون على الاوعية المعدنية اعتقاداً منهم ان هذه الاصوات
 تزعج الحوت فتلفظ القمر من فمها . وهذه فكرة منتشرة في كل انحاء القطر .

- (٢) تختفي الشمس بعد غيابها في برج خاص تخرج منه عند شروقها .
- (٣) ترتكز الارض على قرن ثور يحولها في ابتداء كل سنة من قرن الى آخر . وفي الامكان التنبؤ عن يسر السنة او عسرها من نوع الحيوان الذي يمر حين حدوث هذا التحويل ، فتكون السنة خيراً اذا مر حيوان كفرخ الدجاج وتكون محلاً اذا مر حيوان كالحية .
- (٤) في رأس كل شهر تلد ام القمر هلالاً وهذا ينمو ويموت في آخر الشهر ثم تلد هلالاً جديداً . وهكذا دواليك .
- (٥) اذا كان لون القمر عند الخسوف احمر فذلك نذير حرب او مجاعة ، واذا كان اسود فنذير بؤفة عظيم ، اما اذا كان لونه ازرق فذلك دليل السلام والرخاء .
- (٦) لكل انسان نجم يتعين به مستقبله ويسقط عند مماته .
- (٧) يدل سقوط شهاب ما على وفاة رجل عظيم .
- (٨) اذا تساقطت الشهب بكثرة فذلك دليل نشوب الحرب بين الملائكة والشياطين اذ يحاول الشياطين الصعود الى السماء على اكتاف بعضهم البعض .
- (٩) اذا كانت السحب عند الغروب حمراء فذلك نذير بالحرب .
- (١٠) تدور الشمس حول الارض .
- (١١) يدل الخسوف والزوايع والعواصف على سخط الله من شرور الانسان .
- (١٢) رؤية الهلال الجديد للمرة الاولى اول الشهر تجلب السعد لاول

من تقع عليه عينك بعد رؤيتك للهِلال .

(١٣) تنبيء الهالة حول القمر بسقوط المطر في اليوم التالي .

(١٤) تدل اسراب القطا على قرب موعد عاصفة من الامطار .

(١٥) تدل كثرة السحب في اواخر الصيف (وتسمى البواخير) على

غزارة الامطار في موسمي الشتاء والربيع .

(١٦) اذا نطق الغراب في الخريف تهطل الامطار .

(١٧) تسقط الامطار من بركة او بحر في السماء . ويعتقد البعض انها

تهطل من ثقب القراب التي يحملها جبريل اثناء قيامه بتوزيع الامطار على الارض .

(١٨) يعتقد الناس ان الله يمنع عنهم الامطار لشرورهم فاذا ماتوا

موعد سقوط المطر يخرجون للصلاة خارج المدينة ويتوسلون الى الله ان يغفر لهم ذنوبهم ويسكب عليهم رحمته .

(١٩) الرعد هو قرع اقدام الملائكة حين يخرجون للبحث في بحر

الظلمات عن الماء التي يسكبونها مطراً على الارض .

(٢٠) اذا اكل حمار الاقدار او اذا حفر في الارض واخفى خبزاً فيها

فذلك نذير بالجماعة .

(٢١) اذا شوهدت اسراب النمل تحمل بيضها فذلك بشير بخيرات

وحاصلات عظيمة .

(٢٢) لمس الضفادع وسكب الماء على القطط او الكلاب او احصاء

النجوم في الليل — كل ذلك يسبب ظهور الثؤلول (الفالول) على الجلد . وهناك طرق عديدة ومضحكة للتخلص من الثؤلول .
 (٢٣) لا تقتل حية الدار لان مجاورتها خير .
 (٢٤) كبر الرأس دليل على الغنى والتقدم ، والارجل الكبيرة تدل على سوء الطالع .
 (٢٥) لا يزال بعض الناس يشتغلون بالكيمياء القديمة وتحويل المعادن الرخيصة الى الذهب .

(٢٦) للقط سبع ارواح فهو لا يفارق الحياة بسرعة .

خامساً — الفأل والتفبرؤ والخوف والامهلام وغير ذلك :

(١) اذا غاب فرد من افراد العائلة يجب رش الماء في البيت لتأمين عودته . وياً كل بعض الناس شيئاً من متاع المسافرين قبل سفره للتأكد من رجوعه .

(٢) لا يجب كنس الدار يوم سفر احد افراد العائلة .

(٣) اذا سافر عدو ل احد الافراد يرمى وراءه سبعة احجار حتى لا يعود من سفره .

(٤) اذا وجدت احذية رجل ما واحدة فوق الاخرى فذلك دليل على سفره .

(٥) اذا لحست القطة امام باب دار ما فذلك دليل على ان احد افراد البيت سيرجع من سفر او انه سيزور اصحاب زوار .

(٦) اذا نامت الدجاجة في الشمس او شاورت دجاجة اخرى او تشاجرت طيور الدار او قططه فذلك دليل على قرب قدوم الزوار الى البيت .
 (٧) لا يجب كنس البيت بالمكنسة لمدة ثلاثة ايام من وفاة احد افراد العائلة .

(٨) لا يجب الكنس بالمكنسة في الليل إلا اذا حرقت اطرافها .
 (٩) لا يجب ترك باب الدار مفتوحاً اذا ما اظلمت الدنيا لئلا يدخلها الشيطان .

(١٠) لا يجب ادخال قدر الى البيت في الليل إلا اذا وضعت فيه حجرة .
 (١١) لا يعير بعض الناس في الليل جيرانهم ملحاً او بيضاً او ماء او قدراً .

(١٢) اذا شعر الانسان بحكة في يده اليمنى فسيقبض مبلغاً من المال (وفي بعض المحلات يحدث ذلك اذا حكك اليد اليسرى) .
 (١٣) اذا رفرفت العين اليمنى فذلك دليل فرح مقبل . وبالعكس اذا رفرفت العين اليسرى فذلك دليل حزن قادم .

(١٤) اذا تشاجر اثنان فيمكنك ان تزيد الشجار بحك اظافرك .
 (١٥) اذا برز شخص بشيء فهو معرض للشرا أكثر من غيره .

(١٦) لبعض الافراد عيون شريرة . ولذا فيخفي عنهم الناس رؤيته اطفالهم او اي شيء نفيس لديهم ولكي لا يصابون بها . ويعلل الناس كثيراً من الحوادث والكوارث باصابة العين . فاذا مرض طفل او اذا انكسرت

آنية جميلة او اذا تمزق ثوب فذلك من اصابة العين .

(١٧) للنساء عيون شريرة اكثر من الرجال . وينقذ الطفل المريض من اصابة عين شريرة باستعمال الشب بطرق شتى . واذا دخلت امرأة ذات عين شريرة بيتاً ما ، يأخذ اصحاب ذلك البيت سفوداً محمياً ويضعونه في المحل الذي جلست فيه تلك المرأة ويقولون : اقلع عين فلانة ... وطرق التخلص من اصابات العين كثيرة ومتنوعة .

(١٨) اذا نطق البوم في دار او بى فيها عشاً فآل بسوء او نذير بموت احد افراد البيت . ولمقاومة البوم يجب ان يقال : « سكين ملح » بضع مرات .

(١٩) اذا رأى شخص حية سوداء فذلك بشير بالخير له .
(٢٠) اذا انكسر اناء او كوب او اذا مات حيوان من الحيوانات البيئية يشكر الناس الله الذي حول الشر من الانسان الى الاناء المكسور او الى الحيوان . واذا وقع اناء او كوب ولم ينكسر فقد يتعوذ الناس منه ويكسرونه عمداً !

(٢١) من الخرافات الغربية عند المسيحيين رمي او ابي خزفية من السطح الى الشارع في يوم من ايام الصيف (في آب) وهذا ما يفرح له الاطفال إذ هم الذين يرمون اكثرها .

ويفعل نفس الشيء المسلمون في اواخر صفر لان هذا شهر نحس .

(٢٢) اذا عطس شخص في اثناء الكلام فذلك دليل على صدقه . ويعتبر هذا في بعض المحلات دليلاً على الصبر . وفي محلات اخرى اذا عطس

شخص امام مسافر فعلى المسافر ان يؤجل سفره . وعطستان قال حسن
للسفر .

- (٢٣) لا يجب ان يطفى أحد موقداً للنار لئلا يكون عقياً بلا اطفال .
(وربما كان ذلك دافع الى حفظ النار في وقت كان الثقب فيه نادراً .
ويتذكر المؤلف في صباه حين كان الناس يستعيرون النار بعضهم من البعض) .
(٢٤) اذا مضغ احد علكا في صغره فشواربه تنبت معوجة في كبره .
(ويعتبر مضغ العلك غير لائق بالرجل مع انه اخذ بالانتشار الآن) .
(٢٥) نورد فيما يلي بعض التفاسير الكثيرة عن الاحلام . وهذه بالطبع
تختلف من محل لآخر في تفسير الاحلام احياناً بعكسها ، الحلم النحس
يجلب خيراً . اذا رأى احد القمر في نومه فلا بد ان يزور ولياً . اذا رأى
احد ميتاً في نومة فسيطول عمره . اذا رأى احد نفسه راكباً فرساً في نومه
فله مستقبل باهر . واذا رأى عقرباً فذلك دليل على وجود عدو لدوده .
الى غير ذلك .

هذه طائفة من الخرافات والاساطير الشائعة في العراق وهي بكثرتها
وتنوعها تصور لنا بكل وضوح بساطة عقلية السواد الاعظم من عامة العراقيين
والجهل المستولي عليهم . ان الخرافات بالطبع موجودة بدرجات مختلفة في
جميع اقطار الدنيا حتى المتمدنة منها الا ان هذه الخرافات العراقية تذكرنا
بالعقلية التي كانت سائدة في اوربا في القرون الوسطى اذ الارواح الخبيثة
والجان والشياطين تشغل عقول العامة الى مدى بعيد ، اذ كانت مقدرات
الناس تعرف بـ ابراج النجوم ، واذا كان الطب اقرب الى السحر منه الى العلم .

ولابد للباحث المنصف ان يستنتج انه اذا كانت اقلية العراقيين التي تشكل الطبقة المتعلمة منهم قد وصلت الى درجة عالية من الرقي فان السواد الاعظم منهم لا يزالون يرسفون تحت قيود الجهل وهم بالكاد قد ابتدأوا بالتخلص من احوال القرون الوسطى .

ان ما ادخله العلم الحديث من التبديل المدهش في سطح البلاد الغربية وما احدثه من التطور في العقلية الغربية امر اصبح مودعاً في كتب التاريخ تشهد به ، ولو كان هذا التطور لا يزال يسير اليوم بدون انقطاع .

اما في العراق — كما في معظم بلاد الشرق — فالاختراعات والاكتشافات وانتشار العقلية العلمية وزوال الخرافات امور يصبو اليها العراقي بكل جوارحه وقد جعلها في مقدمة المثل العليا التي يسمو اليها ولكنها لا تزال في طيات المستقبل .

الخاتمة

ولعل خير ما نختتم به هذه الفصول هو ان نردد ما طالما رددته العراقيون كبيرهم وصغيرهم في السنوات الاخيرة من ان رقي البلاد وسعادتها ووحدتها وانماء ثروتها ورفع المستوى الصحي فيها وخلق عقلية عصرية بين افرادها وتشبيد دعائم نظام اجتماعي قويم فيها — كل ذلك يتوقف قبل كل شيء على نشر التعليم بين جميع ابناءها وبناتها . على ان التعليم انواع وما قد يصلح منه للغرب قد لا يصلح لآبناء العراق وللشرق . ولكننا نرى رجال التعليم في البلاد الشرقية مع ذلك يقلدون التعليم الغربي تقليدًا اعمى دون ان يحققوا

الاحوال السياسية والاجتماعية الخاصة التي نشأت منها الانظمة التعليمية الغربية . ان درس الاساليب التربوية الغربية لاشك مفيد لنا جداً ولا بد لنا من الاستفادة من اختبارات الغربيين بهذا الشأن . ولكن هذا وحده لا يكفي بل يجب ان ندرس احوالنا وحياتنا درساً مدققاً من جميع وجوهها ثم نبني نظامنا التعليمي على اساس هذا الدرس بصورة تلائم محيطنا وتسد حاجات حياتنا . وهذا ما اردت ان افعله ببعضي عن احوال العراق السياسية والاقتصادية والاجتماعية والصحية بحثاً محاولاً جهد طاقتي ان اجعله علمياً مجرداً .

اما ماهي النظم التعليمية والمناهج والاساليب التربوية الاصلح للعراق التي يدلنا عليها هذا البحث ، فهذا ما اؤمل ان تسعني الاحوال والظروف في تدوينه يوماً ما في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

تم الجزء الاول

المصادر والمراجع

١- المصادر العربية

(أ) المصادر الرسمية :

- (١) الحكومة العراقية : القانون الاساسي العراقي .
- (٢) محاضر جلسات المجلس النيابي ، تنشر ملحقه بالوقائع العراقية .
- (٣) محاضر جلسات مجلس الاعيان ، تنشر ملحقه بالوقائع العراقية .
- (٤) قانون المطبوعات رقم ٨٢ سنة ١٩٣١ وتعديلاته . بغداد ، مطبعة الحكومة .
- (٥) قانون ادارة البلديات رقم ٨٤ سنة ١٩٣١ ، بغداد ، مطبعة الحكومة .
- (٦) قانون الاستهلاك رقم ٨٣ سنة ١٩٣١ ، بغداد ، مطبعة الحكومة .
- (٧) قانون تسوية الاراضي رقم ٥٠ سنة ١٩٣٢ الوقائع العراقية عدد ١١٣٧ في ١ حزيران سنة ١٩٣٢ .
- (٨) قانون الامراض ، العفنة لسنة ١٩٢٦ ، الوقائع العراقية ، ١٥ تموز سنة ١٩٢٦ (نشر ايضاً على حدة باللغتين العربية والانكليزية) .
- (٩) قانون حقوق وواجبات الزراع ، الوقائع العراقية ، مطبعة الحكومة بغداد .
- (١٠) التقرير السنوي لمديرية الصحة العامة لسنة ١٩٢٢ ، بغداد ، المطبعة الحديثة سنة ١٩٢٣ .
- (١١) تقرير مديرية الصحة العامة لسنتي ١٩٢٣-١٩٢٤ ، و ١٩٢٤-١٩٢٥ ، بغداد المطبعة الحديثة سنة ١٩٢٦ .

(١٢) تقارير رئاسة صحة العاصمة ١٩٢٠-١٩٢٣ للدكتور ت. بارت هكز
باللغتين العربية والانكليزية ، بغداد ، مطبعة الحكومة .

(١٣) تقارير رئاسة صحة العاصمة ١٩٢٤-١٩٢٨ للدكتور سامي شوكت ،
بغداد ، مطبعة الحكومة .

(١٤) وزارة المالية: الميزانيات السنوية للحكومة العراقية، بغداد، مطبعة الحكومة.
(١٥) وزارة المالية: التقارير السنوية لمديرية الواردات العامة ، بغداد
مطبعة الحكومة .

(١٦) مديرية الزراعة العامة : حشرة اركيجة (السون) . نشرة مديرية
الزراعة العامة ، رقم ١٣ ، بغداد ، المطبعة الحديثة سنة ١٩٢٦ باللغتين
العربية والانكليزية .

(١٧) مديرية الزراعة العامة: الجراد. النشرة الزراعية رقم ١٢، بغداد ، المطبعة
الحديثة سنة ١٩٢٦ .

(١٨) مديرية الري العامة : تدابير موسم الفيضان لسنتي ١٩٢٨ و ١٩٣٠ ،
بغداد ، مطبعة الحكومة .

(١٩) مجموعة جريدة الوقائع العراقية ، بغداد ، مطبعة الحكومة .

(٢٠) خطبة حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم في المادة الملكية التي
اقامت اكراماً للوفود العراقية في ٢-١٠-١٩٣١، مطبعة الحكومة ، بغداد

(ب) الكتب والمقالات :

(١) ابراهيم ، عبد الفتاح : على طريق الهند ، الطبعة الثانية ، مطبعة
الاهالي ، بغداد ، سنة ١٩٣٥ .

- (٢) امين ، قاسم : تحرير المرأة ، الطبعة الثالثة ، مطبعة عين شمس ،
مصر ، سنة ؟
- (٣) امين ، قاسم : المرأة الجديدة ، مصر ، مطبعة ؟ سنة ؟
- (٤) البصير ، محمد مهدي : القضية العراقية ، جزآن ، مطبعة الفلاح ،
بغداد ، سنة ١٩٢٣ .
- (٥) بيهم ، جميل : الانتدابات في سوريا والعراق ، مطبعة العرفان ،
صيدا ، سنة ١٩٣١ .
- (٦) ثابت ، كريم : فيصل ، مصر ، مطبعة ؟ سنة ١٩٣٣ .
- (٧) الجمالي ، فاضل : وجهة التربية والتعليم في العالم العربي وفي العراق
خاصة ، مطبعة الجزيرة ، بغداد ، سنة ١٩٣٦ .
- (٨) الحسيني ، عبد الرزاق : تاريخ الوزارات العراقية ، جزآن ، مطبعة
العرفان ، صيدا ، سنة ١٩٣٣—١٩٣٤ .
- (٩) الحسيني ، عبد الرزاق : العراق في دوري الاحتلال والانتداب ،
مطبعة العرفان ، صيدا ، سنة ١٩٣٤ .
- (١٠) خوري ، يعقوب : دليل المملكة العراقية ، مطبعة الدليل ، بغداد ،
سنة ١٩٣٦ .
- (١١) خدوري ، مجيد : تحرر العراق من الانتداب ، مطبعة العهد ، بغداد ،
سنة ١٩٣٥ .
- (١٢) الركابي ، رضا باشا : « فيصل فقيد العرب » ، مجلة الثقافة ، الجزء

السادس، السنة الاولى، ١٥ تشرين الثاني سنة ١٩٣٣،
ص ٥٢١-٥٣٥.

(١٣) الريحاني، امين: ملوك العرب، الجزء الثاني، مطبعة صادر،
بيروت، سنة ١٩٢٤.

(١٤) الريحاني امين: فيصل الاول، مطبعة صادر، بيروت، سنة ١٩٣٤.

(١٥) الريحاني، امين: قلب العراق، مطبعة صادر، بيروت، سنة ١٩٣٥.

(١٦) زين الدين، نظيرة: السفور والحجاب، مطبعة توزما، بيروت،
سنة ١٩٢٨.

(١٧) سعيد، امين: الثورة العربية الكبرى، الجزء الثاني، مطبعة عيسى
البابي، مصر، سنة ١٩٣٤.

(١٨) طبارة، راشد: الانتداب وروح السياسة الانكليزية، مطبعة صبارة،
بيروت، سنة ١٩٣٥.

(١٩) عبد الحسين، محمد: ذكري فيصل الاول، مطبعة الشعب، بغداد،
سنة ١٩٣٣.

(٢٠) العمري، محمد طاهر: مقدرات العراق السياسية، ثلاثة اجزاء، الجزء
الاول مطبعة الفلاح بغداد سنة ١٩٢٣، الجزء الثاني مطبعة
الفلاح سنة ١٩٢٤، الجزء الثالث، مطبعة دار السلام
سنة ١٩٢٥.

(٢١) الغلاييني، الشيخ مصطفى: نظرة في كتاب السفور والحجاب،
مطبعة توزما، بيروت، سنة ١٩٢٥.

(٢٢) غنيمية ، يوسف : تجارة العراق قديماً وحديثاً ، مطبعة العراق ، بغداد

سنة ١٩٢٢ .

(٢٣) فارس ، عبد الجبار : عامان في الفرات الاوسط ، مطبعة الراعي ،

النجف ، سنة ١٣٥٣ هـ .

(٢٤) فهبي ، احمد : تقرير حول العراق ، المطبعة العصرية ، بغداد ،

سنة ١٩٢٦ .

(٢٥) المدرس ، فهبي : مقالات ، جزآن ، مطبعة الشعب ، بغداد ،

سنة ١٩٣١-١٩٣٢ .

(٢٦) مفرج ، فواد : رسالة في الانتداب ، مطبعة صادر ، بيروت ،

سنة ١٩٣٣ .

(٢٧) الهاشمي ، طه باشا : مفصل جغرافية العراق ، مطبعة دار السلام بغداد ،

سنة ١٩٢٩ .

(٢٨) الهاشمي ، ياسين باشا : رد الهاشمي على تقرير السر هلتن يانغ الاقتصادي

مطبعة النجاح ، بغداد ، سنة ١٩٣٠ .

(٢٩) الهاشمي ، ياسين باشا : النص الكامل لتقرير نخامة الهاشمي باشا في

معالجة الحالة الاقتصادية العامة ، مطبعة دار السلام بغداد ،

سنة ١٩٣٠ .

(٣٠) تقويم العراق لسنة ١٩٢٣ ، نشرته ادارة جريدة العراق ، مطبعة

العراق ، بغداد ، سنة ١٩٢٣ .

عالم (٣١) الجرائد : د عالم و لومعه و ايام قها : سنه و قهيد (٢٢)

العراق

العالم العربي

الاستقلال

البلاد

الاخاء الوطني

الاخبار

صدي العهد

الطريق

صدي الجمهور

النهضة العراقية

الاهالي

الاقوات البغدادية

د عالم و لومعه و ايام قها : سنه و قهيد (٢٢)

د عالم و لومعه و ايام قها : سنه و قهيد (٢٢)

د عالم و لومعه و ايام قها : سنه و قهيد (٢٢)

د عالم و لومعه و ايام قها : سنه و قهيد (٢٢)

د عالم و لومعه و ايام قها : سنه و قهيد (٢٢)

د عالم و لومعه و ايام قها : سنه و قهيد (٢٢)

د عالم و لومعه و ايام قها : سنه و قهيد (٢٢)

د عالم و لومعه و ايام قها : سنه و قهيد (٢٢)

٢ - المصادر باللغات الاجنبية

(أ) المصادر الرسمية

(اولاً) نشرات وتقارير حكومة الاحتلال والحكومة العراقية :

1. Review of the Civil Administration of the Occupied Territories of al-Iraq, 1914—1918, Baghdad, Government Press, 1918.
2. Royal Government of Iraq, Correspondence Relating to Assyrian Settlement, from 31st July, 1932, to 5th August, 1933, Baghdad, Government Press, 1934.
3. Administration Report of Health Department for the year 1919—20, Baghdad, Government Press, 1921.
4. Annual Administration Report of the Health Services for the year 1920, Baghdad, Government Press, 1922.
5. Annual Administration Report of the Iraq Health Services for the year 1921, Baghdad, Government Press, 1923.
6. Report of the Inspector-General of Health Services, Baghdad, the Government Press, for the years 1923 and 1924, published in 1925, for the years 1925 and 1926, published in 1928.
7. Annual Report of the Health Department for the year 1919 ? Issued as an Appendix to the Annual Report of the Health Service of Mesopotamia Government Press (No date).
8. Annual Report of the Health Department by T. Barrett Heggis
For the year 1920 published in 1921
For the year 1921 published in 1922
For the year 1922 published in 1923
Baghdad, the Government Press.
9. Annual Report for 1920 of the Health Department, Ashar and Basrah, by T. J. Halliman, Medical Officer of Health, Basrah, Times Press, 1921.
10. Annual Report of the Health Department, Basrah, for the year 1921, by T. J. Halliman, Medical Officer of Health, Basrah, Times Press, 1922.

11. Administration Report of the Department of Agriculture for the year 1921, Baghdad, Government Press, 1922.
12. Report on Cotton Experimental Work in Mesopotamia in 1918, Government Press, 1919.
13. A Note on the Wheats and Barleys of Mesopotamia (together with observations on local conditions) by C. R. Wimshurst, Basrah, the Government Press, 1920.
14. Cultivation of Cotton, Agricultural leaflet No. 7, Baghdad, the Government Press, 1920.
15. Alkali Lands in Iraq, A Preliminary Investigation by J. F. Webster, Bombay, the Times Press, 1921.
16. Report on the Soil Survey of the Dialah Area, Right Bank, Memoir No. 2, Department of Agriculture, Mesopotamia, Bombay, the Times Press, 1921.
17. A Preliminary List of Insect Pests of Iraq. Memoir No. 7, Department of Agriculture, Iraq, Bombay, the Times Press, 1921.
18. Preliminary Note on the Friuts of the Dialah District, by C. Gaulty, Baghdad, the Government Press, 1921.
19. Further Studies of Alkali Soils in Iraq, by J. F. Webster and B. Viswanath, Bombay, the Times Press, 1921.
20. The Pests of the Date Palm in the Iraq with a Supplementary Note by A. Dutt, Memoir No. 6, Department of Agriculture, Mesopotamia, Basrah, the Times Press, 1922.
21. Dates and Date Cultivation of the Iraq, by V.H.W. Dowson, W. Heffer & Sons, Ltd. Cambridge, 1923.
22. Report on a Cultivation Experiment with Irrigated Cotton in Iraq, Memoir No. 9, Department of Agriculture, Iraq, Baghdad, Government Press, 1925.
23. An Investigation into the Relative Utility and the Reliability of Various Mettods of Comparing the Yields of Cotton from Experimental Plots. Memoir No. 11, Department of Agriculture, Iraq, Baghdad, Government Press, 1925.
24. The Economies of Rice and Cotton Cultivation in the Dialah Liwah, by Khan Sahib A. A. Soffee, Baghdad, the Government Press, 1925.

25. Aphids, Agricultural Leaflet, No. 14, Baghdad, the Government Press, 1927.
26. Cultivation of American Cotton, leaflet No. 15, Baghdad, the Government Press, 1927.
27. Some of the more Common Insects Found in Vegetable Gardens in Iraq. Agricultural leaflet No. 16, Baghdad, the Government Press, 1927.
28. The Cultivation and Marketing of Linseed, by Evan Guest, Agricultural Bulletin No. 21, Baghdad, the Government Press, 1930.
29. The Raising of Turnips, Agricultural Leaflet No. 24, Baghdad, Press not mentioned, 1930.
30. Note on Locusts in Iraq and the Control Measures Adopted, by Rooke, H. G. D., Baghdad, the Government Press, 1930.
31. Notes on Trees and Shrubs for Lower Iraq, by Evan Guest, Baghdad, the Government Press, 1932.
32. Laws and Regulations Governing the Work of the Irrigation Department, December, 1931, Baghdad, Government Press, 1931.
33. An Inquiry Into Land Tenure and Related Questions, the Garden City Press Limited, England.
34. Ministry of Finance, Department of Customs and Excise, Administration Report, Issued Every Year, Baghdad, Government Press.
35. Report of the Economics Committee 1922, Baghdad, the Government Press, 1922.
36. Reports on Economic Conditions and Policy and Loan Policy, by Sir Edward Hilton Young, June, 1930. Baghdad, the Times Press, 1930, Published also in British Government, Report on the Administration of Iraq for 1930. Appendix 2. Pp. 163—184.
37. Agreement Concluded on 24th March, 1931, Revising the Convention made on the 14th March, 1925, with the Government of Iraq, Baghdad, the Government Press, 1931.

(ثانياً) نشرات وتقارير الحكومة البريطانية—طبعت باجمعها من

قبل دائرة النشر البريطانية في لندن His Majesty's Stationary Office

1. Review of the Civil Administration of Mesopotamia, by Miss Gertrude Bell, Cmd. 1061, London, 1920.
2. Iraq, Report on Iraq Administration, October, 1920—March, 1922, London, No date.
3. Colonial Office, Iraq. Report on Iraq Administration. April 1922—March 1923. London, 1924. (Colonial No. 4).
4. Colonial Office, Report by His Britannic Majesty's Government on the Administration of Iraq for the period April 1923—December 1924. London, 1925. (Colonial No. 13).
5. Colonial Office, Report by His Britannic Majesty's Government to the Council of the League of Nations on the Administration of Iraq for the year 1925. London, 1926, (Colonial No. 21).

التقارير السنوية الاخرى عن ادارة العراق هي بنفس العنوان

وفيا يلي اسماء السنوات والنشر ورقم التسلسل :

- For the year 1926 Colonial No. 29 London, 1927.
 For the year 1927 Colonial No. 35 London, 1928.
 For the year 1928 Colonial No. 44 London, 1929.
 For the year 1929 Colonial No. 55 London, 1930.
 For the year 1930 Colonial No. 62 London, 1931.
 For the year 1931 Colonial No. 74 London, 1932.
6. Foreign Office, Report by His Majesty's Government in the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland to the Council of the League of Nations on the Administration of Iraq for the Period January to October, 1932. London, 1933.
 7. Colonial Office, Special Report by His Majesty's Government in the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland to the Council of the League of Nations on the Progress of Iraq during the period 1920—1931, London, 1931 (Colonial No. 58).

8. Foreign Office, Peace Handbook No. 63, Mesopotamia, London, 1919.
9. Hewett, Sir John P., Report for the Army Council on Mesopotamia, London, 1919.
10. Moberly, F. J., the Mesopotamia Campaign, Official History of the Great War. Four Volumes, London, 1926—1927.
11. Naval Staff, Intelligence Department, A Handbook of Mesopotamia, Four Volumes. Place of Printing not stated, 1918.
12. Treaty of Peace with Turkey, Signed at Sèvres, August, 10, 1920, Treaty Series No. 11 (1920) Cmd. 964. London, 1920.
13. San Remo Oil Agreement, Miscellaneous No. 11 (1930), Cmd. 675, London, 1920.
14. Draft Mandates for Mesopotamia and Palestine, Miscellaneous No. 3 (1921), Cmd. 1176, London, 1921.
15. Correspondence Between His Majesty's Government and the United States Ambassador Respecting Economic Rights in Mandated Territories, Miscellaneous No. 10 (1921), Cmd. 1226, London, 1921.
16. Treaty of Alliance Between Great Britain and Iraq, Signed at Baghdad, October 10, 1922, and Protocol to the Treaty of Alliance, Signed at Baghdad April 30, 1923, Together with Agreements Subsidiary to the Treaty of Alliance Signed at Baghdad, March 25, 1924, Treaty Series No. 17 (1925), Cmd. 2370, London, 1925.
17. Young, Sir E. Hilton, and Vernon, R. V., Report of the Financial Mission Appointed by the Secretary of States for the Colonies to Enquire into the Principal Position and Prospects of the Government of Iraq, Cmd. 2438, London, 1925.
18. Application to Iraq of the Principles of Article 22 of the Covenant of the League of Nations, Cmd. 2317, London, 1925.
19. Decision Relating to the Turco-Iraq Frontier, Adopted by the Council of the League of Nations, Geneva, December 16, 1925. Miscellaneous No. 17 (1925), Cmd. 2562, London, 1925.

20. Agreement with the Sultan of Nejd Regarding Certain Questions Relating to the Nejd-Trans-Jordan and Nejd-Iraq Frontiers, Cmd. 2566, London, 1925.
21. Treaty with King Feisal, Signed at Baghdad, 13th January, 1926, Cmd. 2587, London, 1926.
22. Letter from His Majesty's Government to the Secretary-General of the League of Nations and Proceedings of the Council of the Leagues Regarding the Determination of the Turco-Iraq Frontier, Etc., Cmd. 2624, London, 1926.
23. Treaty Between the United Kingdom, Iraq and Turkey Regarding the Settlement of the Frontier between Turkey and Iraq, Turkey No. 1 (1925), Cmd. 2679, London, 1926.
24. Treaty Between the United Kingdom and Iraq, Signed at London, December 14, 1927, Cmd. 2998, London, 1927.
25. Policy in Iraq, Memorandum by the Secretary of State for the Colonies, Cmd. 3440, London, 1929.
26. Judicial Agreement Between His Majesty, in Respect of the United Kingdom and the King of Iraq, Treaty Series No. 33 (1931), Cmd. 3933, London, 1931.
27. Treaty of Alliance, between His Majesty of the United Kingdom, and His Majesty the King of Iraq, With an Exchnage, of Notes, Baghdad, June 30, 1930, Together with Notes Exchanged Embodying a Separate Financial Agreement, London, August 19th 1930. Treaty Series No. 15 (1931), Cmd. 3797, London, 1931.
28. Empson, Economic Conditions in Iraq, Dated August, 1933, No. 559, London, 1933.
29. Summerscale, J. P., Economic Conditions in Iraq, 1933-35, London, 1936.

(ثالثاً) نشرات وتقارير عصبة الامم

1. Question of the Frontier between Turkey and Iraq, Report Submitted by the Committee instituted by the Council Resolution of Sept, 30th 1924, C. 400, M. 147, 1925.
2. Permenant Mandates Commission, Minutes of the Sessions 10, 12, 14, 16, 19, 20 and 21, Geneva.

3. Discussion by the Council of the League of Nations of the Report of the P. M. C., with the "General Conditions which must be fulfilled before the Mandate Regime can be brought to an End in respect of a Country under that Regime" L. of N., Official Journal, 12, 2044—2058, Nov. 1931.
4. "Statistical Information Concerning Territories under Mandate," League of Nations Document C. 143, M. 34, 1928.

(ب) الكتب والمقالات

(منظمة على حروف الهجاء)

1. Akrawi, Dr. F., Etudes sur la peste en Mesopotamie. Librairie Louis Armette, Paris, 1928.
2. Ali, Ameer, The Legal Position of Women in Islam. Published for the University of London Press, Ltd., by Hodder and Stoughton, London, 1912.
3. Ali, Maulvi Mohammad, The Holy Qur'an Containing the Arabic Text with English Translation and Commentary. The Islamic Review Office, Working, Surrey, England, 1917.
4. The Arab of Mesopotamia. Published by the Superintendent of the Government Press, Basrah, no date.
5. Askari, Jafar Pasha Al—, "Five Years' Progress in Iraq". Journal of the Central Asian Society. Volume XIV, Part I, 1927, pp. 62—72.
6. Bagley, William C., "Iraq's Rise to Nationhood," Current History, Volume 36, pp. 47—51, April, 1933.
7. Basmaji, Dr. Edouard J., Contributions a l'etude de la leishmaniose cutance. Le bouton d'Orient en Iraq. Librairie M. Lac, Paris, 1930.
8. Bell, Certrude L., Letters of Certrude Bell, Selected and edited by Lady Bell. London, Benn, 1927, 2 Volumes.
9. Chiha, N. K., La province de Bagdad. Imprimerie El-Maaref, Le Caire, 1908.
10. Christophers, S. R. and Shortt, H. E., Anti-Malaria Operations at Busra, 1916—1919. Reprint from the Indian Journal of Medical Research, No. 3, January, 1921. Thacker, Spink and Co. Calcutta, 1921,

11. Christophers, S. R. and Shertt, H. E., *Malaria in Mesopotamia*. Reprint from the *Indian Journal of Medical Research*, Volume VIII, No. 3 January, 1921. Thatcher, Spink and Co., Calcutta, 1921.
12. Coke, Richard, *The Heart of the Middle East* Thornton, Butterworth, Ltd., London, 1925.
13. Cox, Sir Percy Z., "Iraq," *Near East and India*, Volume 35, p. 238, February, 21, 1921.
14. Crabites, P., "Things Mahomet did for Women." *Asia*, Volume 27, pp. 44—45, January, 1927.
15. Cuinet, Vital, *La Turquie d'Asie, Geographie administrative, statistique, descriptive et raisonnée de chaque province de l'Asie Mineure*. Ernest Leroux, Editeure, Paris, 1892—1894. Volume II and Volume III.
16. Dobbs, Sir Henry, "Mosul Oil and the Pipe-Line." *Nineteenth Century and After*, Volume 108, pp. 281—291, September, 1930.
17. Earle, E. M., *Turkey, the Great Powers and the Baghdad Railway. A Study in Imperialism*. Macmillan, New York, 1923.
18. "Early Days of the Arab Government in Iraq," by a Baghdad correspondent. *Journal of the Central Asian Society*, Volume IX, Part IV, 1922, pp. 233—238.
19. Edib, Halide, "Poor Turkey, Poor Greece, Poor World." *Asia*, Volume 28, pp. 638—645, August, 1928.
20. *Encyclopedia Britannica*, Eleventh Edition, articles on "Mesopotamia," "Baghdad," "Basrah," "Tigris," "Euphrates" and "Irak-Arabi," Twelfth Edition, "Mesopotamia," Thirteenth Edition, "Iraq" and Fourteenth Edition, "Iraq."
21. *Encyclopedia of Islam*, article on "Iraq," E. J. Brill, Leyden, 1913—28.
22. Evans, L. H., "The Emancipation of Iraq from the Mandate System." *American Political Science Review*, Volume 26, pp. 1024—1049, December, 1932.
23. Fahmi, Ahmad, *A Report on Iraq*, The Government Press, Baghdad, 1926.

24. Fisher, Mrs. Anna L., "Disciples of John the Baptist," *Asia*, Volume 28, pp. 491—495, December, 1928.
25. Freemantle, F. E., "Health Work in Mesopotamia," *Contemporary Review*, Volume 116, pp. 650—659, December, 1919.
26. "Fulanain," Hajji Rikkan, Marsh Arab, J. B. Lippincott and Co. Philadelphia, 1928, Chatte and Windus, London, 1927.
27. "Ghafir," "Great Britain and Iraq." *Contemporary Review*, Volume 139, pp. 742—749, June, 1931.
28. Haldane, Sir Aylmer L., *The Insurrection in Mesopotamia*. William Blackwood and Sons, London, 1922.
29. Hall, H. R., and Woolley, C. R., *Ur Excavations. Volume I, Al-Ubaid*. Oxford University Press, 1927.
30. Hay, W. R., *Two Years in Kurdistan, Experiences of a Political Officer, 1918—1920*. Sidgwick and Jackson, Ltd. London, 1921.
31. Hill, Wing Commander Roderic, *The Baghdad Air Mail*. Edward Arnold and Co., London, 1929.
32. Himbury, Sir William H., "Cotton Growing in Iraq." *The Near East and India*, Volume 35, pp. 499—500, April 18, 1929.
33. Himbury, Sir William H., *Iraq as a Source for Increasing Raw Cotton Supplies*. British Cotton Growing Association, Manchester, 1925.
34. Hoare, Sir Samuel J. G., *A Flying Visit to the Middle East*. Cambridge University Press, 1925.
35. Hoare, Sir Samuel J. G., *India by Air*. Longmans, Green and Co., London, 1927.
36. Hocking, William E., "Working of the Mandates." *Yale Review (New Series)*, Volume 19, pp. 244—268, December, 1929.
37. Holt, Major A. L., "Some Journeys in the Syrian Desert." *Journal of the Central Asian Society*, Volume X, Part III, pp. 175—191, 1923.
38. Hooper, C. A., *The Constitutional Law of Iraq*. Mackenzie and Mackenzie, London, 1928.

- ۶۰۰
39. Howell, E. B., "The Qanun Al-Aradhi." *Journal of the Central Asian Society*, Volume IX, Part I, pp. 21—39, 1922.
 40. Iraq Petroleum Company, Ltd., Agreement Concluded on 24th March, 1931, Revising the Convention made on the 14th March, 1925, with the Government of Iraq. The Government Press, Baghdad, 1931.
 41. Jamali, Mohammed Fadhil, *The New Iraq, Its Problem of Bedouin Education*, Bureau of Publication, Teachers College, Columbia University, New York, 1934.
 42. Kandel, I. L. (Editor), *Educational Yearbook of the International Institute of Teachers College, Columbia University, 1927*, Chapter "Iraq." Bureau of Publications, Teachers College, Columbia University, New York, 1928.
 43. Le Strange, Guy, *The Lands of the Eastern Caliphate*. Cambridge University Press, 1905.
 44. Loder, John de V., *The Truth about Mesopotamia, Palestine and Syria*. G. Allen and Unwin, Ltd., London, 1923.
 45. Longrigg, S.H., *Four Centuries of Modern Iraq*. The Clarendon Press, Oxford, 1925.
 46. MacCallum, E. P., "The Arab Nationalist Movement," in *Foreign Policy Reports of the Foreign Policy Association*, New York, Volume XI, No. 5, May 8, 1935.
 47. MacCallum, E.P., "New Power in Asia?" *Canadian Forum*, Volume 13, pp. 167—169, February, 1933.
 48. MacCallum, E. P., *Post-War Treaties Affecting the Near East, An Index*. Foreign Policy Association Information Service, Volume X, No. 14, September, 18, 1929.
 49. Main, Ernest, *Iraq, From Mandate to Independence*, Allen and Unwin, London, 1935.
 50. "Major Soane in Sulaimaniya." *Journal of the Central Asian Society*, Volume X, Part II, pp. 145—148, 1923.
 51. Mann, J. S., *An Administrator in the Making, James Saumarez Mann, 1893—1920*. Edited by his father. Longmans, Green and Co., 1921.
 52. Marriott, Sir J.A.R., *The Eastern Question*. Third Edition, Revised, The Clarendon Press, Oxford, 1924.

53. Musil, Alois, *The Manners and Customs of the Rwala Bedouins*. Published under the patronage of the Czech Academy of Sciences and Arts and of Charles R. Crane. American Geographical Society. *Oriental Explorations and Studies* No. 13. New York, 1927.
54. N.G.D., "Review of 'The Constitutional Law of Iraq'" of C.A. Hooper. *Journal of the Central Asia Society*, Volume XVI, Part I, pp. 115—120, 1929.
55. Patchedji, Hadi, *L'etat actuel de l'hygiene publique en Irak*. Vigot Freres, Editeure, Paris, 1928.
56. Philby, H. St. J. B., "Arabia 1926—1929." *Contemporary Review*, Volume 133, pp. 705—715, June, 1928.
57. Philby, H. St. J. B., "Trouble In Arabia." *Contemporary Review*, Volume 133, pp. 705—715, June, 1928.
58. Rihani, Ameen, "Arabia, An Unbiased Survey." *Journal of the Central Asian Society*, Volume XVI Part I, pp. 35—55, 1929.
59. Ross, F., Fry, L., and Sibley, E., *The Near East and American Philanthropy*. Columbia University Press, New York, 1929.
60. Slater, S. H., "Iraq." *Nineteenth Century and After*, Volume 99, pp. 479—494, April, 1926.
61. Soane, E. B., "The Southern Kurd." *Journal of the Central Asian Society*, Volume IX, Part I, pp. 40—47, 1922.
62. Soane, E. B., *To Mesopotamia and Kurdistan in Disguise*. Murray, London, 1912.
63. Stevens, E. S., *By Tigris and Euphrates*. Hurst and Blackett, Ltd., London, 1923.
64. Stevens, E. S., "The Woman Movement in Iraq." *Near East and India*, Volume 36, pp. 400—401, October 10, 1929.
65. Tardieu, Andre, "Mossoul et le petrole." *L'Illustration*, Volume 155, pp. 380—382, June 19, 1920.

66. Temperley, H. W. V. (Ed.), *A History of the Peace Conference of Paris. Volume VI*, Hery Froude and Hodder and Stoughton, London, 1924.
67. Toynbee, A. J., *The Islamic World Since the Peace Settlement*. Oxford University Press, London, 1927.
68. "Turkish Rule and British Administration in Mesopotamia," *Quarterly Review*, Volume 222, pp. 401—423, October, 1919.
69. Tweedy, Owen, "Iraq and Its Problems," *Fortnightly Review*, Volume 137, pp. 220—229, February, 1932.
70. Washburne, Carleton, *Remakers of Mankind*, New York, John Day Company, 1932.
71. Willcocks, Sir William, *The Irrigation of Mesopotamia, Text with 46 plates in portfolio*, London, E. and F. N. Spon Ltd., 1911.
72. Williams, Kenneth, "The Significance of Mosul," *Nineteenth Century and After*, Volume 99, pp. 349—355, March, 1926.
73. Williams, R. H., *Suggested Methods of Control of Locusts in Iraq*, Baghdad, The Times Press, Ltd. 1928.
74. Wills, C., "The Grain Trade of the Persian Gulf," *The Near East and India*, Volume 28, pp. 536—537, October 29, 1925, and pp. 567—569, November, 1925.
75. Wilson, Sir Arnold T., *Loyalties, Mesopotamia, 1914—1917*, London, Oxford University Press, 1930.
76. ———. *Mesopotamia, 1917—1920, A Clash of Loyalties*, London, Oxford University Press, 1931.
77. ———, "Mesopotamia, 1914—1921," *Journal of the Central Asian Society*, Volume 8, Part III, pp. 144—161, 1921.
78. ———, *The Persian Gulf*, Oxford, Clarendon Press, 1928.
79. Wright, Quincy, "The Government of Iraq," *American Political Science Review*, Volume 20, pp. 743—769, November, 1926.

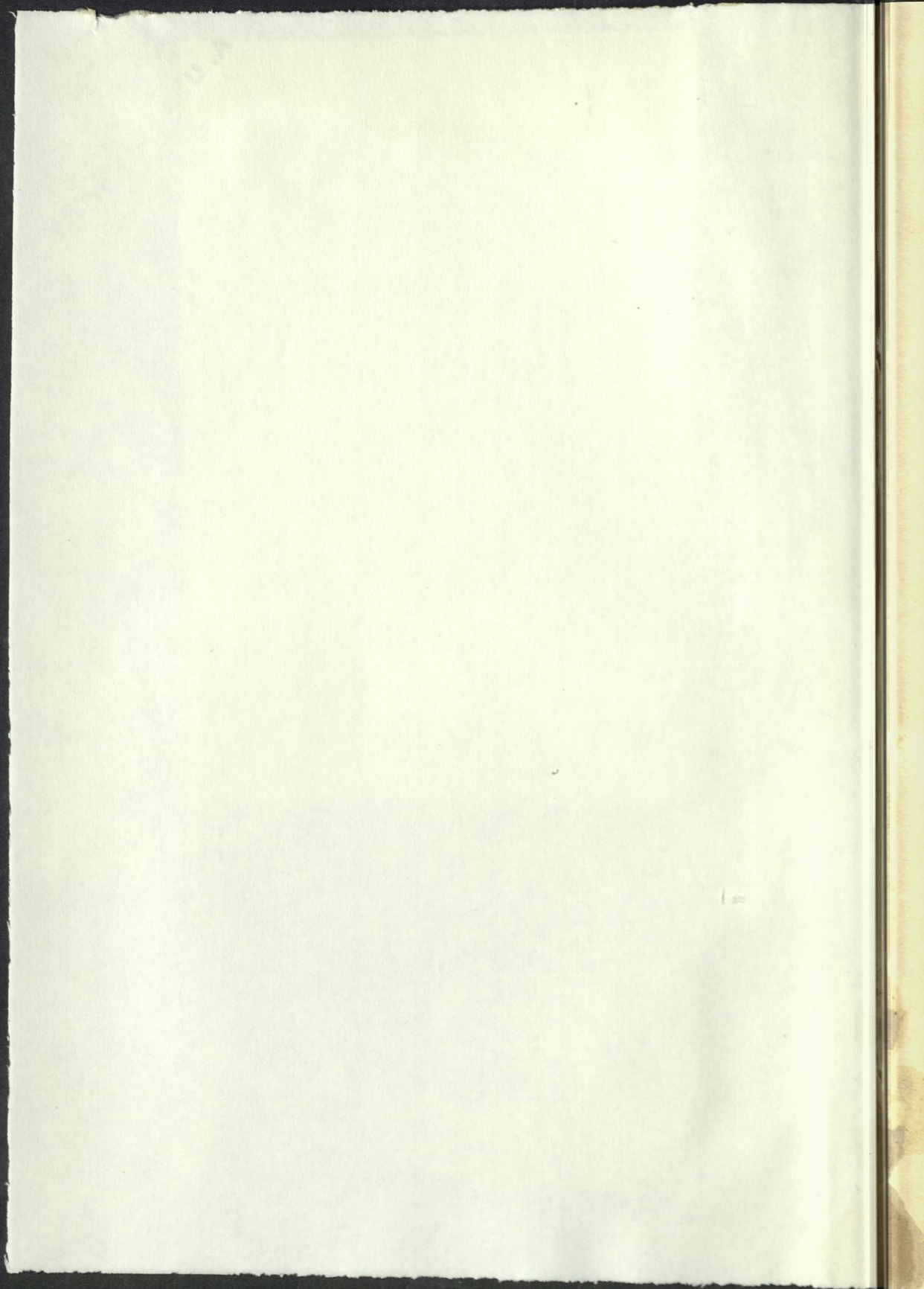
الرجاء تصحيح الاخطاء الآتية قبل مطالعة الكتاب .

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١	٧ (من الحاشية)	Topograyhical	Topographical
•	١٨	اما الفرات فله تابع واحد	اما الفرات فلا تابع له
١٦	٢	نا	ان
١٦	١ (من الحاشية)	متحضر	متحضرة
١٩	١٠	نفسه	نفسه
٢٢	٣	سوارت	سورات
٢٤	•	١٩٢٨	١٨٠٨
٢٥	٣ (من الحاشية)	93	63
٣٢	١١	الخلفاء	الحلفاء
٣٢	١٣	دخلوا	ادخلوا
٣٢	٧ (من الحاشية)	اضمن	ضمن
٣٤	٢	مع	في
٣٨	١٠	متها	منها
٣٩	١٢	حكامهم	حكاهم
٤٨	١٢	تقاليد	مقاليد
٤٨	٣ (من الحاشية)	nrting	Parting
٥٢	٢	Trnsi	Trust

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥٤	١	(من الحاشية) للهدنة	لهدنة
٥٦	٣	التصديق	للتصديق
٦٠	٧	١٩٣٧	١٩٢٧
٦١	٨	مساعد	مساعدة
٦١	١٣	لحدود	الحدود
٦٢	١٩	الحدية	الحديدية
٦٥	١٥	القرق	القرن
٦٦	٨	(من الحاشية) tyrng	flying
٦٦	٨	(من الحاشية) Bir	Air
٦٧	٨	واللحوكمة	واللحكومة
٦٧	١١	دهناك	وهناك
٦٧	١٩	كلها	كلها
٦٨	٦	الجدود	الحدود
٦٨	١١	تقتعا	تقنعا
٧٥	٤	عقدت صلح	عقدت معاهدة صلح
٧٥	٤	لم بات في اي	لم يأت فيها اي
٧٧	٣	لوجود	وجود
٧٨	١٤	علية	عليه
٧٨	١٥	اواصر	اواصر

الصواب	الخطأ	السطر	الصفحة
كقريب	كقريب	١٦	٧٨
استقلالهم	استقلالهم	١٤	٧٩
رغائب	رغباب	٧	٨٢
وقد عدل قانون	وقد قانون	٣	٨٣
(هذا العنوان يمحذف)		٣	٨٤
غائتها	غائتها	١	٨٨
التقديرات	التقديرات	٤	٩١
في المناطق	في الماطق	٢٠	٩٢
تجعلنا	تجعلها	١٨	٩٤
حدود	حدد	٣	١٠٢
حاجة	حاسة	٩	١٠٥
الغابات يساعد على	الغابات على	١٥	١١١
حتى قضوا على	حتى على	٤	١١٢
مستوية	إمستوية	٩	١١٢
المزروعات	المزروعات	١٢	١١٣
يزرع	يزوع	١٧	١٢٧
وقد	قد	٨	١٢٨
وكثير	كثير	٣	١٣٧

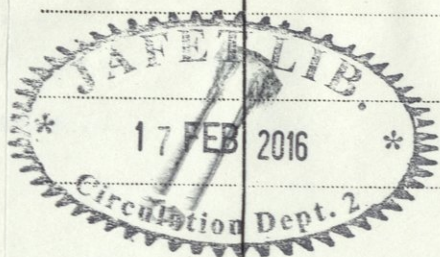
الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٣٨	٦	حل كيفية	كيفية حل
١٤٤	٢	ان ام	ان ام صادرات
١٤٦	٢	وان	وان
١٤٨	٧	ومن	ومن
١٦٠	١٨	المراجعين	المراجعين
١٦١	١ (من الحاشية)	١٩٣١	١٨٣١
١٦٤	٦	وعسير	وعسيرة
١٨٠	٨	بغد	بغداد
١٨٤	١٢	تجيب	تجيب
١٩٥	١٥	: ١٩٢٩	: ١٩٢٩ (٢)
٢١٣	١	هي	بل هي
٢١٩	١٤	١٩٣١	١٨٣١
٢٤٣	١٥	تربية	في تربية
٢٤٤	١٣	تتمتع	لا تتمتع
٢٦١	٥	مدرسة	ومدرسة
٢٦٧	٩	الخرافات	الخرافات



CLOSED
AREA

DATE DUE

A. U. B. LIBRARY



	DATE DUE	

A. U. B. LIBRARY

CA:956.704:A655iA.v.1:c.1

خُدُورَى، مَجِيد
العراق الحديث: تحليل لأحوال العراق
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01057535

CLOSED
AREA

CA:956.704:A655iA

V.1

• عقراوي

العراق الحديث : تحليل لأحوال العراق ومشاكله
السياسية والاقتصادية والصحية والاجتماعية...

CA

956.704

A655 i A

v.1

CLOSED
AREA

